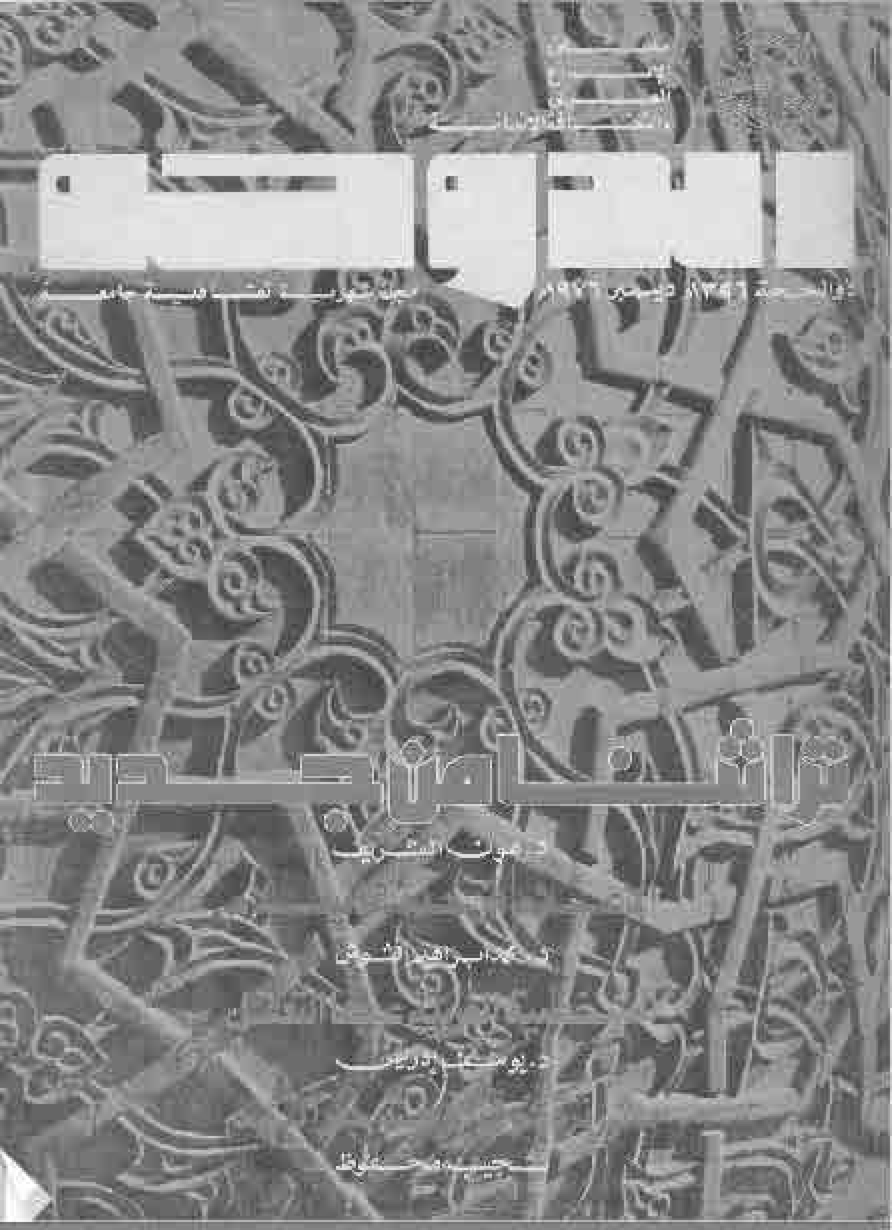




الدكتور محمد ابراهيم الشوش

الإعلام فى خدمة السلام

منظمة اليونسكو لماذا تعرضت الى حملات التشهير المكثفة ؟

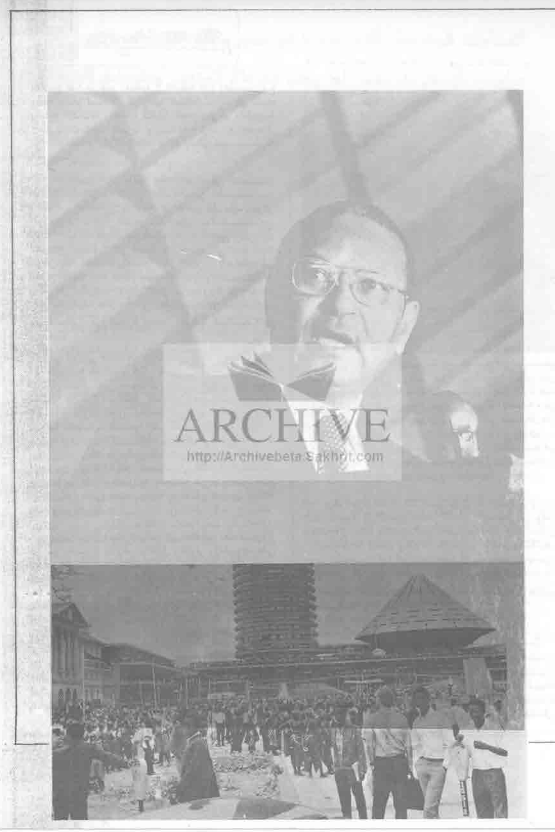
في نيروبي اتجهت المعركة الى الحجر علي حرية الصحافة !

وفق تخطيط محدد وتنظيم دقيق محسوب شهرت اجهزة الاعلام ، وبخاصة في الغرب ، اسلحتها الجبارة ، واقامت الدنيا ولم تقعدها بعد ، حول مشروع اعلان بالمباديء الاساسية لاستخدام وسائل اعلام الجماهير في دعم السلام والتفاهم الدولي ، وفي مكافحة الدعاية للحرب ، ومناهضة العنصرية والتفرقة العنصرية الذي قدم لمؤتمر اليونسكو في دورته التاسعة عشرة التي عقدت في نيروبي في شهر نوفمبر المنصرم ، ودقت الطبول ، وقرعت الاجراس ، ولطمت الخدود ، وشقت الجيوب ، وارتفعت الاصوات النائحة تبكي مصير الديموقراطية والحرية في اطار مسرحية اعدت فصولها اعدادا دقيقا ، وجندت وسائل الاعلام كلها من صحافة واذاعة وتليفزيون ، وتحفز جند الحريات وانكبوا على العاصمة الكينية من كل حدب وصوب لانقاذ الحرية المغلوبة على امرها من براثن العالم الثالث واغلبيته الميكانيكية ٠

● بوادر المعركة في حفل الاستقبال !

كل هذا في اطار حملة تشهير وتخويف مركزة ومكثفة ظلت تتعرض لها منظمة اليونسكو تهدف ـ كما اشار الى ذلك مديرها العام ـ الى شلها عن تنفيذ ما اتخذته من قرارات في مصلحة الاغلبية الساحقة من اعضائها منحازة الى جانب الحق في دورتها الثامنة عشرة عام ١٩٧٤ عقابا لها ان شبت عن الطوق وتجرأت على اتخاذ قرارات تخالف رغبات اولئك الذين ظلوا يتحكمون في مصائر البشر ، حقا مقدسا لهم لا يجب ان ينازعهم فيه منازع ٠

وكان واضحا أن جهات سياسية معينة تحركها اجهزة الدعاية الصهيونية قد قررت ـ لاسباب واضحة ـ ان تجعل من مشروع الاعلان هذا بالذات منطلقا لحرب





اعلامية ضارية ضد المنظمة لا لتسفيه هذا المشـــروع وحده وانما لدمغ كل قراراتها السابقة ـ بما في ذلك بالطبع الادانات المتعددة للكيان الصهيوني ـ بالتبعية لايدلوجيات تمقت الحرية وتخشاها وتريد ان تجعـــل من التعسف والاكراه نظاما عالميا يحظى بمبـــاركة اليونسكو ·

ولقد شهدت أول بوادر هذه المعركة في حفـــل استقبال ضمنى بعدد من الدبلوماسيين الغـــربيين وعدد من الصحفيين والكتاب في تونس قبل مغـــادرتي الى نيروبي ـ وكان الحديث كله يدور عما تنـــوي المنظمة اتخاذه من تدابير لحجر حرية التعبير وكان جل المتحدثين ينعـــون على المنظمـــة تحولها الى اداة طيعة لفرض نظم متخلفة وتعسفية على اجهزة الاعـــلام في العالم مانحة هذه النظم صفة الشرعية والعـــالمية · ولمـــا كان مشروع الاعلان الذي بين يدي لا يبرر هـــذه الاتهامات مهما حمل من تأويل فقد حسبت ان هنالك بنودا سرية ستبرز في الدورة اتيحت معرفتها للمشـــفقين وحدهـــم ·

وفي نيروبي كانت نيران المعـــركة قد حميت وكانت الانظار تتجه كلها نحو هذا المشروع · وكانت صـــحف نيروبي تحمل على صفحاتها الاولى عناوين مثـــيرة تتحدث عن قرارات ينتظر اتخاذها لحجـــر حـــرية الصحافة ، وعن تحول المنظمة الى اداة سياسية ، وعن تنكرها للمبادىء السامية التي كانت ترتكـــز اليها · وكانت برقيات وكالات الانباء ورسائل مراسلي الصحف تركز تركيزا يكاد ان يكون كليا على موضوع المشـــروع الاعلامي ، وظلت اغلب الصحف في الخارج لا تنقـــل عن المؤتمر الا ما يتصل به متجاهلة كل ما يصدر عـــن المنظمة من مشروعات ايجابية بناءة في ميادين الثقافة والعلوم والتربية ·

وعندما بدات لجنة البرامج في مناقشة المشـــروع في جو مشحون بالترقب والقلق والتوتر والخـــوف على مصير المنظمة ، كان المناخ الذي هياته هذه الدعـــايات قد بدا يحقق اهدافه لا في تمييع اي قرار يمكـــن ان يتخذ في هذا الشان وانما في تمييع كل القـــرارات الاخرى ، كانت جميع دول العالم الثالث وبخاصـــة الدول الافريقية التي تستضيف المؤتمـــر قد وضعت في موضع الدفاع عن النفس ، وكانت وفودها تتحدث كمـــا لو كانت تطل من قفص الاتهام ·

● ليس بدعة ولا مفاجأة !

ومشروع الاعلان الاعـــلامي الذي الذي أثير حوله كل هذا اللغط ودارت

قاعة جومو كينياتا للمؤتمرات في نيروبي حيث عقدت الدورة ·



حوله وبسببه كل هذه الضجة ليـــس بدعة بل لا يشكل حتى مفاجأة لاحد ، كان مجرد حلقة في سلسلة موضوعات ظلت تناقش في الجمعية العامة للامم المتحـــدة ومنظمـــة اليونســـكو منذ انشائهما دون ان تثير غبارا أو ضجة ·· وليـــس صحيحا ان دول العالم الثالث مســـئولة عن اثارة هذه المواضيع فقد ظل موضوع مسئولية أجهزة الاعـــلام في تحقيق السلام من بين اهم الموضوعات التي تشـــغل بال العالم قبل أن تبرز اكثر دول العالم الثالث الى الوجود ، وتشكل الاغلبية التي تصفها بعض الدول المتقدمـــة في غرور المدله بنفسه بأنها ميكانيكية تحقيرا لها واستنكارا ان يكون لهذه الدول مواقف مستقلة عنها ·

ولقد ادرك العالم منذ امـــد طويل ما لوسائل الاعلام من خطورة في تكييف مصائر البشر ، وسعـــى في وقت مبكر الى ابتداع السبل التي تكفل استخدام هذا السلاح الخطر لربط العالم واشاعة الوفاق والتفاهم والتعارف بين الشعوب ، كما ادرك ما يمكن أن يلحقه من ضـــرر بالانسان اذا ما استخدمته قوى شريرة لبث الفـــرقة والخلاف والتعصب والحرب والتحزب واشاعة المفاهيم الخـــاطئة والمدمـــرة ·

● اتفاقية دولية وقرار هام

ومن اولى الاتفاقات في هذا الشان الاتفاقية الدولية التي عقدت عـــام ١٩٣٦ بشان استخدام الاذاعة لخدمة قضية السلام تحت اشراف عصـــبة الامم ، وهي اتفاقية لا تختـــلف في

الدعايات المغرضة حققت هدفها في تمييع كل القرارات الأخرى !

مشروع الإعلان الإعلامي.. لم يكن مفاجأة المؤتمر وكذلك الضجة!!

● الاسرة الدولية وقضايا التنمية

وعندما بدأت أجهزة الاعلام تكتسب قدرات هائلة في التأثير على الجماهير العريضة كنتيجة لما حدث من تطور تكنولوجي مذهل ·· كان لابد أن تتجه الاسرة الدولية لتوجيه هذا السلاح في خدمة قضايا التنمية والسلام ، وابعاده عن الاستغلال لاغراض لا تخدم هذه القضايا · وكنتيجة مباشرة لظهور الاتصال الفضائي ، اعتمد المؤتمر العام لليونسكو في دورته السابعة عشرة عام ١٩٧٢ ، وبالاجماع ايضا ، ودون حدوث ضجة أو تباك على الحريات ، ودون أن تقرع الاجراس والطبول ·· اعتمد اعلانا بالمبادىء الرائدة لاستخدام الاذاعة عن طريق التوابع الصناعية « من أجل حرية تداول المعلومات ونشر التعليم وتعزيز التبادل الثقافي » · كما يؤكد الاعلان على أن تحقيق امكانات الاذاعة عن طريق الفضاء لا يتطلب مراعاة احتياجات المستمعين وحقوقهم فحسب · وانما ايضا « أهداف السلم والتعاون والصداقة بين الشعوب » ·

وكان طبيعيا الا يقتصر الامر على البث الاذاعي وحده · وأن يسعى العالم الى توجيه التطور العلمي في المجال الاعلامي في خدمة الاغراض التي تخدم قضايا الانسان · وكان أن طلب الاجتماع من المدير العام ـ وبالاجماع ايضا ، وبلا ضجة ـ اعداد مشروع اعلان بالمبادىء الاساسية لاستخدام وسائل الاعلام في دعم السلام والتفاهم الدولي ، وفي مكافحة الدعاية للحرب ومناهضة العنصرية والتفرقة العنصرية ·

وبالفعل قدم مشروع أولي للمؤتمر العام في دورته الثامنة عشرة عام ١٩٧٤ وتقرر انه بحاجة « لان يدرس بعمق » وعلى ضوء ذلك أحيل مع تعديلات مقترحة الى اجتماع دولي حكومي للخبراء عقد بدار اليونسكو في باريس ١٥ ـ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٧٥ كان من نتيجته هذه الوثيقة التي احدثت كل هذه الضجة وعمقت الاختلاف بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنظمة ·

والذي جاء في الوثيقة كما ذكرت ليس جديدا ثم انه كان نتيجة لرغبة اجماعية وهو لا يمثل قرارا ملزما · ثم هو لا يعدو أن يكون اعلانا يتضمن مبادىء عامة وليست محددة صيغت بأسلوب يتحمل تاويلات وتفسيرات عدة ·



السيد مختار امبو مدير عام منظمة اليونسكو ······ المنظمة ·

مضمونها العام عما تسعى الدول لتحقيقه بعد اربعين عاما حدث فيها الكثير ، وخرج فيها العالم من تجربة حرب مريرة ، استخدمت فيها الفاشية والنازية أجهزة الاعلام استخداما واسعا وشرسا لخدمة أهدافها الشريرة ، وبث الفرقة والخلاف والكراهية ، والعنجهية العنصرية ·

ولقد اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة في عام ١٩٤٨ قرارا بادانة كافة اشكال الدعاية التي تستهدف الحض أو يرجح أن تحض أو تشجع على تهديد السلام أو خرقه أو على القيام باعمال العدوان ·

وتلى ذلك عبر السنوات التالية سلسلة من القرارات الاجماعية والاتفاقات الدولية التي تهدف الى القضاء على كافة أشكال العنصرية والتمييز العنصري أهمها ما جاء في المادة الرابعة من الاتفاقية الدولية التي تهدف القضاء على التمييز العنصري بكافة أشكاله ، حيث تدين الدول الاطراف في الاتفاقية كل انواع الدعاية وجميع المنظمات القائمة على أفكار أو نظريات مؤداها تفوق عنصر أو جماعة من الناس أو لون من الوان البشرة ، أو التي تحاول تبرير أو اثارة مشاعر البغض العنصري في أي من أشكالها ، وحيث تتعهد تلك الدول باتخاذ تدابير ايجابية عاجلة للقضاء على جميع أعمال التمييز هذه وعلى كافة محاولات التحريض عليها ·



من أجل حرية تبادل المعلومات وتعزيز التبادل الثقافي .

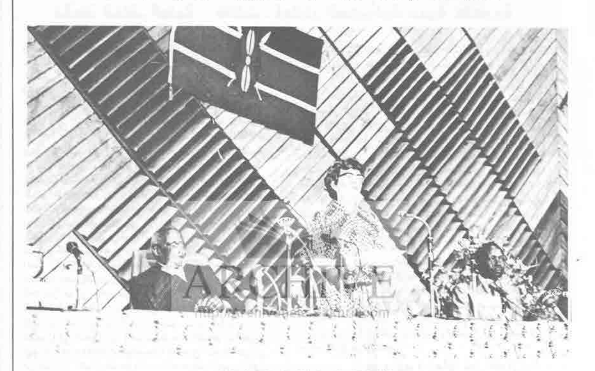
الرئيس الكيني جومو كينياتا يفتتح الدورة التاسعة عشرة

● ماذا وراء هذه الضجة ؟

ما سر الضجة اذن التي احدثها هذا الاعلان الذي لا يطلب اكثر من مجرد توجيه الاعلام الى دعم السلام ، ومناهضة العنصرية والذي كان يمكن ان يمر كما مر عديد من القرارات المماثلة دون أن يحس بها احد :

ان جميع القرارات والاتفاقات الدولية التي تتخذها الجمعية العامة للامم المتحدة واليونسكو بشأن الاعلام تتسم مناقشاتها بمحاولة للتوفيق بين مبدأ حرية انتقال المعلومات والذي تؤمن به الاسرة الدولية با عتباره « المحك لكل الحريات التي كرست لها الامم المتحدة » وبين مفهوم مسئولية وسائل الاعلام . وليس هنالك اختلاف في أن حرية انتقال المعلومات ليست حرية مطلقة وانما تحدها الاهداف التي ترمي الى أن تمارس هذه الحرية في اطار خدمة البشرية التي تتطلع الى السلام والاخاء والقضاء على التفرقة والتسلط . والاختلاف الاساسي يكمن في تحديد الجهة التي يناط بها الرقابة والاشراف على هذه المسؤولية . فبينما ترى بعض الدول أن الحكومات تتحمل مسئولية تصرف اجهزة الاعلام الخاضعة لسلطتها القضائية باعتبار أن هذا هو الضمان الوحيد لضمان تنفيذ القرارات الدولية التي توافق عليها هذه الحكومات ، ترفض الديموقراطية اللبرالية في الغرب ما يتضمنه قبول هذا الالتزام من فرض رقابة حكومية على اجهزة الاعلام . وهي تؤمن ، على اختلاف نظمها الداخلية ، بان حرية الاعلام وبخاصة ما يتصل منها بحرية الصحافة بالذات حق ينبغي ألا تفرض عليه الحكومات

التمييز الواضح بين دور الدولة ودور وسائل الإعلام .. لماذا ؟

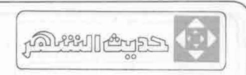


اثناء افتتاح الدورة التاسعة عشرة لليونسكو ·

قيودا ، وترى بان الحرية كل لا يتجزأ وان قرار مبدأ التدخل المباشر للسلطة الحكومية حتى لاغراض انسانية نبيلة سيفتح المجال واسعا للتسلط وتقويض اهم ركيزة تعتمد عليها الممارسة الديموقراطية التي تقبل رقابة الصحافة على السلطة وليس العكس · وهي من هذا المنطلق ترفض مشروع هذا الاعلان والذي تتضمن مادته الثانية عشرة « بان تكون الدولة مسؤولة عن الانشطة التي تمارسها على النطاق الدولي جميع وسائل الاعلام الخاضعة لسلطتها القضائية » باعتباره يمثل فلسفة مناقضة . كما تشكك في امكانية تطبيقه باعتبار « أن اية محاولة لتجاهل أوجه الخلاف الحقيقية بين الشعوب او اكراه الاخرين على التخلي عن فلسفاتهم الاساسية امر غير مقبول » ومن غير المنطقي ان يوافق مندوبو هذه الدول على مبادىء يدركون سلفا أن حكوماتهم لا تملك السلطة على تنفيذها لانها تخالف الدستور ، ولان بعض الدول لا تملك اي سلطان على وسائل الاعلام · ومن هنا يرون ان يكون هنالك تمييز واضح بين دور الدولة ودور وسائل الاعلام ·

وترى دول اخرى ان نص المادة لا يفرض على اية دولة أن تمارس رقابة مباشرة على اجهزة الاعلام ، وترى ان بامكان الدول ـ بغض النظر عن فلسفتها ونظام حكمها ـ عمل الكثير لضمان استخدام وسائل الاعلام في دعم وتعزيز السلام والتفاهم الدولي ومناهضة العنصرية مهما كانت الجهة المسيطرة على هذه الوسائل · كما ترى ان اعتماد مثل هذا الاعلان يمثل تعزيزا ادبيا لجهود الدول في هذا السبيل ·

واذا كان سعي هذا المشروع مختلفا مع عديد المشروعات التي سبقته لتحديد المسؤولية على الدولة قد أدى الى نقطة الخلاف الاولى فان بروز الرغبة الملحة لدى دول العالم الثالث لخلق توازن في تدفق المعلومات



نقطة الخلاف الهامة .. كانت : اعتبار الصهيونية دعوة عنصرية .

وكذا احتكار الدول المتقدمة لمصادر الانباء والمعلومات مستغلة تفوقها العلمي والتكنولوجي قد ادى الي نقطة الخلاف الثانية ـ فبينما ترى الدول المتقدمة الا تفرض اى قيود على حرية انتقال المعلومات والانباء ترى دول العالم الثالث أن تحقيق هذا المبدأ في اطار عدم التوازن الحالي يؤدى الى أن تفرض الدول المتقدمة فلسفتها واسلوب حياتها ونظرتها على الاخرين مما يؤدى الى محو الثقافات المحلية والقيم الموروثة ، ولقد كان ذلك محور اهتمام المؤتمر الخامس لدول عدم الانحياز الذى اكد ضرورة الغاء المخلفات الاستعمارية في ميدان اعلام الجماهير والعمل على ضمان توزيع متوازن وعادل لمصادر الاخبـار ونقـل المعلومات للجماهير باعتبار ان ذلك هو السبيل الامثل فى تطبيق اعلان مؤتمر اليونسكو فى دورته السابعة عشرة والذى ينص على أن نطاق ونفوذ الرسالة المذاعة عن طـريق التوابع الصناعية يجب ان تحمل على الاعتراف « بالطابع المميز لكل ثقافة وقيمتها وكرامتها » ومع اعتراف الدول المتقدمة بعدم التوازن فى توزيع المعلومات لا ترى ان يتم ذلك عن طريق الحد من حرية انتقال المعلومات ، او تثبيط قدرة بعض البلدان على الاعلام وترى بديلا عن ذلك ان يتجه المجتمع الدولي نحـو تنمية امكـانية كل الشعوب فى التعبير عن وجهات نظرها وافكارها عن طريق اجهزة الاعلام وذلك كوسيلة ممكنة لتصحيح انعدام التوازن فى التداول المتبادل للمعلومات . كما عرضت بعض الدول المتقدمة ان تقوم بمساعدة الدول النامية فى تقوية أجهزة اعلامها كبديل لمحاولة فرض اى قيود على أجهزة الاعلام فى بث افكارها على نطاق العالم كله .

● النقطة الثالثة .. والاهم

ونقطة الخلاف الثالثة ولعلها الاهم هو القرار الذى اتخذته الامم المتحـدة باعتبار الصهيونية دعوة عنصرية . ومعنى هذا التحديد ان مشروع الاعلان والذى يدعو لاستخدام وسائل اعـلام الجماهير لمناهضة العنصرية يشـمل مناهضة الصهيونية . ولقد كانت هذه النقطة بالـذات هى محور الخـلاف الرئيسى فى لجنة الخبراء التى وضعت مسودة هذا المشروع حيث انسـحب مندوبوا ثلاث عشره دوله متقدمة احتجاجا على الربط بين الصهيونية والعنصرية . ومن هنـا كان تجنيد أجهزة الاعلام ، وكان التجني والتشنج واظهار مشروع اعلان عام بمثابة اقتراح عدوانى شديد الخطورة على مستقبل حرية الراى والممارسة الديمقراطية .

ان القرارات الخطيرة التى اتخـذها المؤتمر العـام لليونسكو فى دورته الثامنه عشره عام ١٩٧٤ والمناصرة للحق العربى ، والتى تدين الصهيونية كمذهب وممارسة خطره ومعارضة للسلام والوئام فى العالم ، قد اثـار حفيظة الكثيرين . وحيث بقينا نحن نتبجح ونتبـاهى بانتصاراتنا كانت اجهزة الاعلام الصهيونى تعمل على أن تجعله انتصارا أجوف مفرغا من المضمون . ومن هنـا كان التركيز الاعلامى فى الغرب والواقع تحت سيطره الصهيونية على تشويه سمعه المنظمة ، واظهارها بمظهـر اداة مستغلة فى ايد غير مسئولة لدعم وتاييد الممارسات غير المتحضرة وغير الديمقراطية . ومن هنا كان اختيار هذا الاعلان والذى لم يكن مقصودا لذاته ليكون السلاح الذى يخدم غرضين : أولهمـا تشويه سمعة المنظمـة والتقليل من شان اهمية قراراتها السابقة واللاحقـة والثانى التخويف والابتزاز . ولقـد شـهدت قاعات الاجتماعات فى وسط هذا الدخان الكثيف منظرا غريبا ، معتدين فى موقف القوة والهجوم واصحاب حق ودعوة فى موقف دفاع عن النفس .

● وأخيرا : ماذا عن التوازن ؟

واذا كانت هذه السطوة الاعلامية قد أكدت شيئا فهو التخوف الذى ظل يبديه العالم الثالث كما يصور بما لم يقدر على توضيحه عشرات المندوبين كيف أن أجهزة الاعلام يمكن أن تلبس الحق بالباطل وكيف يمكن ان تتحول الى أداة للتزييف والمغالطة والافتراء بدل ان تكون اداة للوفاق والسـلام واحترام شـعور الاخرين . ان التركيز الاعلامى لتشويه هذا الاعلان هو أكبر سبب ومبرر لكى تدعى الاسرة الدولية لتـأكيد مبادىء ونصوص مشروع هذا الاعلان الذى لا يجب أن يتوقف لحظة واحدة من قبل دول العالم الثالث لتحـديد أكبر قدر من التوازن والمساواة فى تبادل المعلومات بين شعوب العالم حتى لا يصبح باطل الاخرين حقا ويصبح حقنا باطلا لا لسبب الا لانهم يملكون أجهزة اعلام فعالة .

محمد ابراهيم الشوش

ملتقى الدوحة النفطي .. وتحولات التاريخ

محمد جابر الأنصاري

في منتصف هذا الشهر ينعقد مؤتمر وزراء الدول المصدرة للنفط (الاوبك) على ضفاف الخليج في الدوحة .. تحت شمس مشرقة وعلى مقربة من معظم البلدان المصدرة للنفط في العالم .

هذا النبأ الذي جاء ضمن انباء كثيرة في الصحف والاذاعات ، كم له من ثقل في موازين التاريخ

فالى ما قبل عشر سنوات ، لا اكثر ، كانت شؤون النفط أسرارا لا يجوز أن يتداولها الا (الكبار) وراء الكواليس والضباب في نيويورك ولندن وامستردام .

والى ما قبل فترة قصيرة جرى العرف في الشؤون البترولية الا ينعقد مؤتمر الاوبك في الغالب الا في عاصمة نائية محايدة كفينا – مثلا – بعيدا عن الارض المنتجة والامم صاحبة الحق ..

ولكن انعقاد هذا المؤتمر في « الدوحة » ، في قلب الخليج ، وعلى مقربة من اهم حقول البترول في العالم كله يغير كثيرا من المعاني والمعادلات ويرسي قواعد معادلات وسياسات جديدة اكثر عدلا واكثر منطقية ..

، خاصة وان « الدوحة » قد استضافت مؤتمرا وزاريا سابقا للاوبك عام ١٩٦٩ ولكن مع فارق مهم وتاريخي ايضا ، وهو انها تستضيفه اليوم وقد اتخذت دولة قطر قرار تملكها لنفطها ، هذا القرار الذي لا نشك انه سيكون افضل تحية تقدمها قطر لضيوفها وزراء النفط باعتباره علامة مضيئة لا في الحاضر القطري وحده وانما في الحركة الصاعدة لدول منظمة « الاوبك » كلها ،

بالاضافة الى ما سيبحثه المؤتمر من قضايا على جدول اعماله – نعتقد ان مسالة الاسعار على رأسها نأمل ان تكون مناسبة عقد المؤتمر في قلب منطقة الخليج منطلقا جديدا لطرح القضايا الحيوية التالية التي تدخل في صميم الحياة اليومية لبلدان النفط ، وترتبط أوثق ارتباط بمصيرها ومستقبلها ..

أولا :

فمن القضايا التي ستظل بحاجة الى مزيد من البحث والتحليل والايضاح مسالة المضي في بناء الهيكل الانتاجي لمجتمعات النفط ، خاصة في الجزيرة والخليج . فاهمية النفط البالغة لها وجه اخر . هذا الوجه هو ضرورة البحث دائما عن بديل للنفط او عامل مساعد للنفط في المستقبل . ولا يعني ذلك مجرد البحث عن مادة معدنية اقتصادية اخرى نبقيها احتياطا لما بعد النفط ، بل الاهم من ذلك كله تحويل اقتصادنا – بمساعدة النفط – الى اقتصاد منتج مصنع يقوم على فعاليات متعددة في الحقل الانتاجي – كبناء الصناعة وتوسعة الزراعة وتطوير التجارة والخدمات .

وبجانب بناء الهيكلية الانتاجية ، نحن بحاجة الى ترسيخ روح العمل الانتاجي لدى مواطنينا والحد من النزعة الاستهلاكية في مسلكنا الاجتماعي ، فالامم ترتقي بقدر ما تكون « انتاجية » في تفكيرها وعملها بعيدة عن تزيف « الاستهلاكية » المضرة .

ثانيا :

بقدر ما يؤثر النفط في حياتنا ، فانه لم يدخل في تكويننا الثقافي بعد . فالملاحظ أن حياتنا نفط وطاقة ، بينما لا تزال ثقافتنا شعرا وبلاغة ! وهذا الازدواج في حاجة الى حل وحسم . ولن يكون ذلك الا بتعميق الثقافة العلمية في برامجنا التربوية والاعلامية والعمل على خلق وعي نفطي شامل يلم بالمادة النفطية كعلم واقتصاد وسياسة واستراتيجية وذلك عن طريق قيام مؤسسات الدراسات الخليجية والاقسام الجامعية ونشر الدوريات المتخصصة التي تهتم بهذه الموضوعات ، بل والطموح الى انتاج موسوعات عربية نفطية ميسرة للجميع ..

هذه القضايا الحيوية من أولى بحثها وحلها اكثر من المؤتمر الوزاري لمنظمة الاوبك ، هذه المؤسسة العملاقة اليوم على الساحة الدولية ؟..

ثم اي مكان انسب لطرحها اكثر من هذه البقعة المضيئة في قلب خليج النفط ؟..

فليكن مؤتمر « الاوبك » القادم اكثر من اجتماع دوري للمنظمة .. ليكن ملتقى ثقافيا وفكريا بالاضافة لطابعه الفني والمهني ، ولتطرح على هامشه وفي اجوائه كل قضايانا النفطية الحيوية بموضوعية واثارة وخصوبة استعدادا لدخول المرحلة الجديدة المباركة ، مرحلة ما بعد التملك الوطني للثروة النفطية بكل طموحاتها وخيرها وتحدياتها .

.. هذه هي الامنيات التي راودتنا عندما ربطنا بين « ملتقى الدوحة النفطي » و « تحولات التاريخ » ..

كان في قمة حيويته كالعهد به ·· عـــادت اليه الصحة والعافية بعد أوبته من رحلة العلاج في الخارج ·· ايام مرضه كنا نتابع اخبارهفي الصحف باعين مذعورة ·· « الدكتـــور يوسف ادريس اصيب بجلطة في القلب » ··« الاديب يوسف ادريس يعالج في الخـــارج وحالته تتدهور » ·· « اجريت امس الجراحـــةالخطـــيرة في القـلب ليوسف ادريس وازيل التضخم الناجم عن جلطة في الدم في احـــدشرايين القلب ، لكن حالته خطيرة للغاية » ·· « الدكتور يوسف ادريس نقل الى غـــــرفةالانعاش » ·· « يوسف ادريس بخـــير » ·· « صحة يوسف ادريس في تحسن مستمر ولكنهسـيبقى تحت الملاحظـة لبعـض الوقت » ·· « يوسف ادريس يعود الى ارض الوطـن بعـدغـد » · و ·· ها هو ذا يوسف ادريس يتحدث الى قراء « الدوحة » ··

لقـــاء
أجـــراه
عبدالوهاب
الأنـــواني

يوسف إدريس للدوحة:



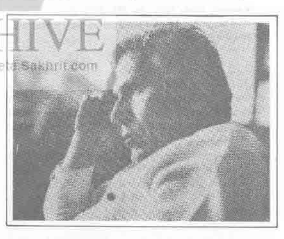
عندما يكون عقل أُمتي في خطر فلتذهب جميع الأشكال الفنية إلى الجحيم

تهمة لا انفيها

● قالت الشائعات ان فترة المرض حولت فناننا الكبير الى متصوف يرى الله في داخله ·· ثم جاءت كتاباتك الاخيرة شبه مؤكدة لهذه الشائعات ·· فماذا عن رد هذه « التهمة » ؟!··

ضحك وهو يقول :

ـ هذه تهمة لا انفيها وشرف لا ادعيه · فالذي لا يرى الله في داخله ، ليس هو فقط غير متصوف او غير مؤمن ·· ولكنه غير انسان بالمرة ·· ولست من أولئك الذين يحبون ان يتحدثوا عما يؤمنون به ·· فانا في داخلي معمل ايمان لا يتوقف عن البحث والتنقيب ، والتجريب والرفض ، والعدول والقبول ·· معملي هذا غير ملتزم باصدار نشرة دورية عن « أحدث » ما وصل اليه ! ·· واعتقد ان « الشائعات » صيغت بهذه الطريقة كي ابدو في نظر الناس باني لم اكن مؤمنا بالله ، ثم امنت به اخيرا بعد المرض ·· لكن كيف وضعت « حيثيات » قضية خطيرة كهذه وانا نفسي لا أعرف عنها شيئا ؟!·



الذي لا يرى الله في داخله ليس إنساناً بالمرة !

النبات يحزن ويفرح ويستجيب للموسيقى والحنان .

بيني وبينك ·· انا لا استطيع ان أصيغ اجابة محددة لهذا السؤال ، لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل ·· انا لا أكاد اعرف من أنا · أعرف الله ـ سبحانه ـ او أعرفه للاخرين ؟·· كل ما استطيع قوله في هذا المضمار هو اني اكون ـ في معظم الاحيان ـ صادق الايمان بالكلمة حين أكتبها وبالفعل حين افعله ·· ترى ·· هل اجبتك ؟!··

فلنستبعد حكاية الزعامة

شغلت بتامل طريقته في الكلام ·· هو احد فنانينا الكبار الذين بمقدورهم أن يسيطروا على الكلمة المنطوقة ·· اكثرهم تتجلى عظمة مواهبهم عندما يمسكون بالقلم ، لكنهم عندما يتكلمون فلا فرق بينهم وبين سائر الناس ·· يوسف ادريس يتكلم بنفس البراعة التي يكتب بها ·· رأيته مرة في بيت رجاء النقاش « يحكي » لن حوله عن مشكلة ما صادفت أحد معارفه ·· طريقة « الحكي » عنده تاخذ شكلا دراميا دون أن يقصد ·· كان يقدم في الحكاية اشياء ويؤخر تفاصيل ، ثم يكشف عنها شيئا فشيئا ـ والذين يجلسون حوله يحبسون الانفاس وكلما توغل في « الحكي » ظهرت مفاجات جديدة ومشوقات ·· كل هذا بطريقة عادية جدا وبلا جهد ، والسؤال الخالد : « وماذا بعد ؟ ·· » واضح على وجوه الجالسين ·

انئذ ، قلت لنفسي لحظتئذ ، انت أمام قصاص بالسليقة ·· من غير المعقول ان يعقد لواء الزعامة في فن القصة القصيرة في عالمنا العربي لانسان ما ، مالم يكن هذا الانسان قد ولد ليكون قصاصا ·

● دكتور يوسف ·· اتفق النقاد ـ وبما يشبه الاجماع ـ على زعامتك للقصة العربية القصيرة ·· الا ان الناقد الكبير جبرا ابراهيم جبرا يقول ان قصصك مبنية على « رؤية روائية » بحيث تبدو القصة وكانها « رواية مكثفة » ومن ثم فهو يعتبرك روائيا لا كاتبا للقصة القصيرة ·· وهل ثمة « دفاع » ؟!··

رفع كفه الى اعلى وقال بلهجة المحتج :

ـ اولا فلنستبعد حكاية « الزعامة » هذه ، ويكفينا ما يغص به عالمنا العربي من زعامات !··

ثم اراح يده على المائدة وعاد اليه صوته الطبيعي :

ـ ثانيا انا اوافق الاستاذ الكبير جبرا ابراهيم جبرا على مسالة « الرؤية » ·· فالرؤية الروائية لا تختلف عن الرؤية القصصية القصيرة الا اذا اختلف الانسان الطويل عن الانسان القصير كلاهما انسان ·· ولهذا فانا اضحك عندما يقال هذا كاتب روائي وهذا كاتب اقصوصة ·· كلاهما كاتب روائي وهذا كاتب اقصوصة · كان في هذا نوعا من التعريف

المهم في العمل الفني هو الرؤية.

مع انه في رأيي نوع من اللاتعريف ٠٠ المهم في الموضوع كله هو « الرؤية » سواء كان الشكل الفني هو القصة القصيرة أو الرواية ٠٠ وعلى كل حال فان القصة ـ بنوعيها ـ قد انفصلت تماما في عصرنا الحديث عن جدتها وأمها ٠٠ أعني عن الملحمة والحدوتة ٠٠ صارت نوعا اخر جديدا له وظيفة أرقى بكثير من « طريق الندامة » و « سكة السلامة » والموعظة الحسنة ٠٠ لكن هذا موضوع يطول شرحه ٠٠ هو في حاجة الى بحث ٠٠ ربما كتاب ٠

ماهية القصة

● قلت مرة ان القصة « فن دقيق جدا وخطير جدا ٠٠ ومتقدم جدا حتى على العقلية السائدة في العالم اليوم ، والبشرية حتى الآن لم تكتشف « ماهية » القصة » ٠٠

هل نطمع في شيء من التوضيح ؟٠٠

نظر قليلا الى سفينة بعيدة بدت لنا تصعد وتهبط في خط الافق قبل ان يقول :

ـ الفن باعتباره نوعا من التكوين البيولوجي للانسان ، لم يكتشف دوره تماما بعد ٠٠ واعتقد انه لن يكتشف الا اذا اكتشفت كل اسرار الحياة ٠

ولنتأمل الحقيقة البسيطة التي تقول ان النبات يحزن ويفرح ويستجيب للموسقى وللحنان ٠٠ مادام هذا يحدث لابسط أشكال الحياة ٠٠ للنبات ٠٠ فكيف الحال بالانسان ؟٠٠ ألا تعتقد ان الفن يتخذ أبعادا أعمق ملايين المرات عند ذلك المخلوق الذي هو أرقى ما وصل اليه تطور الكائنات ؟٠٠

القصة ـ بالنسبة للفن ـ هي سلم التطور كله ٠٠ هي تقريبا ، اول فن يستجيب له الطفل ٠٠ ثم تظل معه في رحلة الحياة يستجيب لها في كل مراحل عمره ، حتى وهو في قمة نضجه ٠

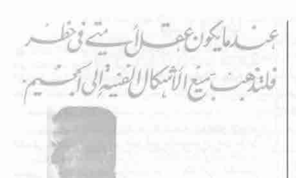
هذا النوع من الفن الذي يعمل على كافة هذه المستويات ، لابد طبعا أن يتضمن كافة الفنون الاخرى ٠٠ اللغة ، والموسيقى ، وايقاع الحياة ، وتوهج الخيال وتغيير المكونات الداخلية الدقيقة في الانسان ، جمالية كانت أو فكرية ٠

القصة تحتل ـ في الفن ـ المقامات الموسيقية السبعة ، ومن هنا فهي فن دقيق وخطير لم تكتشفه البشرية بعد ٠

وظيفتي مساعدة الاخرين

● هذا يقودنا الى سؤال هام أدخلت نفسك فيه دون ان تدرى ٠٠ كنت تقول انك اكثر ميلا الى العزف على العاطفة البشرية ، وأقل حماسا للعقلانية المحضة على أساس أن التأثير على الوجدان يحدث أثرا أعمق من التأثير على العقل ٠٠ لكنك في الفترة الاخيرة أوليت المقال عناية خاصة بحيث جعلته أشبه بالدراسة المركزة ، الامر الذي يشكل ـ في رأيي ـ خطرا على انتاجك الفني من ناحية ، ويناقض قولك الاول من ناحية ٠٠ فما قولك ؟٠٠

ما ان انتهيت من السؤال حتى رأيته يتجهم ويصمت صمتا تاما ٠٠ من ميزات فناننا الكبير ان ما في داخله يتضح على وجهه في التو واللحظة ٠٠ بعد فترة ليست بالقصيرة خرج عن صمته :



ـ سؤالك هذا ليس هو الاول ٠٠ تلقيت رسائل كثيرة تطالبني بالكف عن كتابة المقال كيلا أهدر موهبتي القصصية والمسرحية ٠٠ لكن هناك عدة قضايا في هذا الشأن ٠٠ القضية الاولى هي ان الكتابة ليست فقط شكلا فنيا ٠٠ والكاتب في عصرنا الحديث ليس حرفيا ٠٠ لسنا « صياغ » حتى نصنع سوارا مرة وخلخالا مرة ٠٠ الكاتب في عصرنا الحديث هو المنبه لقومه ٠٠ المقلق ٠٠ الموحي ٠٠ هو الذي اذا نام الناس صحا ، واذا صحوا نام ٠٠ اذا انحرفوا يمينا اتجه يسارا ، واذا سدروا في يساريتهم توسط أو أيمن ٠٠ انه الضابط للحركة ٠٠ البوصلة ٠٠ العازف على الناي اذا كان للحكمة ناي ٠

القضية الثانية هي انني لا اكتب بناء على تحديد دقيق لوظيفتي في الحياة ٠٠ فلست أعرف لي وظيفة غير محاولة مساعدة الاخرين ليساعدوني ٠٠ وحين ارى عقل أمتي هو الغائب ، فلا أفكر لثانية واحدة في أي شيء سوى أن اعتبر نفسي مجندا ٠٠ تماما كالمجند اجباريا في القوات المسلحة للدفاع عن الوطن العقل أو العقل الوطن ٠٠ يجب أن تعرف ان ثمة هجوما رهيبا ـ وباشيعة ليزر على الامة العربية لا أعني الارض العربية فقط ، وانما أعني العقلانية العربية ٠

عندما يكون عقل أمتي في خطر ، فلتذهب جميع

القصـــة بالنسبة للفـــن هي ســلم التطــوركــلـه

الاشكال الفنية القصصية والروائية والمسـرحية الى الجحيم . ان الكتابة ليست هزلا .. واذا كنا قد دللناها واسميناها ادبا أو فنونا جميلة ، فاعتقد اننا فعلنا هذا عن تخلف شديد في ادراك ، ليس فقط ماهية الفن ودوره في الحياة ، بل ماهية الحياة ذاتها وقيمتها .. الكتابة عمل خطير .. انها العقل والوجدان والروح تنسـكب على الورق .. وقد ادرك اعداؤنا هذا من زمن طـويل وتمكنوا من هزيمتنا فنيا وفكريا ، وسهل عليهم بعـد ذلك ان يهزمونا عسكريا .. الهزيمة كانت انسانيا اولا ، لان الانسان هو الذي يقاتل وليس سلاحه .. الجـزء المقاتل في الانسان هو ارادته ، والكلمة الصـادقة هي ارادة الانسان .. عندما اقول « الكلمة » فانما اعنيهـا بمعناها الواسع الشامل لكافة ما يحرك النبضة في الكائن الحي ..

اني اعتبر نفسي مجندا للدفاع عن عقلي وكيـاني اولا ، لكي ادافع بهما عن عقل بني وطني .. وحين يصل الامر الى مرحلة الالتحام بالسلاح الابيض ، وانعـزل انا فوق السطح لاكتب قصة اسلي بها المحاربين ، اعتقد ان المسالة تصل عندئذ الى درجة الخيانة .. امـا عن المؤرخين ، فانهم أحرار اذا اعتبروا ما افعله هو العبث بعينه لانني ـ كما يقولون ـ اهدر موهبتي القصـصية والمسرحية فيما يسمونه كتابة المقـالات .. ومن يدري .. ربما لن يبقى مني ـ اذا بقى شيء ـ الا ما يقـال اني اهدره .

الحـرام .. والحـلال

اثناء حديثه كانت عيناه تتوهجان .. ترسلان ذلـك البريق الذي لا تجده الا عند اولئك الذين وصـفوهم بانهم ملأوا الدنيا وشغلوا الناس .. ربما هو يمتـاز عن الكثيرين منهم بأن الكلمة عنده مقرونة بالفعـل في اكثر الاحيان .. وربما لهذا السبب تجده يركـز على الجانب الايجابي في الشخصية الانسانية وفي اغلب اعماله الفنية .. وقلت لنفسي ، وانا ارى توتره ، لابد من سؤال جديد ـ وباقصى سرعة ـ لنخرج عن جـو السؤال السابق :

● سمعتك مرة في احدى الندوات تقول ان مشـكلة « الخطيئة » مشكلة أجنبية غريبة علينا ومع ذلك نعالجها في اعمالنا الفنية .. بينما المشـكلة التي تقابلها في مجتمعنا هي « الحرام » ، والفارق دقيق بين الخطيئـة والحرام ولكنه اساس .. ثم دارت مناقشة جانبيـة في الندوة نسيت بعدها ان تقول لنا عن هذا الفـارق .. الا تعتقد انها فرصة الان لتكمل ما بداته ؟!..

هدأ .. عادت النبرات الودود الى صوته .. تلـك النبرات التي تشم فيها رائحة أرضنا العطشى لحظـة ان يغمرها الماء .. قال :

ـ الخطيئة بشكلها المسيحي تتضمن ان الانسـان كائن خاطىء بطبعه .. وقد جاء الاسلام ليغير هـذا المعنى ، ثم طورت المدارس الاسلامية هذا التغـيير الى فكرة « الحرام » .. ومعناها انه ليس هناك خطيئـة ابدية ، ولكن هناك افعالا حلال وافعالا حرام .. وهذا الفهم اكثر عدلا بالنسبة للانسان واكثر تحـريرا لارادته ..

لكن اغرب مافي الامر ان الديانة المسيحية ـ وفقـا لتعاليم السيد المسيح عليه السلام ـ ترفع هذه الخطيئة عن كاهل الانسان باعتبار ان السيد المسيح قد حمـل عن البشر خطـاياهم كلهـا ، بينمـا ارتدت المذاهب الاوروبية المسيحية الى فكرة ان الانسان كائن خـاطىء اساسا لتستطيع ان تحكم قبضتها على الناس .

الشخصية العربية

● ما دمنا قد تحدثنا عن « البشر » بصفة عـامة في مفهومين مختلفين ، فما قولك في سؤال عن « الانسـان العربي » وحـده ؟..

ـ اي ســؤال ؟..

● في كتابك القيم « اكتشاف قارة » حللت الشـخصية **الالمانية والشخصية اليابانية .. قلت ان الاولى تتحكم فيها عقدة التفوق ، بينما مركب النقص هو الذي يتحكم في الثانية .. ترى .. ما أهم مزايا وعيوب الشخصية العربية في رأيك ؟..**

وقف ودار حول المائدة واقترب من جهاز تليفـون



ليس هناك خطيئة أبدية . هناك الحلال ، وهناك الحرام .

الكازينو .. رفع السماعة وادار القرص لمرة واحدة ثم اعاد السماعة الى مكانها وجاء ليجلس بجواري .. اشعل لنفسه سيجارة وقال بصوت هادىء :

ـ سأغادر الاسكندرية الى الزقازيق غدا .. ان كنت ستسافر الى القاهرة غدا ، تعال معي .

● **شكرا .. ساقضي بضعة ايام بالاسكندرية .. لكنك قلت لي انك ستقضي هنا عشرة ايام ؟..**

ـ مللت .. لابد من السفر الى الزقازيق ومنها الى الريف ..

هذا هو السر اذن .. كثرة الاسفار هي التي مكنته من التحرك في عالم متسع .. من يراجع اعماله الفنية يدهش لتنوع هذا العالم وثرائه .. انه يكتب عن القرية بنفس القوة التي يكتب بها عن المدينة .. احيانا تجد احداثه تدور في « العزبة » الصغيرة وكأنه ولد فيها ، واحيانا تجده يتحرك في مدينة اوروبية وكأنه من اهلها .. وقطع على افكاري بقوله :

ـ الشخصية العربية تختلف عن الشخصيتين الالمانية واليابانية .. هي شخصية ـ كما يسمونها في علم النفس ـ الاكتئابية المرحة .. تتردد باستمرار بين المرح والاكتئاب .. نحن لا نحتمل الحزن طويلا ولا نحتمل المرح طويلا .. في حالة حزن اذا مرحنا ، وفي حالة مرح اذا حزنا .

اهم عيوب الشخصية العربية هو التعقل .. نادرا ما تصاب بالجنون .. تكتئب حقا حين تسوء الظروف .. لكننا لا تجن .. لا تجد عندنا احدا ينتحر مثلا .

هذا العيب نفسه هو الميزة .. نحن شعب عاقل جدا لانه متوازن .. وهذا هو السبب الذي جعلنا نعيش كل هذه الالاف من السنين ـ وتحت أسوأ الظروف ـ دون ان نفقد شخصيتنا .. دون أن ننتحر .

د. يوسف ادريس مع الكاتب ارثر ميللر



● **ما رأيك في ان نعود الى الادب كي يكون ختامها مسكا ؟..**

ـ موافق ..

● **ما الذي ينقص ادبنا ليصبح ادبا عالميا ؟..**

ـ هذا السؤال اجاب عليه زميلي وصديقي الاستاذ الطيب صالح اجابة جميلة أوافقه عليها تماما .. العالم ليس هو العالم الكبير الذي يشمل البشرية كلها .. بل هو الذي يبدأ صغيرا ثم يتسع .. والمفروض في الاديب أن يخاطب العالم الصغير .. عالمه .. فاذا نجح في مخاطبة عالمه فانه يكون بمثابة من نجح في مخاطبة العالم كله ..

واقول لك شيئا .. ان اهم ما في الامر هو الصدق .. هل نحن صادقون حقا في مخاطبة عالمنا ؟.. ان صدقنا سنصل اليه .. واذن .. علينا ان نحاول الوصول اليه اولا ثم نفكر بعد ذلك في الوصول الى العالم الكبير .

● **اعظم الناس شانا .. هو الذي يقف ـ ولو وحده ـ بجانب عقيدته ..**

« هنريك ايسن »

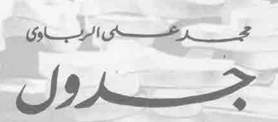
● **الخال اشد عطفا من العم لان الرجل ينافس بابنائهاخاه ولا ينافس بهم اخته .**

والعمة اكثر حنوا من الخالة .. لان المراة تنافس بابنائها اختها ولا تنافس بهم اخاها ..

« عباس محمود العقاد »

● **العداء بين الناس يفسد الضمائر والاخلاق .. بل ويفسد الحياة كلها اذا تحول بينهم الى طعام وشراب .**

« احمد حسن الزيات »



محمد علي الرباوي

جدول

انتفض الجـدول ٠
وتثاءب لما مر بنا ذات صباح ٠
كانت اوراق بيضاء
كعقيق الصمت الاخضر
تسبح في رئة الجـدول ٠

●★●

اعتاد الجدول أن يطرق باب الدار
أن يحمل في جوفه علب الاخبار
أن يرسم فوق الشط ملايين الاقمار

●★●

هـذي الليـلة ٠٠ غاب الجدول ٠
هـذي الليـلة ٠٠ غنيناه بصوت متعب

وكتبناه مرثاة ٠٠ علقناه اقراطا
فوق جذوع النخل الساجد
وامتد الموال اليابس فوق بساط الاصوات المثقوبة ٠
اغلقنا الابواب ٠
اغلقنا الابواب بمفتاح واحد ٠

●★●

غطى اليـوم الثلج الاجسـاد
من رحلتـه اليـوم الجدول عـاد
يحمل في الجوف شقيق النعمان
وعبيرا ٠٠ يرقص بين خمائله سكين ازرق ٠
واردنا فتح الباب المغلق
كان علينا أن نحمل اكثر من مفتاح ٠

د. عون الشريف

لعل من البديهيات التي لا خلاف عليها أن اي حضارة طاغية تصبغ ما جاورها بصبغتها ، وتسعى ما وسعها الجهد الى طبع كل ما تقوى عليه من العالم القريب عنها والبعيد ، بطابعها الخاص • وكانت الحضارات في الماضي اقليمية محدودة الساحة والتاثير ولذلك كان هناك مجال لقيام اكثر من حضارة في نفس الوقت وفي مناطق مختلفة من العالم • ولكننا نعيش الان في عصر الحضارة العالمية التي تمكنت لاول مرة في تاريخ العالم من صبغ كل العالم بصبغتها ، وافلحت في طبع مختلف شعوب العالم بطابعها • ولذلك لابدع أن أصبح تاريخ كل شعوب العالم فرعا من تاريخ اوروبا لا يدرس ولا يدرس الا باعتباره جزءا مكملا لتاريخ اوروبا • واصبحت جغرافية العالم تقاس اتجاهاتها بالنسبة الى اوروبا والا لماذا سمى الشرق شرقا وفصلت ابعاده الى شرق ادنى وشرق اوسط وشرق اقصى الا اذا كانت نقطة الانطلاق هي اوروبا ؟ وعلى ذلك ايضا يقاس الزمن فهو ينطلق من نقطة الصفر في جرينتش على دقات بج بن بانجلترا التي كانت حتى عهد قريب مركز العالم •





حركة تقويم واسعة بدأت تمتد عبر العالم.

ماذا وراء استئصال النموذج الإسلامي من حياة الشعوب المسلمة؟

العالم الثالث: استقلال الشخصية الحضارية في مواجهة التحدى الحضارى الغربي.

بقدر حيوية "الأصول الفلسفية والروحية والإجتماعية" والثقافية "يكون الصمود.

وقل مثل ذلك في طغيان التقويم الجريجوري الميلادي على كل ما عداه من تقاويم وطنية محلية مثل التقويم الهجري في العالم الاسلامي ، والتقويم القبطي في مصر ، والتقويم الاثيوبي في اثيوبيا ، والتقويم العبري لدى اليهود الى غير ذلك مما لا يسمح المقام بحصره من تقاويم ·

وقل مثل ذلك في طغيان الزي الاوروبي ومختلف العادات الاجتماعية لدى الاوروبيين التي زاحمت الازياء القومية والعادات المحلية فزحمتها وانتصرت عليها في كثير الميادين ·

وهذا التغيير الكبير الذي اعترى حياة الناس في شكلها الخارجي من تاثير الحضارة الغربية انعكاس فاتر للتغيير الاعظم الذي احدثته هذه الحضارة في عقول الناس وأرواحهم · فقد كان التاثير هنا اعظم بحيث حلت اللغات الافرنجية محل اللغات المحلية في كثير من بلدان العالم ، وأصبحت هي لغات العلم والثقافة ولغات التفاهم · ووجدت كل التيارات الفكرية التي ازدهرت في ديار الغرب سبيلها ممهدة الى بقية الشعوب فضعفت الثقافات القومية او تلاشت وحلت محلها الافكار الاوروبية في السياسة والتعليم والاجتماع والدين · ولقد تعاظم هذا التاثير الفكري بحيث أصبح النموذج الاوروبي في الحياة الاجتماعية والفكرية هو المثل الاعلى الذي يحتذى في معظم بقاع العالم بصرف النظر عن ملائمته للبيئات المختلفة · وأصبح الحديث عن عالمية الثقافة ، ووحدانية الحضارة ، وضرورة مواكبة كل شعوب العالم لها امرا مقبولا لا يكاد يثير الجدل · وفي غمرة هذا الطوفان الكاسح من النظم والافكار الاوروبية الوافدة نسي الناس او ارغموا على نسيان ان كثيرا مما جادت به هذه الحضارة رغم عالميتها انما هو وليد بيئة خاصة لها ظروفها التاريخية والجغرافية والبشرية المتميزة ولا يعني انتشارها بقوة النفوذ الاوروبي انها اصبحت حقائق مطلقة تنطبق على كل البشر على حد سواء ·

والان وقد بدا النفوذ الغربي المباشر ينحسر عن كثير من بقاع العالم وبدأت الشعوب وخاصة الشعوب في العالم الثالث تستيقظ من غفوتها وتستعيد قدرتها على الحركة ، فان هناك حركة تقويم واسعة تمتد عبر العالم يسعى فيها كل شعب الى اثبات ذاته في المكان الاول الانفلات من الدوامة الرهيبة التي حبست فيها الشعوب الاوروبية بقية شعوب العالم ، وسعت الى الغاء الكيانات القومية لهذه الشعوب ، ومحو سماتها المميزة ، وصبها في قالب النموذج الاوروبي ، بحيث يصبح العالم كله نسخة مكرورة مما يحدث في العالم الغربي · ولا يعني اثبات الذات بالتخلص من القيود والضغوط التي فرضها الاستعمار الفكري ان ينصرف الناس كلية عن كل ما هو عالمي النفع وقد أسهم في الحضارة الغربية ماهو عالمي النفع وقد أسهم في تطويره كل شعوب العالم خلال التاريخ حتى استقر في العصور الحديثة في ديار الغرب ، فهو ملك لجميع البشر ومعنى ذلك أن الاوان قد آن لمواجهة شجاعة لكل الافكار والنظم الموروثة عن عهد السيطرة الاستعمارية وتجريدها من الهالة التي اسبغها عليها النفوذ المباشر ثم قياسها بعد ذلك بمقياس المصلحة المجردة واكتشاف مدى ملاءمتها للبيئة التي نعيش فيها واستقامتها مع ظروفنا التاريخية والبشرية ·

الغزو الفكري الغربي

ان الغزو الفكري الغربي استتبع محو الشخصية القومية للامة وتعطيل مصادر القوة والفعالية في كيانها ببترها عن تراثها وصدها عن منابع الاصالة في اعماقها وتحويل وجهتها تحويلا شاملا تتعطل فيه الارادة ، وينشل التفكير ولا يبقى الا الفرض والاملاء من جانب المستبد الحاكم والتقليد الاعمى ، والقبول من جانب الشعب الجاهل الذي تجمدت حضارته منذ قرون ، وجفت ثقافته ، وفقد جذوة الايمان بتراثه وقيمه ، ولم يبق له من امجاد ماضيه ومفتاح شخصيته سوى الاشكال يتمسك بها في رتابة والية دون أن يحس باثرها في سلوكه او يشعر بقيمتها في حياته · ومن ثم سهل على الاستعمار ان يبدله حياة نابضة نافعة في مقابل

حياته التقليدية الجامدة التي فقدت حيويتها ، واصبحت تكرارا مملا يحافظ الناس عليه بحكم العادة ومن قبيل التمسك بآثار الماضي ، وذكريات الأجداد ، اذ ماذا يجدي نظام التعليم التقليدي الذي تجرد منذ قرون طويلة من كل روافده الحيوية ، التي تصله بدنيا الناس طبا ، وهندسة ، وفلكا ، وكيمياء ، واقتصادا ، وتجارة ؟ ماذا تفيد الصورة الاخيرة التي استقر عليها نظام التعليم في الخلوة أو الكتاب من تعليم الشباب بعض سور القرآن الكريم وبعض المعلومات عن علوم اللغة العربية والدين ، في عالم متطور يموج بالحياة ، ويزخر بمؤسسات الدولة الحديثة التي تحتاج لكافة التخصصات مما لا تقوى عليها الخلوة أو الكتاب أو اي مؤسسة تعليمية اخرى في البلاد ، لقد وجد المستعمر اثرا جامدا من آثار الماضي في شكل الخلوة فلم يأبه لتطويره لانه ليس حريصا على ذلك ، وانما اغفله واهمله واشتق طريقا جديدا هو طريق المدرسة المدنية التي يتعلم فيها الصبية والشباب علوم الدنيا التي تؤهلهم لملء المناصب في اجهزة الدولة وتتيح لهم فرص العيش الرغيد في مجتمعهم الحديث · وكانت وجهة النظر التي يتلقون من خلالها هذه الدراسات والعلوم مغايرة ان لم تكن معارضة لوجهة النظر التقليدية في تلقي المعرفة ، وهكذا نافست المدرسة الخلوة ، وبعد معركة غير متكافئة صرعتها وتغلبت عليها · والدين الذي يكثر الناس من الحديث عنه ·· ماذا بقي منه في الحياة الا ممارسة هذه الطقوس الخاوية من الروح · والتي يؤديها الناس



في رتابة ، وآلية ، ثم ينصرفون بعد ادائها وكأنها واجب ثقيل فلا تنعكس على مسلكهم ولا تؤثر في حياتهم الا في اضيق الحدود ؟ اليست الدعوى العريضة التي قامت عليها حضارة الغرب الحديثة من نفيها للدين عن الحياة العامة وتقليصها لنفوذ احكامه ، بحيث يصبح امرا شخصيا خاصا لا علاقة له بالمجتمع ولا بالدولة ، اليست مثل هذه الدعوى مغرية لشباب نشأ في بيئة جامدة تعطل فيها فعل الدين ولم تبق غير مظاهره الخارجية ·

ثم ان هذا الشباب قد صرف عن التعمق في دراسة هذا الدين على جموده ، واتجه به وجهة جديدة تغذي فيه روح الشك في ثقافته وفي دينه ، ولذلك لا عجب ان وجدت كل الافكار التي صاحبت النهضة الاوروبية الحديثة سبيلها الى العقول العطشى والقلوب الخاوية · فأصبحت العلمانية بمعنى ابعاد الدين كعنصر فاعل في حياة الناس العامة عقيدة تقوم عليها فكرة الدولة ، وتستقر عليها نظرية المواطنة تحت شعار (الدين لله والوطن للجميع) · والآن وقد ابعد الدين عن مجال التعليم العام ونفي عن التأثير في السياسة العامة فما أسهل نفيه عن مجاله الاخير وهو مجال القيم الاجتماعية والاخلاقية ولم يكن ذلك عسيرا اذ كان الطريق ممهدا في هذه الازدواجية القائمة بين عقيدة الناس التي ترسم لهم نظرتهم الى الحياة وبين مسلكهم الفعلي الذي لا يتقيد في الواقع بما ترسمه العقيدة · فان العقيدة تنهي عن شرب الخمر وعن الزنا وعن اشياء كثيرة اخرى ، ولكن كم من الناس من يفعل كل ذلك جهرة دون رادع ؟ ما أسهل في مثل هذا الواقع أن تستقر فكرة نسبية الاخلاق ، وأن يصحبها القول بأن اخلاق الفرد وما يمارسه في حياته الخاصة امر يخصه هو ولا علاقة له بالمجتمع ما لم يرتكب امرا يضر ضررا حسيا بالآخرين · وكل هذا يقع في نطاق الحرية الفردية التي تخضع لتقدير الفرد ولا تتقيد بأحكام الدين ·

القوانين الاوروبية ·· لا الشريعة

وما دام الدين قد نفي بهذه الطريقة عن كل مجالات المجتمع ، ولم يحس الناس بفقده في كل هذه الحالات لانه كان دينا شكليا جامدا ، فما أسهل ان يجد المجتمع الجديد التعبير عن احكامه لا في الشريعة وانما في القوانين الاوروبية الحديثة التي تعكس كل هذه الافكار · فكما قامت المدارس ـ المدنية وهيمنت على حياة الناس الفكرية ، وترك للخلاوي تدريس القرآن وابجديات الفقه ، قامت المحاكم المدنية وهيمنت على حياة المجتمع القانونية تاركة للمحاكم الشرعية قضايا الطلاق والزواج والنفقة وما اليها مما يعرف بقضايا الاحوال

يتبقى أن ننظر لأنفسنا بمنظار أنفسنا لا بمنظار غيرنا من الشعوب، وأن نقيم تجربتنا الحضارية في ضوء تاريخنا وظروفنا الإجتماعية، لا في ضوء تاريخ غيرنا.

الإسلام يجعل ضمير الفرد ضميرًا إجتماعيًا.

الشخصية · والحديث يطول ان فصلنا القول في مناهج الفكر المادية التي ارتبطت بالثورة العلمية في اوروبا وانتقلت منها الى بقية العالم ، وكلها تعتمد في تفسيرها للظواهر الكونية على النظرة المادية التي تغفل وجود الله او تنكره ، ويبلغ هذا الاتجاه غايته في الفلسفات الالحادية التي لا تؤمن بالله ولا بالغيب ويتمخض عن هذه العقائد الفكرية سلوك في الحياة لا يتقيد بعرف ولا خلق مما هو معروف من شيوع الافكار التحررية الداعية الى التحلل والانسياق مع نداء الغريزة بحسبانه نداء الطبيعة الذي يجب أن لا يكبت [illegible] هذا الاتجاه غايته فيما يعرف بالثورة الجنسية التي [illegible] كثيرا من المجتمعات الغربية حتى طالب بعض [illegible] في احدى دول اسكندينيفيا باباحة زواج الرجل [illegible] وزواج الاخ اخته وإباحة العلاقات الجنسية بين افراد العائلة فلا يعرف من الاب ومن الاخ ومن الام ومن البنت · وما دام الانسان الحديث يسعى الى رفض كل قديم يحجر على حريته في الاستمتاع واطلاق العنان لغرائزه وشهواته منطلقا من الشعار الالحادي المعروف (اذا كان الله غير موجود فكل شيء مباح) فان المستقبل ينبيء بجاهلية شوهاء تنطلق فيها الشهوات دون رادع ويستولى على الناس حب المال لتحقيق رغباتهم ، وما دامت كل الضوابط والقيم التي تكسر من حدة الاطماع وتقيد من جموح الشهوات قد زالت فانه الطوفان لاغير ·· خاصة والبشرية مقبلة في اعوامها القادمة على انفجار سكاني لم يشهد له العالم مثيلا يهدد بضخامته كل الموارد الطبيعية المتاحة على الارض ، وينذر بافناء الجنس البشري كله ·· فكيف بالعالم وهو يواجه هذا الخطر الماحق على وجوده مع انتشار هذه الدعوات البدائية التي تعود بالانسان الى فجر الحياة حين كان الى الحيوان اقرب منه الى الانسان ، وتلغي كل كفاح الانسان في اقامة المجتمعات الانسانية التي تقوم على علاقات راسخة اكدتها تجربة الانسان على الارض ورعتها رسالات السماء ·

ان الامر يبدو وكاننا نسير في طريق مسدود سلكته قبلنا حضارات اخرى سادت لفترة ثم عراها وباء الترف والتفسخ فشاخت ثم بادت « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » · والمفارقة في كل ذلك اننا نتحرك مع دول الغرب الى الهاوية بالتبعية لا بالاصالة ونذهب الى الجحيم كما ذهب ذلك الطفيلي الذي رأى جماعة يساقون الى القتل فسالهم الى اين انتم ذاهبون فقالوا له الى وليمة فذهب معهم وعندها تبين له سوء المصير · ونحن في كل هذا تابعون مقلدون لا نستوحي انفسنا ولا نصدر عن ذواتنا · والسؤال الذي يجيبنا هنا هل بقيت لنا ذات نستوحيها بعد كل هذا التلاعب والتخريب الذي الم بحياتنا والجواب على ذلك ان لنا ذاتا لا تزال كامنة في اعماقنا رغم كل هذه الظروف المضلعة التي احاطت بنا منذ أن تعرضنا للهجمة الاستعمارية في بداية العصر الحديث · وان هذه الذات هي وليدة حضارة متفردة لها معاييرها الخاصة وشخصيتها المتميزة ، وان كثيرا من الوان العقم في حياتنا الخاصة والعامة ناجم من ان تطور مجتمعنا لا ينبع في كثير من جوانبه من وحي هذه الذات وفي ذلك ما فيه من تعميق للازدواجية بين ما هو مستقر في اعماق نفوسنا من ناحية وبين واقع مسلكنا من ناحية اخرى · ومما زاد السوء سوءا ان الازدواجية القديمة القائمة بين ايماننا ومسلكنا كانت وليدة تطور طبيعي جهل فيه الناس تراثهم من جراء الانهيار الكبير الذي الم بحياة المسلمين السياسية والاقتصادية والثقافية فضمرت روح الحضارة ووهنت فعاليتها ، وخمدت جذوتها ، واستكان الناس بفعل كل ذلك الى ضرب من الحياة الجامدة الرتيبة فكان ايمانهم بالتالي جامدا رتيبا ، فضعف بالتالي اثره على النفوس فانساقت من ثم الى الطريق المباينة لمعظم قيم التراث · اما الازدواجية الحديثة فقد سعت الى اقامة حد فاصل بين حاضر الناس وماضيهم وكان هدفها وما يزال تكريس المفارقة التاريخية بين المثال الذي هو قيم التراث وواقع الحال الذي هو المسلك العادي للافراد بحيث يصبح واقع الحال في صورته المعقة المستوردة بديلا عن المثال وبذلك يتخذ تطور المجتمع وجهة جديدة لا علاقة لها بماضي الناس الا في اضيق الحدود ، فتبت صلتهم

بجذور حضارتهم وتجف القنوات التي تربط شخصياتهم بمنابع أصالتهم ، وما دامت الشخصية فقدت ذاتيتها الحضارية سهل عليها استبدال حضارة بحضارة ونهج بنهج اخر ٠ وهذا هو ما تسعى اليه الحضارة الغربية الغازية في علاقتها بشعوب العالم الثالث : ان تشكك هذه الشعوب في قيمة حضارتها ، وأن تضعف ثقتها بانفسها ، وأن تقيم الحدود والسدود بين ماضي الناس وحاضرهم بابراز النموذج الاوروبي بديلا امثل لا يتم التقدم الا عن طريقه ، فتندثر بالتدريج كل المؤسسات التقليدية وتحل محلها المؤسسات الاوروبية كما رأينا في كافة حقول الثقافة ، والعلم ، والقانون ، والحياة الاجتماعية ، وبذلك يتم الذوبان الكامل في النموذج الاوروبي ٠ وغير خاف على الناس اساليب الغزاة في احداث هذا التغيير الحضاري ٠ فبالاضافة الى الحركة الفكرية ضد التراث وتجاهله وانشاء مؤسسات بديلة عنه في المجتمع تتعمق حربهم النفسية فتسعى فيما يتعلق بالعالم الاسلامي خاصة الى تجاوز مرحلة الحضارة الاسلامية ، ورد الشعوب الاسلامية الى جاهلياتها الاولى فيوحون الى شعب مصر بأن سر عظمته ليس في الاسلام وانما هو في الفرعونية ، ويوحون الى شعب لبنان بان الاسلام دخيل عليه ومجده [illegible] الفينيقية وافلحوا الى حد كبير في اقناع الاتراك بان مجدهم القومي في الطورانية وليس في الاسلام ، وهكذا الامر في ايران يقذفون فيها الروح الساسانية ، وفي شعوب شمال افريقيا البربرية ، وفي تونس القرطاجية ، وفي الشعوب الافريقية المسلمة ردة الى اصول افريقية وثنية مبهمة وحتى حركة القومية العربية في بعض مظاهرها هي امتداد للسعي الدؤوب لتجاوز الحضارة الاسلامية التي تربط بين كل هذه الشعوب برباط الاخوة والتكاتف والعقيدة ٠ فاذا انفصل هذا الرباط تشتت العالم الاسلامي الى قوميات جاهلية متناحرة مثلما حدث في أوروبا اثر انهيار الامبراطورية الرومانية المقدسة ٠

وذهبوا في اتجاه ابعاد الناس عن تراثهم الاسلامي خطوة أبعد بسعيهم الى إبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي في كتابة اللغة العربية ، وفي كتابة اللغات الاسلامية التي كانت تكتب بالحروف العربية : فمنذ ان غيرت تركيا الحروف العربية في الربع الاول من هذا القرن واستبدلتها بالحروف اللاتينية انفصل شباب الاتراك عن تراثهم الاسلامي المكتوب بالحرف العربي ، وقد مثل ذلك في لغة « الهوسا » و « السواحلية » ولغات أواسط اسيا وجنوب شرقي اسيا ٠ واستمرت حربهم للغة القرآن فنشطوا في الدعوة الى استعمال العاميات كبديل عن العربية الفصيحة العتيقة في زعمهم ، وكل ذلك بحث [illegible] والغرض منه ليس احياء امجاد هذه الاقوام برجعها الى ما قبل الاسلام ، وانما هو تدمير العنصر الاسلامي الفاعل في حاضرها حتى يخلو الجو للنموذج الاوروبي المدعوم من الخارج ٠

الحرب بين الحضارات

وما يحدث في هذا المجال ليس غريبا ولا جديدا في تاريخ العالم فان الحرب بين الحضارات شبيهة بالحرب بين الجيوش وتتراوح بين الغلبة المطلقة بأن تنتصر حضارة على اخرى كما فعل الاسلام بكل الحضارات التي وجدها في الاراضي المفتوحة ، وكما فعلت الحضارة الاوروبية المعاصرة مع بعض مجتمعات العالم الثالث ، وبين تعادل الكفتين كما هو الحال في نظري بالنسبة لعلاقة الحضارة الاسلامية بالحضارة الغربية ، فانه رغم كل هذه المحاولات الدائبة لاستئصال النموذج الاسلامي من حياة الشعوب المسلمة فان الحرب ما تزال سجالا وان الهزائم المؤقتة التي تمثلت في فرض كثير من مظاهر الحياة الغربية ومؤسساتها على مجتمعاتنا لا تعدو ان تكون بمثابة الميكروب الذي يتسلل الى الجسد فيثير في الجسد روح المقاومة والدفاع ٠ وقد كان لهذا الغزو الاوروبي اثره الكبير في تنبيه الشعوب المسلمة الى سوء الحال الذي انتهت اليه حتى طمع فيها كل طامع فاستيقظت تبحث عن ذاتها الضائعة وتسعى الى اثبات اصالتها واسترداد كرامتها ٠



ليس الدين نظرية غيبية مجردة نقبلها او نرفضها كأي فكرة فلسفية .

الدين اسلوب حياة ونظام حضارة يصوغ شخصيات الأفراد ويحدد علاقات المجتمع .

الاعتزاز بالكرامة القومية

ولعل اهم مظاهر الانعتاق من سيطرة الغرب الفكرية هو هذا الشعور العام بالثقة بالنفس والاعتزاز بالكرامة القومية الذي نتبينه بوضوح في كل العالم الثالث وفي العالم الاسلامي بخاصة · وابرز عناصر هذه الثقة بالنفس الايمان بالتفرد والتميز والاختلاف واستقلال الشخصية الحضارية في مواجهة التحدي الحضاري الغربي الذي يسعى الى طمس معالم هذه الشخصية وادراجها في اطار الشخصية الاوروبية الفاعلة · ويتبع هذا الايمان بالتفرد والتميز من ادراك ان الشخصية الحضارية لامة من الامم وليدة بيئة خاصة وظروف معينة وانه بقدر حيوية الاصول الفلسفية والروحية والاجتماعية والثقافية التي تمد هذه الشخصية بعناصر البقاء يكون صمودها وتكون مقاومتها لمحاولات الابادة والاذابة · وانه بنفس القدر لا سبيل الى التقدم والتطور الا برعاية هذه الاصول ومعايشتها وربطها بحياة العصر حتى نصل ما انقطع من تراثنا فتتجدد ثقافتنا وتزدهر حضارتنا وهذا يقتضينا ان ننظر الى انفسنا بمنظار انفسنا لا بمنظار غيرنا من الشعوب ، وان نقيم تجربتنا الحضارية في ضوء تاريخنا وظروفنا الاجتماعية لا في ضوء تاريخ غيرنا وتجاربهم التي تختلف عما عندنا غاية الاختلاف · فاذا كانت العلمانية تجربة رائدة في المجتمع المسيحي فلأنها تستقيم ووضع الدين المسيحي في حياة المجتمع الغربي الذي انهكه الصراع بين الكنيسة والدولة · فان الكنيسة ارادت ان تتجاوز حدودها المرسومة بأن تحفظ ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر ، فارادت ان تكون قيصر وهي ليست مؤهلة للقيام على المجتمع المدنية لطبيعة المسيحية التي لا تتوسع في تفاصيل التشريع الاجتماعي ، فكانت سيطرة البابوات على حياة الانسان الاجتماعية ضربا من الوان القهر والتسلط والفساد لم تتخلص منه اوروبا الا باقصاء الدين ورجاله عن دائرة الحياة العامة ورد الدين الى مكانه الطبيعي ، وهو ان يكون صلة بين العبد وربه ، ولا يتدخل الا في اضيق الحدود في حياة الناس العامة · ولضراوة الحرب بين العلماء ورجال الدين في هذه المرحلة ، ولا تسام افكار رجال الدين بالتزمت والتشبث في هذه الفترة قد تشبعوا بثمرات الفكر الاسلامي في الفلسفة ، والطب ، والهندسة ، والرياضيات ، والفلك يدرسونها في الاندلس ، وفي صقلية ، وفي الجامعات التي قامت في اطراف هذه المناطق الاسلامية في جنوب فرنسا وجنوب ايطاليا ، فكان الصدام بين الاتجاهين عنيفا انتهى كما نعلم بمحاكم التفتيش ، وحرق العلماء ، وابادة كتبهم كما ابادوا المكتبات الاسلامية في اوروبا ، ولذلك لا عجب ان تقوم النهضة الفكرية في اوروبا على انقاض الدين وان يقوم النهج العلمي على انكار ذلك النهج الغيبي الذي سمى به رجال الدين في اوروبا في القرون الوسطى لتفسير الكون · وبعد ان تقلصت قبضة الكنيسة على الحياة في اوروبا وتدهورت بالتالي الامبراطورية الرومانية المقدسة التي كانت تستند عليها انتشرت على اساسها اعلام القوميات الاوروبية التي لم تلغ المسيحية في ادائها او صبغها بصبغة ثابتة ، واصبح شعار « الدين لله والوطن للجميع » شعارا يستقيم مع واقع الحال في اوروبا · وليس الامر كذلك في الاسلام · فان الاسلام دين تعبدي كالمسيحية وهو في نفس الوقت نظام اجتماعي وحضاري ولكنه ليس حكما دينيا ضيقا ثيوكراسي يتولى الامر فيه طبقة من رجال الدين ويفرضون افكارهم على بقية المجتمع كما فعلت البابوية في اوروبا ، وانما هو نظام دقيق من المعادلات والموازنات ترتبط فيها قيم الدين وشعائره بحياة الناس بحيث يصبح الدين هو الوجه الاخر للحياة وتصبح الحياة هي الصورة المقابلة للدين ، ويفعل الدين فعله في نفوس الافراد عن طريق شعائره العملية واوامره ونواهيه بحيث يصوغ هذه النفوس صياغة اجتماعية راقية بحيث يصبح الفرد في ذاته صورة صغرة للجماعة يحمل في اعماقه كل الفضائل التي تجعل منه مواطنا صالحا بالضرورة ويوحي الضمير ويحمل في نفس الوقت كل قوى الردع التي تحول بينه وبين انتهاك الحرمات والسعي في الارض بالفساد ، فهو بحكم تربيته وما ترسب في اعماقه يفعل الخير بدافع من داخله ، وينتهي عن الشر لا خوفا ولا رهبة من فرد ، ولكن لانه يخشى الله الذي هو فوق كل شيء · الاسلام يجعل ضمير الفرد ضميرا اجتماعيا ومن ثم تتسم حياة المجتمع المسلم بهذه الروح الجماعية الخيرة التي تقوم





على التكاتف والتعاون والتناصر ولا تحتاج في تحقيقها الى الاجهزة ، وانما تنطلق من الافراد انطلاقا حرا يعم المجتمع بالخير والبركة ، والى هذا يرجع سر تماسك المجتمعات المسلمة ومنعتها وقوتها رغم انهيار الدولة · ولعله لهذا السبب لم يتوسع الاسلام في نظام الحكم لانه يهدف في المكان الاول الى خلق المؤمن القوي الذي يحمل في اعماقه بذرة المجتمع ·

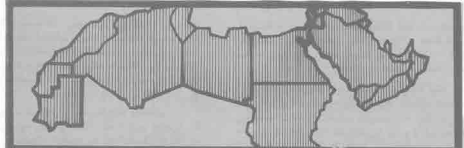
أسلوب الحياة

فاذن الدين بهذا المفهوم ليس نظرية غيبية مجردة تقبلها او نرفضها كأي فكرة فلسفية ، وانما هو اسلوب حياة ونظام حضارة يصوغ شخصيات الافراد ويحدد علاقات المجتمع ، فهو بالنسبة للمجتمع كينونة ، وهو بالنسبة للفرد انتماء ، ولا تستطيع اي واقع الاستلابات تجرد المسلم من دينه دون ان تجرده من وجوده وكيانه · ونحن نعني الدين هنا في معناه الاسلامي الشامل وليس الدين بالمعنى الاوروبي الضيق كأمر تعبدي لا علاقة له بالمجتمع · ويصبح التراث الديني بالتالي ليس مادة للتأمل العقلي فحسب ، أو موضوعا لزيادة الحصيلة الثقافية لاغير ، وانما يكون دستور المواطنة الذي ينظم سلوك الافراد ويمنحهم عاداتهم وقيمهم ويغذي فيهم روح المسئولية بما يرسمه لهم من تعاليم · وبهذه النظرة تتغير معالجتنا لكتب التراث فلا تكون مجرد مصدر للتاريخ ولمعرفة افكار الماضين عن مختلف القضايا ، وانما تصبح مصدرا حيا نسعى لا الى قراءته فحسب وانما لمعايشته ، فباب الطهارة في كتب الفقه مثلا مفروض فيه أن يكون درسا عمليا توضيحيا لنا لنمارسه في كل يوم من حياتنا · وهكذا الشأن في كل فروع الفقه والشريعة هي وصفات عملية لترشيد سلوكنا وبرامج للتنفيذ لتنظيم مجتمعنا لا لمجرد القراءة · وقل مثل ذلك في القرآن الكريم وفي تدبر معانيه والسعي لتطبيقها في حياتنا ، وبذلك يحيا التراث في حياتنا وتنتفي الازدواجية بين قيم تراثنا وبين مسلكنا ، وبذلك تعود الى حضارتنا حيوتها ، وتعود الى شخصيتنا وحدتها ، ويستعيد مجتمعنا تكامله · ومن البديهيات ان الماضي لا يحيا الا بمقدار ما يعيشه الناس في حاضرهم

وقد رأينا كيف تركزت خطة الغزو الثقافي الغربي في الحيلولة دون ان نبعث الحياة في ماضينا في ضوء تجربة العصر بحيث يصبح تطورنا نابعا من اصالة شخصيتنا ، فأقام مؤسسات بديلة نابعة من اصالة غيرنا فظللنا نحرث في البحر ، لان ما بأنفسنا لا يجد سبيلا الى التعبير في واقع حياتنا لجموده وعجزنا عن تطويره لجهلنا به وما يزخم حياتنا من مؤسسات لا يعبر عما بأنفسنا فتزداد الازدواجية اتساعا وتضيع ايامنا في التمزق النفسي بين ما هو كائن وبين ما يجب ان يكون · ومن البديهيات أيضا ان الحضارة روح وليست قوالب واشكال وروح حضارتنا الايمان بالله وحده وبالانسان خليفته في الارض · وان هذه الخلافة لم تتهيأ للانسان الا بما فضله الله به على العالمين من عقل ومعرفة ، ومن ثم كانت حضارة الاسلام حضارة علم وثقافة وكان المجتمع المسلم هو المجتمع الديني الوحيد الذي يكون فيه التفكير فريضة وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وكل شعائره وقرائنه تتطلب من معتنقيه تعلم الكتابة والقراءة فلا عجب ان ازدهرت العلوم وبلغ المنهج الاسلامي في المعرفة وفي معالجة [illegible] بعيدا في الموضوعية والدقة التي لم يرق اليها المتكلمون [illegible] العصور الحديثة · هذا الى ذلك الربط المتوازن بين قيم الدين ومواضعات الدنيا بحيث يتم التوازن والانسجام في داخل النفس البشرية بين روح الانسان وجسمه وبين عاطفته وعقله وتتوطد الصلة بين الفرد ومجتمعه بحيث تنتفي ثنائية الفرد والمجتمع ليصبحا بمثابة وجهي العملة الواحدة · وهذا التوسط هو الذي خص الله به امة محمد (ص) « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ان بعث الشخصية المسلمة في حياة المسلمين بعد انحسار موجة الغزو الاوروبي ، ليس حلا لمشكلة المسلمين الحضارية وحدها ، وانما هو الحل الحاسم لمشكلة البشرية جمعاء التي فقدت توازنها بفعلها الجائر بين روح الانسان وعقله فاستبدت بالناس الشهوات وتملكتهم الاطماع وعجزت كل القوانين عن كبح جماحهم ، فأصبحت حاجة البشرية ماسة الى هذه المعادلة الدقيقة بين حاجات الانسان الروحية وحاجاته العقلية ، وحاجاته الجسدية ، التي ينجم عن تناسقها تحقيق انسانية الانسان في أروع صورها الامر الذي لا يتوفر في اي نظام كما يتوفر في النظام الاسلامي ، وما نحن في اعماق انفسنا الا التجسيد الحي لقيمه التي ترسبت في النفوس خلال القرون ، وواجبنا ان نجلو عنه صدا القرون ونصله بروح العصر حتى يشع على حياتنا ارادة وقوة وبذلك تتغير نفوسنا فيتغير ما حولنا فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ·· صدق الله العظيم ···

مساحة جيولوجية عربيّة موحدة

درويش مصطفى الفار



المساحة الجيولوجية بكل بساطة التعبير هي جهاز علمي يقوم بدراسات متكاملة لصخور قشرة الارض على اليابسة او تحت الماء لمعرفة ما تحويه من احتمالات الثروة المعدنية والحجرية والبترول والغاز الطبيعي والماء الباطني ..

وبصرف النظر كلية عن اختلاف النظم الاقتصادية في دول الجامعة العربية اليوم ، فانه يمكن للعرب ان يوحدوا جهودهم في مضمار الثروة المعدنية في بلادهم بحيث :

● تدرس الثروات المعدنية المعروفة فعلا في الوطن العربي ، وتبوب استراتيجيا وترسم خطة تصنيعها بحيث لا يصدر (خاما) الى خارج الوطن العربي الا النادر اليسير الزائد عن حاجة التصنيع العربي .

● تبنى الخريطة الجيولوجية المتكاملة للوطن العربي بحيث توحد فيها المصطلحات التركيبية والزمانية والصخرية ، اذ انه من المؤسف ان الخريطة الجيولوجية لاكبر قطر في الوطن العربي لا تزال الى يومنا هذا « خريطة مؤقتة » ولا تتفق الحدود الجيولوجية فيها مع جاراتها غربا وجنوبا .. فما بالك بالخرائط الجيولوجية لغيرها من بلاد العرب ؟..

● تدرس احتمالات الثروات المعدنية في ارجاء الوطن العربي دراسة حقيقية خالية من « الاعلام والاثارة » ، وتقيم احتياطياتها تقييما صحيحا يعتمد عليها في رسم سياسة تعدينية اقتصادية سليمة للوطن العربي ككل .

ولن يتأتي هذا الا بجهاز قومي موحد دائم من جميع الجيولوجيين ومهندسي التعدين العرب لا بالاجتماعات والمؤتمرات العابرة . وللتدليل على اهمية الثروة المعدنية لمستقبل الوطن العربي جميعه يكفي ان نذكر خام الفوسفات ، وهي صخور غنية بعنصر الفوسفور وله اهمية كبرى كمخصب زراعي وكخام صناعي ويتزايد طلب العالم له باستمرار ، ولعله الخام المعدني الوحيد حتى الان الذي يمكن النظر اليه ليحل اقتصاديا محل البترول وهو موجود بكثرة في معظم الدول العربية ولعلنا نعرف انه سبب النزاعات التي تثور بين الحين والحين بكل اسف ويعني اعداء العرب ان تكون ثروتهم المعدنية مثار نزاع بينهم لا رباط اخوة ليسهل ابتزازها وشراؤها بابخس الاثمان .

ان جبال الوطن العربي وسهوله بها من الثروة المعدنية بانواعها ، حديدا وفحما ونحاسا وذهبا وفضة وكوبالت ونيكل وبلاتين وبورون وغير ذلك ما يحتم على العرب ان يوحدوا جهودهم في مضمار الثروة المعدنية بحثا واستكشافا واستغلالا ، اذ ان الوضع الحالي لمعالجة امر الثروة المعدنية العربية محفوف بالمخاطر والاطماع والتخطيط للنهب والسلب : فيا ايها العرب مستقبلكم الاقتصادي ، بعد البترول ، مرهون بثرواتكم المعدنية ، فاعدوا العدة قبل فوات الاوان بانشاء جهاز « مساحة جيولوجية عربية واحدة » وضعوها في ايد عربية صميمة امينة على تراث ومستقبل هذه الامة والحذر .. الحذر من الادعياء والدخلاء والذين لا يدينون بالعروبة ماضيا وحاضرا ومستقبلا ومصيرا .

د. عباس الجراري

من قضايا الفكر والأدب في المغرب

مازال الغبار الكثيف يخفي الكثير من تراثنا المكتوب

سيكون لقاؤنا مع قراء مجلة الدوحة القراء على هذه الصفحة حول بعض قضايا الفكر والادب التي تتعلق بالمغرب ، نقصد ان نتناول فيها الموضوعات التي اثارت او تثير جدالا وخلافا حين تلقى على بساط الدرس والبحث ·

وسنحاول ان نلتقط اهم هذه القضايا لنعرضها ونبسط فيها القول والنقاش ، ثم لنبدي فيها الرأي ان كنا قد انتهينا فيها الى رأي ، مع ترك باب الحوار وتبادل وجهات النظر مفتوحا لكل المهتمين من قراء هذه المجلة ·

وليست تخفي اهمية دراسة هذا الموضوع في اجلاء كثير من الغموض وابراز غير قليل من جوانب الحقيقة في تاريخ المغرب الفكري والادبي ، وليست تخفي كذلك الصعوبة التي تعترض الدارس ، وهي صعوبة تتجلى في امرين :

أولهما : عدم توافر مادة البحث كاملة بسبب قلة المصادر حينا ، وانعدامها حينا اخر ، مما يجعل المادة مفككة غير مكتملة ولا مرتبطة الحلقات ·

الثاني : وجود أحكام مسبقة مسيطرة على الافكار ، وهي أحكام صدرت في بعضها عن بحث موضوعي ، محدود بما كان يمكن الوصول اليه في المكتبة المغربية ، ولكن امر هذه المكتبة لم يعد كما كان ، وظهر كثير من الجديد فوجب اعادة النظر في تلكم الاحكام ، وهي كذلك صدرت في بعضها الاخر بعيدا عن الموضوعية ، وتحت تأثير دوافع ذاتية تختلف اتجاهاتها عند الباحثين اذا كانوا مغاربة او مستشرقين او حتى مشارقة · وقد زالت الظروف التي املت هذه الدوافع ، فلزم أن يراجع ما نشأ عنها من أحكام ·

ولسنا نزعم ان النقاب كشف كليا عن المكتبة المغربية ، ولا أن اسباب البحث العلمي قد تيسرت للدارسين ، فمازال الغبار الكثيف يخفي الكثير من تراثنا المكتوب ، ومازال الباحثون يتكبدون من المشاق ويصادفون من العراقيل ما يعوق عن الاستمرار ان لم يعق عن البدء · ولكنا مع ذلك نرى حقالنا ـ نحن ابناء هذا الجيل ـ وواجبا علينا كذلك ، أن نقول كلمتنا ، نضيف بها دما جديدا ، أو نحرك الدم القديم على الاقل ، ونحن على يقين من انه يوم يزاح الستار عن المكتبة المغربية وما يكملها من مختلف الوان التراث ، ويوم تتاح دراسة كل ذلك بموضوعية وفكر متحرر من كل الوان القيود ، يومئذ سيعاد النظر كليا في تاريخنا الثقافي والحضاري ، وسيكتب هذا التاريخ من جديد ، وفي أطار يبرز الملامح الحقيقية للفكر والادب في المغرب ·

الفراغ المطلق !

ويعترضنا سؤال كثيرا ما ترددت أصداؤه ، نرى ان نطرحه ، تمهيدا لما سنتناول في هذه الصفحة من احاديث ، وقضية قائمة الذات تستحق هي الاخرى ان تناقش ، هذا السؤال هو : (هل لنا تاريخ فكري وادبي ؟) .

والدافع المباشر الى هذا السؤال هو ما تعرضه كتب تاريخ الادب العربي التي يعتمدها التلاميذ والطلبة والاساتذة في المدارس وحتى في الجامعات ، فان القارىء في هذه الكتب يحس فراغا مطلقا بالنسبة لبعض الاقاليم العربية ، والمغرب منها خاصة ، فانه لايكاد يجد له فيها أي ذكر ، وغالبا ما ينتهي من قراءتها الى الاقتناع بأن المغرب لم ينتج شيئا في الفكر والادب وحين لا يقتنع فانه يظل يطرح السؤال .

والمتأمل للامر ، اذا هو لم يشرع ويصدر حكمه على المغرب بالجرد والقحول ، فانه يستنتج أن الذين أرخوا للادب العربي عامة ، وهم في أغلبهم من المشارقة ، اهملوا هذا البلد ، أو انهم يجهلون أن أبناءه قد انتجوا خلال العصور شيئا يستحق أن يسجل لهم في هذا الميدان ..

ومهما حاولنا ان نحمل مؤرخي الادب مسؤولية هذه الظاهرة ، فان لهم من العذر ان كتب التاريخ الادبي بمفهومه الحديث - وهي التي نقصد - الفت في الفترة التي كان المغرب يرزح تحت نير الاستعمار ، وانه لم يكن ممكنا تخطي الحواجز والسدود التي كانت مفروضة وخاصة بالنسبة لمن يأتي من الشرق ، حتى يتاح التعرف الى تراثه والاتصال بابنائه . ولهم من العذر كذلك أن المغاربة أنفسهم مهملون ومقصرون في تعريف غيرهم بما انتجوا وينتجون ، ليس في مجال الفكر والادب فحسب ، ولكن في غيرهما من المجالات كذلك . وهذه للاسف حقيقة ثابتة ، ولكن ثبوتها لا ينفي عن المغاربة كل اعتناء بتسجيل تاريخهم الفكري والادبي ، والا فالمكتبة المغربية شاهدة على ماكان لهم في هذا الميدان ، بل ان الجهود التي بذلها الجيل الماضي في النهوض بمسؤوليته الفكرية في اطار الكفاح الوطني شاهدة بدورها ، وان تعرضت للجحود والنكران .

مرحلة الوعي بالوجود

مهما يكن فان ظروف الاستعمار قد زالت بعد ان تحررنا سياسيا منه ، واستيقظنا من السبات العميق الذي كنا نغط فيه ، وبدأنا نعي وجودنا ومقتضياته ، واصبح واجبا علينا نحن ان نؤرخ لفكرنا وادبنا ، وان نكمل النقص ونملأ الفراغ الذي يتخلل حلقات تاريخ الادب العربي ، وهو تاريخ سار في منهجه كما هو معروف وفق نظرية تعتمد ربط الادب بالسياسة ، وبالسياسة في منطقة معينة . وهذا ما جعل مؤرخي الادب يقعون في اخطاء كشفت عن عيوب واضحة في هذا المنهج ، أن السياسة لم تكن تسير في اتجاه واحد في جميع البلاد العربية ، وانها مهما تكن لا تنهض باحداثها وتطوراتها المفاجئة مقياسا للادب والفكر أو موجها لهما .

ونتج عن هذه العيوب أن وقف المؤرخون عند بلاد معينة وسياسة معلومة قسمت الى عصور ، وعند اسماء غدت لامعة براقة لانها كانت تواكب هذه السياسة ونتج عنها كذلك ان اهملت بعض البلاد وحكم على بعض العصور بالازدهار ، وعلى البعض الاخر بالانحطاط .

من هنا نرى تاريخ الادب المعروض على التلاميذ والطلبة في المدارس والجامعات لا يطابق واقع الامة العربية الفكري والادبي ، ومن هنا ندعو ونؤيد الداعين لمنهج الاقليمية الذي يعتمد البيئة ومقوماتها ومؤثراتها أساسا للدراسة .

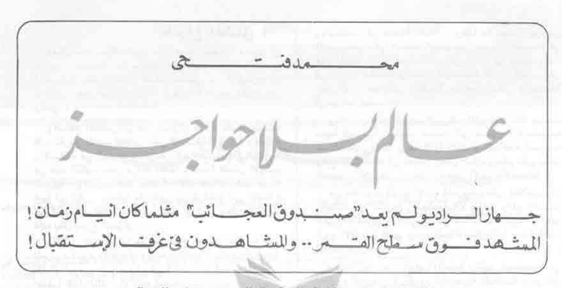
ونؤكد اننا حين نقول الاقليمية وتأثير البيئة في الفكر والاديب ، لا ننسى الشخصية الذاتية والمواهب الفردية ، ولا نعني تضييق الافق والانحصار في اطار المحلية ، وانما الاقليمية هي الوسيلة الوحيدة للم شتات الفكر والادب في كل الوطن العربي ، والوسيلة كذلك للعالمية والانسانية ، بل اننا نرى انه كلما قسم نطاق الاقليم في الدراسة الى بيئات صغيرة ، كلما كانت دراسة الاقليم مكتملة ومستوفاة ، ومن هنا نحبذ الابحاث والتواريخ التي الفت وتؤلف عن تطوان وفاس ومراكش وسوس ، فانه من مجموع هذه الكتابات يمكن ان تستخرج الصورة الحقيقية لتاريخ المغرب ، سواء السياسة او الفكر او غيرهما .

وبعد ..

فماذا من جواب على السؤال : (هل لنا تاريخ فكري وادبي ؟) .

ان المغرب ليس بدعا من الامم والشعوب حتى لا يكون له هذا التاريخ ، لا سيما وقد تعاقبت عليه خلال العصور حضارات وثقافات مختلفة ، لابد انه تأثر بها ان لم يكن بادلها التأثير والعطاء ، ولا سيما كذلك وانه مسك في بعض فترات تاريخه زمام النفوذ في حوض المتوسط ، وعرف وهو يمارس سيادته ، كيف يستفيد مما عند الاخرين ويقتبس دون ما حرج او تعقيد .

وهذه حقيقة اذا وعيناها ادركنا أن الاجابة على السؤال ستقدم نفسها - بعيدا عن كل ادعاء وزعم - يوم نخرج انتاجنا ونحققه وندرسه ونستخلص منه ، وقد بدأ شبابنا فعلا ينهض بهذه المهمة في كثير من اليقظة والوعي ، وينجز دراسات وابحاثا على الرغم من قلتها فانها تبشر بخير كثير .



الاتصال بالجماهير الكبيرة ظاهرة هذا العصر • ونعني بالاتصال هنا تلك القدرة العجيبة التي أذن الله أن ينكشف عنها الحجاب قبيل بداية هذا القرن ، وأن يطورها العلم في سرعة فائقة ـ الا وهي نقل شتى الرسالات على تنوعها من خبر ، ودعوة ، واعلان ، ودعاية ، وثقافة ، وترويح فوق امواج الأثير لمسافات ، بالغة « ما بلغت في البعد والمدى ، فيتلقاها الناس أيا كان موضعهم على ظهر البسيطة واضحة غاية الوضوح ، مسموعة ان شاءوا ، بل ومصورة وبالوانها الطبيعية ان هم كذلك شاءوا •

لم يعد في ذلك النوع من الاتصال الاذاعي والتليفزيوني شيء من العجب • مضى ذلك الوقت الذي كان يسمى فيه جهاز الراديو صندوق العجب : يضغط الانسان على زر من الازرار فتجيئه تلاوة من أي الذكر الحكيم ، ويضغط على زر آخر فيسمع رئيس دولة يخطب •• أو يسمع أخبار الدنيا •• أو تروح عن نفسه المعزوفات الموسيقية والغنائيات ، والتفكهات ، والتلهيات • مثل هذا الاتصال في عصرنا هذا جزء من النظام المعتاد للفرد ، جزء من روتين الحياة اليومية ، لا ينافس وانما يؤخذ على علاته كما تؤخذ المسلمات :

الصاروخ ينطلق بالانسان ومعداته ، مرتجلا من كوكبه الارضي ، مخترقا أجواز الفضاء ، خارجا من الارض داخلا في فلك أجرام وكواكب أخرى ، هابطا كما تهبط الحمامة في تؤدة وأمان وعناية من الرحمن فوق سطح الكوكب •• وفي لحظة مسجلة في أم الكتاب يمشي الانسان بقدميه فوق سطح القمر •• ! وتنقل أدوات الاتصال السمعية والبصرية هذا المشهد الكوني لاهل الارض فيرون ويسمعون ، قلوبهم وجلة خاشعة ، وأرواحهم هائمة ، ونفوسهم لا تملك الا أن تسبح لخالق الخلق والاكوان وسع كرسيه السموات والارض •

جراح اميركي متخصص في جراحات القلب ، يجرى في أحد مستشفيات الولايات المتحدة الاميركية بهوستون جراحة مستحدثة في قلب انسان ، فيتجمع نظراؤه الجراحون في سويسره بجنيف ، ويجلسون أمام شاشة التليفزيون يراقبون العملية أثناء اجرائها ، خطوة بخطوة ، ودقيقة بدقيقة ، يراقبونه ثم يوجهون اليه ما يعن لهم من اسئلة في توها ولحظتها فيرد عليهم الجراح وفي يده المشرط مشيرا موضحا أيضا في التو واللحظة •• هو في أميركا وهم في سويسره !••

وكأنما لسان الحال يقول وأي غرابة في ذلك ؟!•• رضى الله عن عمر بن الخطاب ، كان على المنبر يخطب يوم جمعة واذا به يوجه رسالة جانبية لا يفقه مرماها الحضور من المصلين « يا سارية الجبل ! » فيلتقطها

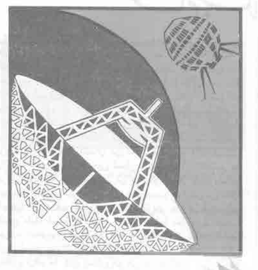
سارية من الاثير باذنيه ويلزم الجبل وتوقف الغزوة ٠ أي غرابة في ذلك ؟٠٠

ولقد أتاك من قبل حديث ذلك الكندي الذي كان يستمع الى اذاعة دولية مذاعة من راديو القاهرة عن مصر ، واذا ما قيل له انه يستمع الى تلاوة من القرآن الكريم وهو كتاب المسلمين المقدس يشد سمعه وفؤاده ، وهو لا يفهم اللغة العربية ولا يعرف شيئا عن الاسلام ، لكن هذه الدقيقة أو الدقيقتين من تلاوة الشيخ محمد رفعت من سورة الرحمن سكبت في قلب ذلك الكندي ، الذي كان يعيش في مزرعته على بعد الاف الاميال ، نور الهداية فاضاء قلبه ٠ جاء بعد ذلك بالقران مترجما ويكتب عن الاسلام ثم آمن ودخل في زمرة المؤمنين المسلمين ٠ وجاء فيما بعد الى القاهرة ليلتقي بهذا المقرىء الكفيف الذي طرح الله في قراءته البركة فهدت واحدا من ملايين الحائرين التواقين الى الصراط المستقيم ٠٠

ويشهد البشر في كل انحاء الدنيا على شاشات التليفزيون رؤساء الدول في زياراتهم لبلدان قاصية ، ويلمحون حرارة الاستقبال أو فتوره كما يرون مظاهرات الصداقة أو العداء في توها ولحظتها ٠ ويشاهدون المباريات الرياضية الدولية مثل مباريات الدورة الاولمبية أو كأس العالم لكرة القدم من منتوفيديو أو ميونيخ أو طوكيو أو أميركا الجنوبية ٠ كل ذلك وغيره من امثلة يحدث تحت انظار البشر في جميع انحاء المعمورة دون أن يثير في نفوسهم شيئاً من الاستغراب أو العجب ٠ ولو نحن انعمنا النظر قليلا في هذه الظاهرة لاكتشفنا أن العالم قد ارتبط ، فعلا لا قولا ، برباط محسوس وثيق، المعمور منه وغير المعمور ، وأن هذه الكرة الارضية أصبحت كما اسماها أحد علماء الاتصال القرية الارضية ٠٠

القمر الصناعي

حقق للانسان هذا الانجاز البعيد المرمى في الاتصال سلسلة من الادوات اللاسلكية اخرها اداة القمر الصناعي ٠ يطلق الانسان قمرا صناعيا فوق خط الاستواء على ارتفاع يزيد على اثنين وعشرين الفا من الاميال فيثبت في مداره مع الارض ، وتقوم بالتقاط ما يوجه اليه من رسائل اذاعية وتليفزيونية وتليفونية وتلغرافية فيقويها ثم يبعث بها الى محطة الوصول الارضية المبتغاة أيا كان موضعها قرب القطب الشمالي أو الجنوبي أو أي مكان اخر ٠ والمحطة الارضية التي تنشئها الدولة داخل اراضيها ، أن هي شاركت في خدمات القمر الصناعي لقاء أجر معين حسب الوقت الذي تستخدمه والدوائر التي تحتاج اليها ـ هذه المحطة



الارضية تعد بمثابة جهاز تحكم مركزي بحيث لا تنفذ رسالة الى اجهزة الاستقبال الا اذا مرت عليها وقامت هي بتوزيعها الى المواطنين عن طريق اذاعتهم المرئية الوطنية ٠٠

غدا ـ وان غدا لناظره قريب ـ سوف تستطيع الرسائل التليفزيونية ، خاصة ، أن تقتحم على المواطن داره فلا تحفل بمحطة ارضية ولا تمر عليها او تقرؤها السلام بل ستذهب راسا الى كل بيت حيث يوجد جهاز استقبال تليفزيوني وتبث الى الانسان ما قد ثبت من رسائل ٠

وهنا تكمن الخطورة العظمى !٠٠

أداة للتعليم

ولكن قبل أن نناقش هذه المسالة وابعادها يحسن بنا أن نلقي نظرة تقييم على أجهزة الاتصال الجماهيرية التي حلت كنعمة هبطت على البشر من السماء ٠ ما الذي فعل بها الانسان منذ بزغ نجمها في مطالع هذا القرن حتى يومنا هذا ؟٠٠

اتجهت الدول في استخداماتها اتجاهات شتى ٠ دول نحت بها منحى الترفيه والترويح والتلهية الصرفة ممالأة لرغبات الجماهير من أجل ترويج تجارة أو بيع سلعة قد تكون في بعض الاحيان فكرا سياسيا ٠ مثل هذا المنحى غني عن التعريف فهو أوضح من أن يعرف ٠

طائفة أخرى من الدول ادركت ما تنطوي عليه الاذاعة من طاقة نفاذة مؤثرة سواء على النطاق المحلي أو الدولي فاتخذتها اداة للتنوير والتبصير ، أو للتعليم

عالم بلا حواجز

والتثقيف ، والتزكية الروحية . وهذا المنحى الاخير هو الجدير بأن ننوه عنه ونبين عن مسالكه المختلفة . أدركت هذه الدول أن الاذاعة وان كانت اداة عظيمة للترويح والانس ، وكذلك للاعلام عن الانباء ومشاكل العالم وشرح ملابساتها ، الا انها تفوق هذه الاغراض جميعا في قدرتها على التعليم . فعن طريقها ـ ينتشر العلم والمعرفة في شتى الفنون والدراسات لدى الكبار والناشئين والمرأة والطفل في يسر وفعالية . ارتادت بريطانيا مثلا هذا المجال من باكورة تاريخ الاذاعة وأثبتت للمراقبين المتتبعين لمسار الاذاعات أن التعليم عن طريق الاذاعة والتليفزيون ان لم يكن بديلا للمدرسة فهو مكمل واساسي . لذلك زودت جميع مدارس بريطانيا بأجهزة الاذاعة والتليفزيون التي تؤدي دورها في صلب المنهج طبقا لجداول دقيقة معدة اعدادا تضافرت فيه أجهزة التعليم وأجهزة الاذاعة الصوتية والمرئية . لا أحد اليوم أسعد من التربويين البريطانيين بدور الاجهزة في التعليم رغم ما كان يساورهم في بداية الامر من شكوك ما تزال تساور التربويين في بلاد كثيرة حتى اليوم .

الجامعة المفتوحة

ومن بريطانيا ايضا جاءت فكرة تعليمية رائدة بالنسبة لاستخدامات أجهزة الاذاعة والتليفزيون تلك هي الجامعة المفتوحة التي تحققت كمنجز انساني باهر في عام ١٩٧٠ والتي ترتكز اساسا في تعليمها الجامعي على الاذاعة والتليفزيون . وسميت المفتوحة لانها مفتوحة بالفعل للراغبين دون قيد أو شرط اللهم الا شرط واحد وهو أن يكون الطالب من الراشدين الذين تجاوزوا سن الحادية والعشرين . والحكمة في تحديد هذه السن هي أن من دون ذلك أمامهم الجامعات النظامية أما هؤلاء الذين حيل بينهم وبين التعليم الذي يرغبون فيه لاسباب لا سلطان لهم عليها فينبغي الا تفوتهم فرصة التعليم كما فاتتهم من قبل . لا تشترط هذه الجامعة للقبول درجات أو علامات ، ولا تطالب الا برسم رمزي في بلد ترتفع فيه رسوم الدراسة الجامعية ارتفاعا يجعله قصرا على قلة قليلة جدا من القادرين . والجامعة المفتوحة تمنح الدرجات بما فيها الماجستير ، والدرجات ، وهي معتمدة ، ومن حيث المعادلة تتساوى مع اعرق الجامعات مثل اكسفورد وكمبردج ولندن . هذه التجربة الانسانية الفريدة الرائدة بدأت تؤتي ثمارها بل انها أصبحت فكرة قابلة للاكثار والتصدير فقد رأينا اخيرا بلدا مجاورا هو ايران يستقدم خبراء الجامعة المفتوحة من بريطانيا لانشاء معهد مماثل في ايران .

ونعرف ايضا أن التليفزيون الايطالي تصدى في أوائل الخمسينات لمحو أمية نحو مليوني مواطن من أهل الجنوب المتخلف الفقير وخاصة في صقلية وسردينيا .. بعدئذ تعثر مشروع بداته وزارة المعارف الايطالية فرسم خطة دقيقة شاركت فيها السلطات المحلية انتهت بالنجاح الباهر والفخار للتليفزيون الايطالي . وبقي برنامج « محو الامية » حتى اليوم لا لعملية المحو فقد انتهى .. وانما للمتابعة وبث المعرفة المتزايدة حتى لا يرتد الذين تعلموا مرة اخرى الى الامية .

وفي بعض انحاء استراليا ونيوزيلنده وجزر ساموا الاميركية حيث تتناثر الجيوب السكانية الصغيرة ويتعذر انشاء المدارس وتوفير المعلمين لكافة المستويات تتولى الاذاعة والتليفزيون كلاهما أمر التعليم ويقومان بدور البديل للمدرسة . يستيقظ الطفل في الصباح فيغسل وجهه ويرتدي ثيابه ويحمل حقيبة كتبه وكراساته ومثل أقرانه في كل الدنيا يذهب الى المدرسة . غير أن مدرسته ليست سوى قاعة في بيت من بيوت الجيران يجتمع فيها مع زملائه ، ليس فيها معلم ولا سبورة ولا وسائل ايضاح ، ليس هناك غير جهاز للراديو واخر للتليفزيون . والمعلم هو الذي يطل عليهم من شاشة التليفزيون أو يسمعون صوته من جهاز الراديو . الدرس الاول والثاني والثالث ، والرابع في اللغة والحساب والاشياء وما اليها كله يجيء من هذين الجهازين ، فهما المدرسة وهما المعلم وبطبيعة الحال مع قدر من التنظيم يتدفق فيه الاتصال بالجهاز التعليمي المركزي عن طريق المراسلة من أجل الامتحانات والتمارين وما اليها تتم عملية التعليم بفعاليته .

ثم نرى الجامعات الاميركية تبسط دائرة نشاطها وتوسع نطاقها فتنشىء الدوائر الاذاعية المفتوحة تبث

الخفاش والشعوب



● أغلب شعوب العالم تتشائم من الخفاش وتكرهه ولكن الصينيين لهم نظرة مختلفة تماما الى الخفاش .. فهم يضعونه في مكانة مقدسة ويعتقدون أن من يقتل خفاشا لابد وأن يصاب بالعمى .. ويطلق اسم « فو » في اللغة الصينية على الخفاش وهي كلمة تعني السعادة ..

العلم والمعرفة لا لخدمة طلابها من نظاميين ومنتسبين فحسب بل لخدمة جميع المواطنين الذين تقوم الجامعة بين ظهرانيهم ·

ونرى بلدانا عدة تستخدم الاذاعة والتليفزيون في شن الحملات المختلفة ، صحية « لمكافحة الامراض والاوبئة ، او زراعية لتعليم أساليب جديدة في الزراعة أو اجتماعية » لنبذ عادات وتقاليد بالية ، أو لتنمية المجتمع الريفي وغير ذلك من اغراض التنمية وخططها ·

هذه أمثلة من انحاء شتى في العالم ربما استفضنا في تبيانها للتدليل على فعالية أجهزة الاتصال بالجماهير وعلى دورها المعتمد في العمليات التعليمية والتثقيفية على اختلاف مستوياتها واشكالها وايضا لتصحيح خطأ شائع وهو أن هذه الاجهزة لا تؤدي غير دور واحد وهو : الترفيه والترويح والتلهية ·

أداة حرب وتخريب !

بيد أن هذه الجوانب المحلية الطيبة للاذاعات يقابلها جانب غير طيب في الاذاعات الدولية وهي تلك التي تتجاوز حدود البلد الواحد الى بلدان أخرى وقد تسمى في بعض الاحيان بالموجهة · عهدنا بهذه الاذاعات منذ الحرب العالمية الثانية وقبيل قيامها واثناء اشتعالها انها كانت مسرحا للشتائم وبث الكراهية والبغضاء · وكان الامل عند انتهاء الحرب أن تتوقف تلك المظاهر غير الانسانية ولكنها استمرت واتخذت بين المعسكرات المتنافسة أشكالا سميت بالحرب الباردة والحرب النفسية وهي على أي حال لا تهدي الى طريق السلام · وزاد الطين بلة أن بعض الاذاعات راحت تدعو الى تخريب الحضارات القائمة على الدين والشرائع · وهكذا بدل أن تكون الاذاعات بحكم طبيعتها المنسابة المقربة أداة خير ووئام وسلام أصبحت في أيدي البعض اداة حرب وتخريب وتفريق ·

القطرة في البحر

نحن هنا في العالم العربي سخرنا الاذاعات لنشر كلام الله ، وشرح تعاليم الدين ، وعرض صفحات التاريخ الاسلامي ، ولكن اذا نظرنا الى مجموع الاذاعات العربية ككل سنجد أن ذلك ليس بمثابة القطرة في البحر · من الحق أن نقرر أننا لم ننتفع بهذه القوى الجبارة كما كان يؤمل فينا أو يرتجى منا ·

نحن ابناء دين يدعو الى العلم : واقرأ وقل رب زدني علما ، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ··

فهل نعلم بالقدر الكافي ؟!·



نحن أبناء دين لا يتميز فيه عربي على أعجمي الا بالتقوى ··

فهل اذعنا ذلك على نطاق عالم يبطش فيه الابيض بالاسود ؟!··

نحن أبناء دين يدعو الى الاخوة والى الاصلاح بين الاخوة والى التآزر والوئام ··

فهل هذا ما تنادي به الاذاعات العربية السياسية ؟!

نحن ابناء دين تقدمي جدا في احكامه وشريعته وخاصة فيما يتعلق بالعقاب والجزاء والاحوال الشخصية ··

فهل شرحنا تعاليم ديننا لعالم حائر في مواجهة الجريمة والعنف والتحلل ؟!··

من الحق أن نقرر أننا :

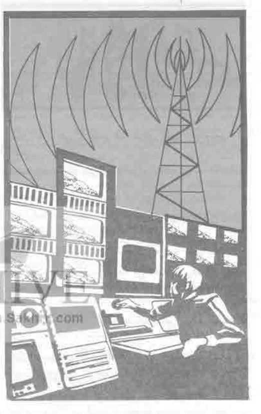
غلبنا التلهية في اذاعاتنا على العلم ،

وغلبنا في اوقات كثيرة الشحناء مكان الاخوة والوئام ، وبدلا من أن يشد بعضنا بعضا رحنا نتقسم شيعا وننتمي لكتل ما انزل الله بها من سلطان ·

الصورة ما تزال من حين لحين تتكرر بينما العدو يتربص بنا الدوائر ، ويطعن في اكثر من موضع في أراضينا · ولا نقوم من أزمة حتى نقع في ازمة اضخم منها · والازمة الكبرى ما تزال معلقة · لا نبرىء في كل هذا تلك الدعاوي الخبيثة الخسيسة التي تنز بها موجات الاثير ·

في عنقنا أمانة نحو اخواننا المسلمين ونحو المتطلعين الى هداية الاسلام في مشارق الارض ومغاربها · والله عز وعلا يدعونا الى أداء أمانة الدعوة لدينه الحنيف · ولا عذر لنا · فلدينا القدرة بل القدرات العقلية والفكرية والمالية ، وفي حيازتنا كنز الاسلام · وتحت امرتنا ذلك المارد الجبار وهو اجهزة الاتصال التي تستطيع ان تحمل رسالة الاسلام المرتقبة الى كل الارجاء لا في كوكب الارض بل وفي كواكب السماء ·

عالم بلا حواجز



والفرصة بنوع خاص سانحة فالعالم الغربي السائد ماديا يعاني اليوم من حالة من التضعضع الروحي يرثى لها · الحضارة المادية لم تغنهم شيئا بكثرة مالها وعدتها وعزة نفرها · فلاسفة الغرب ومفكروه ـ وتلك حقيقة ثابتة ـ كفروا بحضاراتهم وأداروا لها ظهورهم وراحوا يتلمسون الهداية ، فهل نبادر ونمد اليهم أيدينا ؟··

الامال الكبار

نبتت أخيرا فكرة وضع بذرتها مؤمن من المؤمنين الصالحين تلك هي فكرة المؤتمر الاسلامي وقد انبثق من شجرتها فروع طيبة هي « اتحاد الاذاعات الاسلامية » و « وكالة الانباء الاسلامية » و « البنك الاسلامي » · المسلمون وهم يرون حال الاسلام في العالم ازاء الاضطهاد والبطش يعقدون على هذا المعهد المخطط أمالا كبارا · فهل ينفخ الله فيه روحا من عنده فتخرج منه عشرات الوثائق المكتوبة بلغات العالم · والمصدرة في برامج سائغة واعية مدركة للعقول المبعوثة اليهم فتقدم اليهم الهداية ·

ادوات التوحيد كما قلنا أضحت حقيقة واقعة ملموسة · « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك » · بقي على امناء الدعوة الاسلامية أن ينهضوا لاداء واجبهم ·

أخيرا : المشكلة الكبرى

واذا نحن عدنا الى سياق حديثنا عن التطور الهائل في عالم المواصلات البعيدة أو ما يسمونها : « التليكوميونكيشن » سنجد أن هذا العالم الارضي الذي صغر وتقارب وتعارف والغيت فيه المسافات أصبح أيضا مفتوحا ـ مفتوح الباب على مصراعيه ـ بمعنى أن الرسالة ، أي رسالة ، قادرة ـ عما قريب ـ على ان تتجه رأسا دون تحكم المحطات الارضية الى المواطن العالمي ـ ابن ادم ـ في عقر داره في قلب الصحراء أو في قلب المدينة ولن يكون في قدرة أحد منعها · الصحف والكتب غير المرغوبة يمكن أن تصادر أو تنزع منها الصفحات والسطور · والاذاعات الصوتية يمكن أن تعترض طريقها بما يسمونه التشويش ولكن لا حيلة لنا ـ فيما يبدو ـ فيما سوف يبثه القمر الصناعي مباشر البث الى البيوت وهو الذي يوشك علماء التكنولوجيا أن يتموا تحقيقه ·

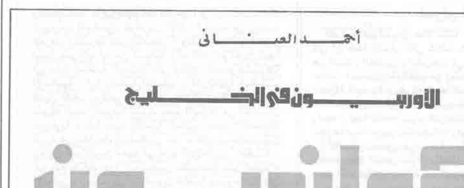
هذه هي المشكلة الكبرى التي تواجه الدوائر الدولية المعنية بانجاز هذه المرحلة ـ ولعلها الاخيرة ـ في عالم الاتصال الدولي فما نوع الرسائل التي سوف تفرض فرضا على المواطن من مرسلين اجانب ؟ من أصحابها ؟ وما مصدرها ؟ والى أي السبل تدعو ؟ وما مصير الثقافات الوطنية ازاء هذا الغزو بجحافله وتنوعاته ؟

وما موقفنا نحن ؟ هل نطلق نأخذ ونتلقى أم آن الاوان لان نقدم من العطاء قدرا ؟!··

تساؤلات كثيرة محوطة بالرهبة يتعين على الهيئات الدولية والدبلوماسية والدول جميعا أن تجيب عليها وتصل الى اتفاق مكين بشأنها قبل أن يطلق هذا المارد الجبار الذي يمكن أن يجر في ركابه الفوضى والدمار ·

ان الانسان الذي يملك هذه الطاقة الرهيبة القادرة على التسلل الى القلوب والعقول ، وعلى شحنها يملك ايضا طاقة أنكى واشد رهبة وهي الطاقة النووية القادرة على اظلام هذا الكون فهل تحيد احدى الطاقات الطاقة الاخرى ؟!··

« قل ان أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا » ·



مكان وزمان ظهور الهولنديين في البحار الشرقية ـ أسرار تفوق الشركات الهولندية وأرباح الاحتكارات ـ الصراع مع البرتغاليين ـ وفاق مع الانجليز ينتهي الى صراع ـ ازدهار المراكز الهولندية في الخليج ـ الصورة تتغير في القرن الثامن عشر ـ العرب يجهزون على النفوذ الهولندي في الخليج ٠

متى ؟ وأين ؟ وكيف ؟

لم يكن أمرا مستغربا أن يكون لبلد له شواطيء بحرية واسعة كهولنده أن يكون له دوره في حركة النشاط البحري الاوروبي التي بدأها البرتغاليون في البحار الشرقية في ختام القرن الخامس عشر ، ولكن سبق هولنده لبلدان كفرنسا وبريطانيا هو الذي يلفت النظر ، وهو يعزي الى تبعية تلك البلاد للتاج الاسباني ، كما أن انفصال تلك الاراضي الواطئة عن اسبانيا لاحقا من خلال ثورة أبرزت الى الصف الامامي فئة التجار الناشطين من الطبقة الوسطى على حساب الاقطاعيين الزراعيين قد أدى الى ازدهار التجارة الهولندية في الداخل والخارج ٠

ومع ان اول وجود هولندي في الخليج العربي لم يحدث الا قبيل منتصف القرن السابع عشر حين احتلوا جزيرة قشم سنة ١٦٤٥ ، ولم يصبح وجودا مؤثرا الا في القرن الثامن عشر كما سنفصل ذلك لاحقا ، الا أن التجار الهولنديين كانوا يترددون على المنطقة قبل ذلك التاريخ وذلك نتيجة لتمركزهم منذ مطلع القرن السابع عشر في كل من جزيرة ملقا التي أسسوا فيها مدينة بتافيا عام ١٦١٩ حين أصبح نفوذهم ظاهرا في اندونيسيا والملايو ثم في جزيرة سيلان التي احتلوها لاحقا ، كما انهم أصبحوا ناشطين جدا في بندر عباس منذ نهاية الثلث الاول من القرن السابع عشر ٠٠

والواقع ان نجاح البورجوازية التجارية الهولندية في ثورتها على اسبانيا في نهاية الثلث الثاني من القرن السادس عشر قد أدى مباشرة الى اندفاع الرحالة والمغامرين والافراد من التجار الهولنديين في الشرق ، وكان أبرز هؤلاء على الاطلاق المغامر « يان فان لنشوتن » الذي استقر في الهند ثلاث عشرة سنة خرج منها بدليل جغرافي تجاري اثار عاصفة من الاهتمام العام أسفرت عام ١٦٠٢ عن تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية المدعومة ابتداء من الحكومة الهولندية وهو الامر الذي جعلها تتفوق على نظيرتها البريطانية من حيث تصديها لسياسات تجارية واسعة النطاق دون أن تتحسب كثيرا من عواقب المجازفة ، فيما كان التجار الانجليز يؤثرون في عملياتهم جانب الحذر ٠ ولقد استطاع الهولنديين احتكار تسويق مجموعة من أهم التوابل والمحاصيل الشرقية محققين فيها أرباحا خيالية ، وقد برهنوا في كثيرا من المناسبات على مهارتهم في شئون الاحتكار والمضاربة ، والهيمنة الذكية على أمور العرض

كانت خطة الهولنديين تقضي باحتكار تجارة التوابل .

الأوربيون في الخليج

والطلب فلقد عرف عنهم اهلاكهم أو اغراقهم كميات كبيرة من المحاصيل خوفا من الاثار الناجمة عن زيادة العرض وتأثيرها على الاسعار · ولقد برهن الهولنديون أيضا على ان أيا من اسبانيا والبرتغال لم تكن ندا في حلبة المنافسة الشديدة على احتكار السلع الشرقية الأساسية ، أما بالنسبة للانجليز ، فان جهود تجارهم الذين اكتفت دولتهم في البدء بمباركة شركتهم المعروفة بشركة الهند الشرقية تميزت بعدم المجازفة في اعمال المضاربة ، كما انهم بالنسبة للخليج تحملوا تضحيات كبيرة في مقارعة البرتغاليين مما جعلهم يرحبون بتعاون الهولنديين معهم في طرد البرتغاليين لاحقا ، غير أنه ما كاد نفوذ البرتغاليين يتضعضع حتى شرع الانجليز والهولنديون يتنافسون تنافسا محموما على الاحتكارات · وقد عمد الهولنديون الى تخفيض فادح

في أسعار منتوجاتهم المسوقة في الخليج ، كما استطاعوا أن يبزوا الانجليز في التقرب من الشاه الذي منحهم بعيد استقرارهم في جزيرة قشم اعفاء تاما من الضرائب

على تصدير الحرير الايراني ، ومالبثوا بعد ذلك أن فاجأوا الانجليز ، الذين كانوا قد سبقوهم الى ميناء البصرة منشئين لهم وكالة تجارية فيه ، بشاني سفن هولندية موقورة بمنتوجات عرضوها بأسعار مغرية .



أسرار تفوق الهولنديين

لقد بدأ الهولنديون عملا متقنا منذ البداية فبالاضافة الى أن طبقة التجار التي شكلت شركتهم الوطنية كانوا هم الحكام الفعليين والمشرعين في هولنده ، كانت هناك عوامل اخرى لنجاحهم من أهمها انهم صهروا في الشركة الجديدة (شركة الهند الشرقية الهولندية) كل الناشطين والمغامرين والمتمولين في جهاز هولندي واحد ، فيما كانت جهود البرتغاليين مبعثرة وولاءات تجارهم ومغامريهم متناقضة ، وفيما كان هناك كثيرون من الانجليز يصلون في خدمة مصالحهم الفردية حد التعامل من الباطن مع الهولنديين ضد مصلحة شركة الهند الشرقية البريطانية كما ثبت ذلك في ايران مرارا ·

ثم كانت خطة الهولنديين تقضي باحتكار تجارة التوابل بترسيخ أقدامهم بحزم تام وتضحيات ضخمة في مضيق ملقا ، وقد حملهم ذلك الى مقارعة البرتغاليين فهزموهم سنة ١٦٠٢ في معركة بحرية فاصلة قرب جزر منتنام وهددوا قاعدة البرتغاليين الاساسية في جوا بالهند ، وما ان جاء عام ١٦٥٨ حتى صفوا البرتغاليين تصفية تامة من ارخبيل الملايو واندونيسيا الحالية وجزيرة سيلان ، ثم أسسوا مستعمرات لهم في رأس الرجاء الصالح سنة ١٦٥٢ وهكذا أصبح الطريق العظيم للتجارة الهندو ـ أوروبية الى الشرق الاقصى ملك يد الهولنديين ·

والواقع ان القرن السابع عشر يشكل العصر الذهبي للازدهار التجاري والاستعماري الهولندي على رغم الحرب الشعواء التي استعرت بين الانجليز والهولنديين ولا سيما في عصر كرومويل ·

الصراع مع الانجليز

على الرغم من سائر الشكوك والتخوف التي كان مدراء الشركة الانجليزية يبدونها من سلوك الهولنديين وخطورة منافساتهم التجارية ، فانه كان للفريقين مصلحة مشتركة في طرد البرتغاليين من مدخل الخليج · وفعلا اشترك الطرفان في محاربة البرتغاليين خارج ميناء بندر عباس في العقد الثالث من القرن السابع عشر ؛ بحيث انفتحت لهم ابواب التجارة في جنوبي ايران الا أن الصراع بين الطرفين ابتدأ مباشرة بعد ذلك ، وكان من صوره التسابق على ارضاء الشاه عباس الصفوي الذي كان فيما يبدو محتاجا للمال بسبب صراعه مع الاتراك في العراق · وايما كان الحال فقد توفى هنا الشاه بعد بضع سنوات من انتصار الحلف الانجليزي ـ الهولندي على البرتغاليين وكانت وفاته ضربة للتجار الانجليز ، لا من حيث اضطرارهم للانسجام مع تقليد ايراني بحتمية تجديد عقود

الامتيازات مع كل ملك جديد ، وما يكلفه ذلك من مال ولكن لان الشاه عباس الصفوي كان صديقا حميما للشركة الانجليزية ·

وقد بدأت شكاوي ممثلي الشركة الانجليز من منافسة الهولنديين تظهر في رسائلهم حتى في وقت مبكر كعام ١٩٢٥ · وحيث كان الانجليز قد حصلوا على امتياز من الشاه باستلام جزء من واردات الجمارك في بندر عباس فقد أغاظهم كثيرا امتناع الهولنديين عن دفع اية جمارك ، ويعترف كل من لوريمر وويلسون بأن خيانة بعض رجالات الشركة الانجليز كانت وراء عناد الهولنديين · ولم يستطع الانجليز تجديد عقد امتيازهم مع الشاه الجديد الا بعد اربع سنوات من وفاة الشاة عباس ، وفي اثناء ذلك وطد الهولنديون مركزهم في انحاء متعددة من حوض الخليج بفضل احتكارهم لمبيعات التوابل والقرنفل والبهارات بأسعار خيالية ثم بدأ الهولنديون يلجأون لاستخدام اسطولهم لتثبيت امتيازاتهم وصيانة مركزهم فيما قرر الانجليز نقل وكالتهم وممتلكاتهم الى ميناء البصرة · غير ان المد الهولندي استمر بعنفوان بالغ وراحت السفن الهولندية تفرغ حمولات هائلة من التوابل بلغت فيما قبل سنة ١٦٥٢ مليون ونصف مليون رطل انجليزي دفعوا من حصيلتها ثمن سائر الحرير الذي احتكروا شراؤه من المنطقة ·

الحرب الانجليزية الهولندية

وكان لابد أن تفضي هذه الاحوال الى الحرب فأعلن كرومويل الحرب على هولنده سنة ١٦٥٢ وكانت حربا شرسة دامت سجالا مدى عامين وشملت رقعتها بحر الشمال الاوروبي كما شملت الخليج ، ولم يفلح الهولنديون في استدراج البرتغاليين للتحالف معهم ومع ذلك اوقعوا بالانجليز خسائر جسيمة امام ساحل بندر عباس ، ثم انتهت الحرب بغير حسم عام ١٦٥٤ لتتجدد مرة اخرى وتدوم سنتين من ١٦٦٥ ـ ١٦٦٧ غير أن أيا من هذه الحروب لم يزعزع مكانة الهولنديين وسيطرتهم التجارية في منطقة الخليج ، ولكن مركزهم في اوروبا كان مختلفا عن ذلك ، فقد تعرضوا لخصام مع فرنسا اضطروا بسببه لمحالفة الانجليز وبالتالي لاحتلال المركز الثاني بعدهم في البحار الشرقية نتيجة التهديد الفرنسي ·

وأيما كان الحال فان سادة التجارة في الخليج امتدادا من بندر عباس وحتى البصرة خلال القرن السابع عشر كانوا هم الهولنديون غير منازعين · لكن هذه الصورة راحت تتبدل خلال القرن الثامن عشر كما سيرد تفصيل ذلك في المقال القادم الذي نأمل أن نشرح فيه تفاصيل الاحداث التي أدت الى انهاء الوجود الهولندي المؤثر في الخليج على يد واحد من ابرز رجالات العرب في الخليج هو المير مهنا ·

كلمات على الطريق

- الرجل العظيم هو الذي لا يزال بين ضلوعه قلب طفل مهما كبر ··
- لا يوجد انسان يبلغ به انهماكه في العمل قدرا يمنعه من الافاضة في الحديث عن شدة انهماكه ··
- اذا اردت أن تعيش بعيدا عن نقد الاخرين فاحرص على ان لا تقول شيئا وعلى ان لا تفعل شيئا وعلى ان لا تكون شيئا ··
- لو استطعنا ان نرى انفسنا كما يرانا الناس لاختفينا عن انظارهم ··
- السعادة هي ذلك الاحساس الذي يأتي اليك عندما تكون مشغولا عن الاحساس بالتعاسة ··
- لا تحاول تنفيذ المشروعات الواسعة بأفكار ضيقة ··

محمد جابر الأنصاري

فصول من تاريخ صحافة الخليج ٣

صحافة النهضة التي مهدت للاستقلال

١٩٤٦ - ١٩٥٦

صحافة المرحلة الجديدة انتقلت من الجهد الفردي إلى التعاون الجماعي، واتصفت بملامح فكرية اجتماعية أكثر تحديداً وقوة.

بانتهاء الحرب العالمية الثانية دخل الوطن العربي مرحلة جديدة فكريا واجتماعيا وسياسيا • ثم جاءت نكبة فلسطين بعد ثلاث سنوات من انتهاء الحرب لتضيف أبعادا أكثر عمقا لهذه المرحلة • وقد تأثرت منطقة الخليج بهذه التحولات الجديدة وتفاعلت معها خاصة على صعيد الوعي القومي وما جلبه من افكار وقضايا • وثمة عوامل داخلية خاصة بالمنطقة فعلت فعلها • فقد بدأ انتاج النفط على صعيد واسع واكتسب اهمية استراتيجية عالمية متزايدة كما اثر على التكوين الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات الخليجية • ومن ناحية اخرى كانت المجهودات التربوية والحركة الاصلاحية العصرية لفترة ما بين الحربين تؤتي ثمارها فتخلق فئات اجتماعية مستنيرة من الشباب المثقف وافراد الطبقة المتوسطة الواعية ، وسيكون لهذه الفئات الجديدة دورها الكبير في تحديد معالم فترة ما بعد الحرب •

كانت الصحافة الخليجية عندئذ ـ كما تبين من المقالين السابقين ـ قد شهدت تجربتين رائدتين : الاولى صدور مجلة ثقافية شهرية في الكويت هي (مجلة الكويت) لعبد العزيز الرشيد بين ١٩٢٨ ـ ١٩٣٠ ، والثانية صدور جريدة سياسية أسبوعية جامعة في البحرين هي جريدة البحرين لعبد الله الزايد ، بين ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ •

دور الشباب المثقف

وفي عام ١٩٤٦ صدرت ثالث صحيفة في تاريخ الصحافة الخليجية •• ولكن من القاهرة !••

وقصة ذلك كما يحدثنا الاستاذ خالد سعود الزيد في كتابه « ادباء الكويت في قرنين : » انه في عام ١٩٣٩ أوفدت الحكومة الكويتية أول بعثة تعليمية الى مصر ، حتى اذا ما كثر عدد المبعوثين رأت ضرورة فتح بيت الكويت في مصر سنة ١٩٤٥ يشرف على دراسة الطلبة وتنظيم شئونهم وتسهيل معاملاتهم • وبعد مضي عام واحد على تأسيس هذا البيت أصدر الاستاذ عبد العزيز حسين ـ وزير شئون رئاسة الوزراء حاليا ـ مجلة البعثة ،فكانت صدى لاعماق الشباب في القاهرة ومجالا لنشر ارائهم ، ثم ما لبثت ان صارت عنوانا لكلمة الادباء جميعا في الكويت ومتنفسا لانتاجهم ، وتولى تحريرها من بعده في اواخر عام ١٩٥١ الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري •• وهو أديب معروف ومستشار الشؤون الثقافية بوزارة الخارجية حاليا •

ويتحدث الاستاذ خالد سليمان العدساني عن مجلة البعثة مقيما اثرها في مقالة له عن تاريخ الحركة الفكرية في الكويت بقوله : « ولقد سدت هذه المجلة الشهرية التي استمر صدورها سنين طويلة فراغا محسوسا في مجال الادب وتعريف الناس بالنهضة الكويتية الحديثة من جميع جوانبها » •

وتصدر بعد مجلة (البعثة) صحيفة اخرى تحمل اسم « كاظمة » وهو اسم قديم من اسماء الكويت وقد اصدرها الاديب الكويتي احمد السقاف • ويقول عنها الزيد بانها : « اول مجلة طبعت في الكويت ، وكان لها رغم عمرها القصير أثر بارز في الحياة الفكرية والادبية » ويشير المؤلف الى ان توقفها احدث فراغا ليس في الكويت فحسب وانما في البلدان العربية المجاورة ايضا •

مدرسة صحفية جديدة

وبينما كانت الكويت تشهد هذه التجارب الصحفية ، اذا بالبحرين تفاجيء الخليج والعالم العربي باصدار مجلة « صوت البحرين » عام ١٩٤٩ وهي المجلة التي يمكن وصفها بانها مثلت مدرسة صحفية رصينة ونموذجا يحتذى في الكتابة الصحفية الفكرية والاجتماعية ليس على صعيد الخليج وحده وانما في العالم العربي حيث شاركت الاقلام العربية من كافة اقطار العروبة في الاسهام فيها • ولم يقف وراء مجلة صوت البحرين ـ التي كانت تصدر شهرية ثقافية اجتماعية جامعة ـ شخص واحد بمفرده ، بل كانت عملا جماعيا حقيقيا ضم مجموعة كبيرة من الشباب المثقف من مختلف الميول والفعاليات ، وكانت المجلة تعكس تطلعات هذه الجماعة واهدافها ، كما مثلت نواة التفكير والعمل التي كانت منطلقا فيما بعد لتطور الحركة الاصلاحية بالبلاد في مطلع الخمسينيات •

يقول الدكتور عبد الله المبارك في بحثه عن النثر المعاصر بشرق الجزيرة : « اخيرا تأتي صوت البحرين لتستشرف آفاقا جديدة في الحياة والادب والفكر والفن ، ولتعبر عن طموح الجيل الجديد بعد الحرب الثانية الى المفاهيم والمذاهب المعاصرة ، والى اثراء الادب هناك بفنون لم يعرفها الجيلان السابقان » •

الفرق بين العلم والثقافة

وقد عالجت صوت البحرين قضايا الثقافة العربية باسلوب حديث ونظرة عصرية دلا على استيعاب مثقفي الخليج لتلك القضايا بشكل متقدم • فمن مقالة بقلم تقي البحارنة ـ احد كتاب البحرين واول سفير لها بالقاهرة بعدئذ ـ نجد طرحا لمفهومي « العلم » و « الثقافة » كعنصرين لظاهرة « المدنية » من

عبد العزيز حسين



عبد الله الزايد



خلال التحليل القائل بان العلم تراث انساني مشترك لان حقائقه واحدة ومناهج ابحاثه واحدة لذلك فهو لا يختص بامة دون اخرى ، بينما الثقافة صفة وطنية خاصة لشعب من الشعوب ، وعليه فيمكننا اقتباس العلم من اي مصدر جاء ، اما الثقافة فلها شأن اخر لانها يجب أن تكون نتاجنا القومي الخاص بنا لا مجرد اقتباسنا لقيم الاخرين وابداعاتهم ـ انظر : مجلة صوت البحرين ، سنة ٢ ، عدد ٣ بتاريخ ربيع الاول سنة ١٣٧١هـ •

كما حرصت المجلة على نقل ابحاث الغربيين المهتمين بالشرق العربي الى قرائها لاطلاعهم على انطباعات اولئك عن العرب حرصا منها على ان يظل باب الحوار مفتوحا مع الثقافة الاوروبية ورجالها • فمن ذلك ما كتبه احد التربويين البريطانيين المقيمين بالبحرين عندئذ تحت عنوان « صوت من الغرب » يقول : « ما هو اثمن شيء لدينا في الغرب نستطيع منحه لاصدقائنا الشرقيين ؟ ليس من شك في انه العلم التطبيقي والتطور الفني •• واذا سألني سائل « وماذا عن نضجكم السياسي في الغرب ؟» فيكون جوابي « اني لا ارى علامات النضج او الايناع ، بل أرى علامات المراهقة • والواقع ان الناس يميلون الى المبالغة في فوائد الديمقراطية وفضائلها • اني لا اكره الديمقراطية بل افضلها •• ولكني انبه الى الشدائد والاخطار الناجمة عنها • فيجب عليكم أن تستفيدوا من اختباراتنا وان تميزوا بين خصائص الديمقراطية الجيدة والرديئة » ـ انظر : صوت البحرين ، السنة الاولى ، العدد الثاني ص ٩ •

لم تبرع كصحافة مهنية رابحة .. ولكنها اجتازت امتحان الأخلاق.

ومن الواضح ان طرح هذه المسالة بهذه الطريقة الجدلية دليل على أنها كانت تحظي باهتمام فكري واجتماعي في تلك الفترة ، وان المجلة مهتمة بمتابعة الحوار حولها · ونرى حوارا اخر حول مسالة مهمة اخرى : « ان التشريع الاسلامي في حقيقته وفلسفته يتمشى مع التطور الزمني · وهو قابل للتكييف ومجاراة الاوضاع ·· فالاسلام لم يمانع من اعتناق ما فيه الاصلح للبقاء ، ولذا جاء قوله عليه السلام : « انتم ادرى بشؤون دنياكم » ـ صوت البحرين ، سنة ٤ ، عدد ٧ ، ص ٢٦ ·

نبرة جديدة في الاصلاح

وعن منهج الاصلاح نسمع نبرة جديدة تختلف عن الاصلاحية البطيئة الجزئية لدى الرعيل الاول : « ·· ان سياسة الانشاء والاصلاح تحتاج الى مناهج شاملة مدروسة تتناول أوضاع الحياة ووجوهها المختلفة كما وكيفا وتتغلغل في توضيح الدقائق والتفاصيل ، وتحسب الف حساب للمفاجآت والانتكاسات ، وتستفيد من عبر التاريخ وتجارب الامم واكتشافات العلم » والطريف ان كاتب هذا الموضوع الرصين لا يكشف عن شخصيته حماية لنفسه بل يوقع باسم (ابن ثابت) ـ انظر العدد العاشر ، السنة الثانية ، ص ٣ ـ ٤ ·

وعلى صعيد النقد الادبي ينال شعراء المناسبات اعنف هجوم وسخرية : « ·· أدباء المناسبات قد يحتفظون بشهرتهم الادبية على السنة العوام واشباه العوام ما بقي ذكر المناسبة يتردد على الافواه ويقرع الاسماع، حتى اذا طوى الزمن ذكر هذه المناسبة توارى معها ذكرى اديبها وعاد يبحث عن مناسبة اخرى يثبت بها وجوده ويدعم بها كيانه ، حتي اذا استبدل أولاه باخراه ، وجد ماقدم من عمل ادبي قد سبقه الى الراحة الابدية دون أن يجتاز محراب الخلود او يفتح له باب هيكله » ـ العدد السادس ، السنة الاولى ، ص ١٧ ·

وبينما كان النقد يمهد لادب جديد متحرر من عقلية شعراء المناسبات كان البحث الادبي يتجه لاحياء التراث الشعري الاصيل لمنطقة الخليج وشرق الجزيرة فنرى مثلا تحت باب « صفحة من تراثنا الادبي » تقدمه بقلم تقي البحارنة لشاعر كبير في المنطقة وهو ابن المقرب العيوني الذي برز في القرن السابع الهجرى بعد تصفية حكم القرامطة وقيام الدولة العيونية ، وهو شاعر فحل من طبقة ابي الطيب المتنبي ، وله معاناة شعرية واجتماعية تستحق الدراسة ·

صحافة متخصصة وملتزمة

وفى ذلك الوقت كانت مجلة (البعثة) الكويتية التي سبق ذكرها والتي زاملت (صوت البحرين) في الصدور تعكس أصداء حوار فكري مماثل ولا تكتفي بقضايا التجديد ، بل تصل لبحث وجهها الاخر وتنقل لنا ماكان يدور في معاهد الكويت من ندوات فكرية مثل الندوة التي كان موضوعها « العلم الحديث أهو نعمة أم نقمة » مما يشير الى تأثر مبكر بآراء الفلاسفة الغربيين الذين اخذوا يشككون في جدوى العلم المادي الحديث بالنسبة لسعادة الانسان ورقيه الاخلاقي الحقيقي ـ انظر : مجلة البعثة ، سنة ٧ ، العدد الاول ، ص ٤٤

وفي مطلع الخمسينات تبدا ظاهرة الصحافة المتخصصة فيصدر نادي المعلمين بالكويت مجلة ادبية ، ويصدر النادي الثقافي القومي بها مجلة فكرية خاصة بالدعوة القومية ·· وهكذا · يؤرخ خالد الزيد لذلك بقوله : « وفي شهر مارس ١٩٥٢ اصدرت لجنة الصحافة والنشر لنادي المعلمين مجلة (الرائد) ، وتلاها بعد عام واحد صدور مجلة (الايمان) لسان حال النادي الثقافي القومي · فكان لهاتين المجلتين صدى عميق مستحب في نفوس الناس· وتعتبر المجلتان بحق سجلا حافلا لنشاط الفكر والادب في هذه الفترة · أما الاستاذ العدساني فيقدم لنا تفاصيل اخرى عن هذه الصحف : « ·· كما أن (الرائد) وهي مجلة ادبية يصدرها نادي المعلمين في الكويت ويحررها ثلاثة ادباء هم السيد حمد الرجيب ـ سفير الكويت في المغرب حاليا ـ واحمد العدواني ، وفهد الدويري ، قد قامت بواجب أدبي محسوس وأبرزت صحائفها العديدة ابحاثا قيمة ذات أثر ونفع ·

ثم صدرت مجلة (الايمان) الشهرية وهي صورة صادقة لاحاسيس الشباب القومي العربي في الكويت ولسان حال النادي الثقافي ، بالاضافة الى الجريدة الاسبوعية (صدى الايمان) التي كان يصدرها النادي المذكور · » ·


عبد الله زكريا الانصاري

تجارب لم تستمر

وكانت هناك صحف تستمر لسنوات وتمثل مدارس وظواهر ملحوظة في تاريخ المجتمع كالبعثة وصوت البحرين ، بينما تمر تجارب صحفية اخرى مرورا عابرا لكونها محاولات فردية محدودة ومتأثرة بظروف خاصة ، فمن ذلك ما يذكره الاستاذ الزيد عن مجلتي (الكويت) الجديدة ومجلة البعث : « أعاد الاستاذ يعقوب عبد العزيز الرشيد اصدار مجلة (الكويت) تخليداً لذكرى المرحوم والده ، وتولى رئاسة تحريرها الاستاذ عبد الله الصانع ، غير انها لم تعمر غير فترة وجيزة من الزمن ، ثم أصدر الاستاذان احمد العدواني وحمد الرجيب مجلة (البعث) التي ما لبثت هي الاخرى أن لفظت انفاسها بعد أعداد قليلة وذلك لقلة المورد ، وضعف الحالة المادية لدى صاحبيها » ·

صحافة مرحلة السويس

وفي البحرين بدأت منذ ١٩٥٢ صحافة سياسية اسبوعية كانت وصلا لما انقطع من خطى جريدة البحرين لعبد الله الزايد التي توقفت كما مر بنا عام ١٩٤٥ · فصدرت صحيفة (الخميلة) لصحفي غير بحريني اسمه جورج كارنيكي ، ثم تلتها صحيفة (القافلة) لعلي سيار وصحيفة (الميزان) لعلي الوزان ثم اصدر علي سيار (الوطن) بعد توقف (القافلة) ، واصدر محمود المردي لعدد واحد (الشعلة) ، كما تمت محاولة لاعادة (جريدة البحرين) لفترة من الوقت قام بها بعض اصدقاء عبد الله الزايد ·

وكانت هذه النهضة الصحفية استمرارا لما بداته المجلة الام (صوت البحرين) من جهد على الصعيد الفكري والاجتماعي · وقد صدرت هذه الصحف خلال تلك الفترة الساخنة من تاريخ العالم العربي ايام تأميم القنال وحرب السويس فاتخذت نبرة عالية وحادة في كتاباتها العربية والمحلية شأنها في ذلك شأن الصحف العربية الاخرى المتأثرة بتفاعلات الحركة القومية واندفاعها ، كما انها رغم سنواتها القصيرة ـ فقد توقفت جميعا عام ١٩٥٦ ـ يمكن اعتبارها التجارب التي وضعت اللبنات الاولى وخرجت الصحفيين المعاصرين الذين تقوم على اكتافهم الصحافة الخليجية في الوقت الحاضر ·

كما لا تفوتنا الاشارة الى الصحف التي صدرت في تلك الفترة بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وكان لها تفاعل وتأثير متبادل مع صحف الخليج ، وان كانت مراجعنا المتوفرة لدينا في الوقت الحاضر لا تسعفنا بتفصيلات عنها ·



خالد سليمان العدساني

شمعة صغيره

وختاما لهذه الفصول الثلاثة عن تاريخ الصحافة في الخليج ، نلاحظ انها صحافة لم تتبلور مع مؤسسات صحفية دائمة ولم تتخذ صفة مهنية خالصة ، بل كانت في مجملها محاولات رواد يتحرقون للاصلاح ، واصوات وطنيين يعملون للاستقلال والتقدم ، وصفحات ادباء ينفثون بين سطورها خوالج الفكر والقلب ·· لذلك جاءت في معظمها خلال الفترة التي ارخناها بين العشرينات والخمسينات صحافة مبدئية اخلاقية صريحة ونظيفة ، بعيدة عن الملق والمبالغة والترويج ، قريبة الى الصدق ، متحلية بالشجاعة مما يجعلها سجلا أمينا لحياة الخليج الفكرية والسياسية والاجتماعية في تلك الفترة · وان صحافتنا الحالية في الخليج مدعوة الى مراجعة تاريخ صحافة الاباء واقتباس ما فيها من تمسك بالمبدأ واخلاص للحق وشجاعة في الرأي لان معظم الصحافة العربية الراهنة في العالم العربي والتي تقلدها صحافتنا الخليجية ـ للاسف ـ في نقل مذكرات النجوم واذكاء المزايدات والهاب الاثارة ليس لها ماكان لصحافتنا القديمة من وجه مشرق ومواقف مشرفة ومبادىء واخلاق ··

اما الذين يتصورون ان الصحافة الخليجية الحاضرة ظاهرة مستوردة الى الخليج من خارجه وانها لم تنبت فيه بجهد ابنائه فلا يسعنا الا أن نقدم لهم بتواضع ومحبة هذه الفصول شمعة صغيرة على طريق الحقيقة ··



أدباء ومواقف

رجاء النمتاش

شعراؤنا والمحنة

سالني شاب لبناني اضطرته الظروف الى الهروب على ظهر سفينة من « صيدا » الى القاهرة تحت ظروف الحرب الاهلية القاسية ·· سالني هذا الشاب :

اين شعراؤنا من محنة لبنان ؟

ولم اجد ما أجيب به على الشاب اللبناني الا بان اقول له : ان هناك حالة « شتات » ثقافي وفني في الوطن العربي فكثيرون من شعرائنا قد هجروا وطنهم حيث يعيشون الان في اوروبا وغيرها من بلدان العالم ، ومن لم يهاجر منهم هجرة فعلية ، فقد هاجر الى ذاته ، اي هجرة داخلية ·· فنحن بدون مبالغة – في الوطن العربي – في مرحلة من مراحل « الصمت الشعري » الذي لا جدال فيه ·· وذكرت له اسماء عدد من الشعراء العرب الذين خارج البلاد العربية · وقلت للشاب اللبناني ايضا :

هناك سبب اخر لعدم انطلاق الشعر في التعبير عن ماساة لبنان ·· هذا السبب هو ان الصراع هناك صراع بين « الاخوة » ، والصراع بين الاخوة مثير للحزن والاحساس بالفجيعة اكثر مما هو مثير للوجدان الشعري ·· وهذا الموقف « مربك » للنفس الحساسة ، ولا يمكن ان يكون الارتباك مصدرا من مصادر الشعر ولم يكن كذلك في يوم من الايام · قضية فلسطين مثلا قضية واضحة المعالم ، ففي مجالها يدور النضال بين العرب واعدائهم ·· ومن هنا فان عاطفة الشاعر تكون محددة واضحة لا مجال فيها للارتباك ·· فالشاعر يعرف مع من يقف وضد من ·· الشاعر يدرك حقيقة شعوره وحقيقة عواطفه ·· ومن هنا يولد الشعر ويولد غناء الوجدان ·

هذا ما قلته للشاب اللبناني الذي اصابته الحيرة بسبب صمت الشعراء العرب امام محنة لبنان ·

ولكنني بيني وبين نفسي لست مقتنعا بما قدمته من تبرير للشاب اللبناني ·· فصمت الشعراء العرب امام المحنة اللبنانية شيء مثير للغضب والسخط قبل ان يكون مثيرا للتساؤل ولقد كنت اقرأ تفاصيل ماساة « تل الزعتر » وارى بعض الافلام التليفزيونية عن هذه المأساة فينتفض قلبي من الالم · ان كل طفل مذبوح في « تل الزعتر » ملحمة كاملة من ملاحم الشعر العظيم في كل العصور · كل امراة عربية عارية الصدر « منكوشة » الشعر تجرى في شوارع المخيم تثير من ينابيع الشعر اكثر الف مرة مما اثارته ليلى وبثينة وعزة عند قيس وجميل وكثير · ومع ذلك فقد خرس الشعراء العرب ·· ولم يجدوا شعرا في هذا كله ·

وتلك ظاهرة محزنة ، تدل على أن الوجدان العربي قد اصابه شيء كثير من السقم والمرض لقد نطق شعراؤنا بالكثير من الشعر أيام معركة الجزائر وأيام المعارك الفلسطينية المتواصلة ، ولكنهم الان صامتون لا يجدون ما يقولون ·

على أن موقف الشعراء العرب ليس هو وحده المثير للغضب ، فموقف ادبائنا العرب جميعا هو ايضا موقف مثير للغضب ، فمنذ بدات المحنة اللبنانية لم يجتمع اي عدد من الادباء العرب ليصدروا بيانا واحدا لتاييد وحدة لبنان وتاييد الفلسطينيين والمطالبة بايقاف المذبحة · بيان واحد موقع عليه من كبار

اين شعراؤنا من محنة الحرب الأهلية في لبنان ؟
من لم يهاجر من الشعراء هجرة فعلية .. هاجر إلى ذاته .

ادبائنا من امثال توفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ،والطيب صالح ، ويوسف ادريس ، وعبد السلام العجيلي ، وغيرهم وغيرهم من ادبائنا العرب كان يمكن أن يكون له تاثير كبير على الرأي العام في وطننا وفي العالم كله • ومع ذلك لم يفكر ادباؤنا في اصدار مثل هذا البيان ، وهناك بالطبع منظمات عديدة أهمها اتحاد الادباء العرب ، وقد كان باستطاعته ان يعقد دورة طارئة لمدة يوم أو يومين لاصدار مثل هذا البيان ، ولكنه لم يفعل ولم يتحرك •

ان الادب في العالم اليوم لم يعد مجرد ابداع فردي يولد في الحجرات المغلقة ، فمشاكل البشر الان كثيرة وشديدة التعقيد ، والادباء يقفون على الدوام في مقدمة القادرين على توجيه الاحداث توجيها انسانيا سليما • فلماذا لا يدرك الاديب العربي اهمية هذا الدور ولماذا لا يمارسه ؟••

هنا نقص خطير في الفهم والتقدير وفي الموقف الانساني للاديب العربي • نقص سوف يؤثر على الانتاج الادبي نفسه ، لانه سوف يجعل هذا الانتاج خاليا من أسمى ما ينبغي أن يتوفر للادب من دفاع عن الانسان في المحن التي يتعرض لها • لقد كان برنارد شو يمزج بين عالمه الفني الخالص عندما يعتدي الانجليز على المصريين ، مثلما حدث سنة ١٩٠٦ ، حيث قام الانجليز بشنق عدد من الفلاحين وجلد عدد اخر أمام ابنائهم ونسائهم في الحادث المعروف باسم « حادث دنشواي » •• يومها وقف برنارد شو ، وهو الم كتاب انجلترا في ذلك الحين ، وقف يعترض ويصرخ ويدين الجناة ،وكتب مسرحيته المشهورة « جزيرة جون بول الاخرى » وفي مقدمتها الطويلة هجوم عنيف على الذين صنعوا دنشواي وقتلوا الفلاحين المصريين وعذبوهم •

وكان تولستوى كذلك اديبا عظيما •• ولكنه كثيرا ما كان يترك القلم ويخرج ليواجه الظلم ويدافع عن العدل • وهناك نموذج معاصر هو المؤرخ الانجليزي العظيم « ارنولد توينبي » •• الذي وقف من الحركة الصهيونية ومن اسرائيل موقفا عنيفا حتى وفاته منذ سنوات قليلة لقد كان يخرج من عالمه الفكري ليهاجم اسرائيل ويدافع عن العرب كلما وجد مناسبة لذلك ، وكان يتخذ هذا الموقف ايمانا منه بفكرة خرج بها من دراسته للصراع العربي الاسرائيلي •

هذه كلها نماذج من مواقف الادباء والمفكرين حينما تهزهم محنة انسانية يحسون بها ويشعرون ان ضميرهم يملي عليهم أن يتخذوا ازاءها موقفا ،ويعلنوا رأيا ، وينيروا الطريق امام البشر • وما اكثر النماذج الاخرى والمواقف المعروفة في حياة الادباء والفنانين •

ولكن الاديب العربي يرمي سلاحه بنفسه •فالتاثير على الناس والحياة ليس فقط عن طريق الكتابة الفنية أو الفكرية ، ولكن التأثير ايضا ياتي عن طريق الموقف الواضح ، وخاصة من جانب هؤلاء الذين أحبهم الناس وعرفوا كتاباتهم وتعاطفوا معهم •• فالرأي العام قابل للتاثير الكبير بمن شقوا طريقا في القلوب بما يكتبون من فن وفكر • فلماذا يتردد الادباء العرب كل هذا التردد ؟ ولماذا يقفون هذا الموقف السلبي من محنة بلادهم؟ ولماذا لا يرفعون صوتهم •• لعل هذا الصوت أن ينقذ طفلا في شوارع بيروت ، أو امرأة في احدى قرى الجبل ، أو شيخا في أحد المخيمات الفلسطينية الحزينة في لبنان ؟ •• لماذا لا يتكلم الادباء العرب ؟ •• لماذا يتفرجون ويسكتون ؟ ••لماذا •• لماذا ؟••

أدباء ومواقف

من المسئول عن هذا الخطأ

منذ شهور صدر في مصر قرار « تربوي » أرجو أن يعاد النظر فيه ، لانه قرار يؤثر على التعليم المصري ، بل وعلى التعليم في الوطن العربي كله . هذا القرار هو الغاء مادة « التربية القومية » من الجامعات المصرية .

ان مادة « التربية القومية » هي التي تقول لشبابنا : ان مصر جزء من الامة العربية . وهي التي تكشف لهم عن معنى العروبة والتراث العربي ، فكيف نلغي هذه المادة التي تعلم شبابنا هذا كله ، في وقت نتعرض فيه لعديد من الضغوط التي يقوم بها اعداء العرب لفصل مصر عن الامة العربية ، واحاطتها بسور من العزلة عن العرب ومشاكلهم في المشرق والمغرب ، ومصر تصمد لهذه الضغوط وتصر على انتمائها العربي الاصيل ..

وانا افهم تماما ان يكون هناك اعتراض على الكتب التي يدرسها طلابنا في مادة « التربية القومية » ، قد تكون هذه الكتب بحاجة الى تعديل او تعميق او كتابة افضل . اما الغاء المادة باكملها فامر غير سليم ، واعتقد أنه قرار لموظفين غير مسئولين .

ان كثرين من شبابنا يتخرجون من الجامعات في السنوات الاخيرة وعندهم نقص ملحوظ في معرفتهم بالوطن العربي . وكثيرون جدا يتخرجون من الجامعات ولا يستطيع الواحد منهم ان ينطق جملة عربية واحدة بشكل صحيح . وهذه كلها مظاهر كان ينبغي أن نبحث لها عن علاج . والعلاج الاساسي هو رفع درجة الوعي القومي عند شبابنا ، بحيث يدركون أهمية المعرفة بالوطن العربي والثقافة العربية واللغة العربية .

كيف يمكننا ان نخلق هذا الوعي القومي لدى الشباب وندافع عنه ؟ ان ذلك لن يتم الا بالمحافظة على مادة « التربية القومية » في الجامعات مع تطويرها وتطوير وسائل تدريسها للطلاب كالاستعانة - مثلا - بالافلام السينمائية التي تصور طبيعة الوطن العربي ومدنه وقراه وبحاره وصحاريه وجباله وابار بتروله ..

انني أعلم ان مادة التربية القومية هي مادة « ثقيلة الظل » بوضعها الراهن . ولكن لماذا هي ثقيلة الظل ؟ .. لانها ببساطة تقوم على كتابات جافة وأساليب جافة في التدريس . وهناك احساس عام لدى الطلاب بانها مادة غير أساسية ، وانها مادة معروضة عليهم بما تشبه القرار السياسي . وعلاج « ثقل الظل » بالنسبة لمادة التربية القومية لا يكون بالغائها نهائيا وانما يكون بتطويرها وتحويلها الى مادة جذابة وليس هذا صعبا باي حال من الاحوال .

والحقيقة انني أتمنى أن يكون هناك كتاب واحد يدرسه كل شباب العرب في كل الجامعات العربية ، وان يكون هذا الكتاب في « التربية القومية » وأن يكون جميلا وممتازا كما ينبغي لهذه المادة أن تكون .

لماذا لا يتكلم الأدباء العرب ؟
البترول العربي هو إحدى قضايا العصر .

وانا لا اتصور شابا عربيا ـ مصريا او غيرمصري يستطيع ان يؤدي رسالته في الحياة دون ان يعلم بوضوح بعض المعلومات العامة الاساسية عن الموضوعات التالية :

● ● أولا :

عروبة مصر ٠٠ وكيف أن هذه العروبة هي اصل من أصول الشخصية المصرية وأن فقدان مصر لعروبتها معناه ان تفقد مصر رسالتها ودورها الحضاري ٠

وهذا نفسه ينطبق على كل أجزاء الوطن العربي الاخرى ٠

● ● ثانيا :

ـ مشكلة اسرائيل ٠٠ كيف نشأت هذه الدولة وما هي أهدافها ولماذا تحاربها وتحاربنا ٠ وفي رأيي أن هذه النقطة في منتهى الاهمية وخاصة بالنسبة للمصريين ، فاسرائيل إنما تهدف في الحقيقة الى ان تحل محل مصر وأن تكون مركزا للحضارة والصناعة والتعليم والطب والهندسة وغير ذلك من العلوم والفنون بدلا من مصر التي تحتل هذا المركز الحضاري في الوطن العربي ٠٠

● ● ثالثا :

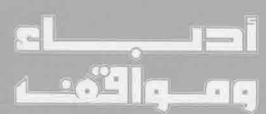
اللغة العربية ، والثقافة العربية ٠٠ لابد ان يعرف شبابنا ما هي اللغة العربية وما هي الثقافة العربية وما دورهما في خلق الحضارة العربية وكيف أن حرصنا على اللغة العربية والثقافة العربية ليس ترفا ورفاهية وانما هو حرص على شخصيتنا الاصيلة في العالم كله ، ويجب أن يعلم شبابنا أن اللغة العربية لغة لها قيمتها واحترامها حتى عند الغربيين ، ولكن قيمة اللغة العربية تنهار وتتدهور لدى الاجيال الجديدة بصورة مؤلمة ٠٠ فالمحامي ووكيل النيابة ومذيع التليفزيون ، بل والكاتب الصحفي ٠٠ كل هؤلاء الان ، وفي الاجيال الجديدة بالذات ، ينطقون اللغة العربية ويكتبونها بطريقة غير سليمة وهذه ظاهرة سيئة مصدرها الاساسي أن الاجيال الجديدة لا تتعلم لغتها لانها لا تتعلم كيف تحترم هذه اللغة ولا تعرف قدرها ٠

● ● رابعا :

ـ البترول العربي ٠٠ لابد ان يعرف شبابنا جميعا ـ على اختلاف الوان تعليمهم ـ بعض المعلومات الاساسية العامة عن قضية البترول العربي ، فالبترول العربي الان هو احدى قضايا العصر الكبرى في العالم كله ، ولا يجوز أن يكون الشباب جاهلا بهذه القضية ٠

وفوق هذا كله وقبل هذا كله ، فلابد ان يعرف شبابنا حقيقة الاسلام ، فالاسلام هو الذي نهض بالعرب ، ودفعهم الى الانتشار والتقدم ، وحملهم الى قلب الحضارة الانسانية ، بعد ان كانوا يعيشون على هامش هذه الحضارة ٠

اننا لو وافقنا على هذا الخطأ ٠٠ خطأ الغاء مادة « التربية القومية » من اي جامعة عربية ، فاننا



بذلك نتحمل وزر الاف من شبابنا سوف يتخرجون في الغد من الجامعات العربية وهم لا يعرفون أن « وهران » مدينة عربية وأن « قبة الصخرة » في « القدس » ، وأن « الدوحة » عاصمة عربية وليست مجلة فقط ، وأن النطق الصحيح للغة العربية فضيلة وليست عيبا ، وأن العرب كان لهم تراث عظيم وحضارة عظيمة ، وأنه ما زال أمام العرب دور تاريخي يلعبونه في حياة العالم كله لو عرفوا قدر أنفسهم وعرفوا حقيقة امكانياتهم .

ولن يعرف العرب قدر انفسهم وحقيقة امكانياتهم اذا كانت اجيالهم الجديدة تتخرج من جامعات لا تقول لهم شيئا عن بلادهم وتراثهم وحقيقة مكانتهم في العالم وفي التاريخ .

صرخة من زكي مبارك

تتردد في الصحف العربية والبيئات الثقافية العربية بين الحين والحين دعوة تنادي بضرورة تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية مثل الطب والهندسة والعلوم ، وهي دعوة سليمة وان لم تتحقق حتى الان ، فما زلنا نقوم بتدريس هذه العلوم باللغات الاجنبية في معظم الجامعات العربية ، وليس المقصود بالدعوة الى تعريب التعليم في الكليات العلمية هو محاربة « تعليم اللغات الاجنبية » ، فتعليم اللغات الاجنبية مسألة جوهرية في تقدمنا الحضاري ، ولكن تعليم اللغات الاجنبية شيء ، وتدريس العلوم في الجامعات العربية باللغات الاجنبية شيء اخر ، فالتعريب المطلوب هدفه أن يجعل اللغة العربية لغة عصرية تستوعب العلوم كما تستوعب الاداب والفنون .

وقد أسعدني أن أجد في هذا المجال كلمات لها قيمتها كتبها الاديب العربي الكبير زكي مبارك ـ الذي لم يأخذ حقه في حياتنا الادبية .. لا وهو حي ولا بعد أن مات .

فقد وقعت يدي بالصدفة على كتاب جميل رائع لزكي مبارك هو « جناية احمد امين على الادب العربي » وهو الكتاب الذي كان في الاصل مجموعة من المقالات نشرها زكي مبارك في مجلة الرسالة ، وقد سهر على جمع أصول الكتاب وكتب له مقدمة طويلة قيمة الاديب الشاعر الاستاذ « حسين خريس » المستشار الثقافي بجامعة الدول العربية .. في هذا الكتاب الممتع الجميل ، الذي أرجو ان اعود اليه بالتعليق والمناقشة في عدد قادم ، قرأت كلمات عن تعريب العلوم كتبها زكي مبارك بأسلوبه الحي النابض وكان ذلك سنة ١٩٣٩ ، وأنا انقل هذه الكلمات بنصها لعلها تعود من جديد فتدوى في آذان الذين لا يسمعون أو في ضمائرهم حتى يتقرر تعريب الطب والهندسة وسائر العلوم في كل الجامعات العربية وهو الامر الذي لم يحدث الى الان .
وسأنقل هنا كلمات زكي مبارك فهي ـ حقا ـ غنية عن اي تعليق . يقول زكي مبارك وكان ذلك منذ أكثر من ربع قرن :

مــــــازال للعــــرب دور تــــاريخي يــــلعبونه في حيــــاة العــــالم.

جنـــــاية أحـــــمد أمـــــين علـــى الأدب العـــــربي.

ـ « لقد قضيت نحو خمسة عشر عاما وانا ادعو الى تدريس العلوم باللغة العربية في كليات الجـامعة المصرية ، فكان المتخلفون من أساتذة العلوم يعتـلون بان اللغة العربية تعوزها المصطلحات في كثـير من الشئون ، وظلوا على تهاونهم الى أن كتب معـالي الدكتور هيكل باشا « وزير المعارف في مصر سنة ١٩٣٩ » الى سعادة مدير الجامعة يقول : انه لا يفهم كيف تعجز اللغة العربية عن تادية المعاني العلمية · وكانت الاشارة كافية لان يعرف أساتذة الكليات أن تدريس العـلوم باللغة العربية ليس بالمستحيل ، وكانوا يرونه قبـل ذلك أبعد من المستحيل ·

لقد قضت الجامعة المصـرية أعواما طوالا وهي تدرس العلوم باللغات الاجنبية ، ولم تعرف وجه الحـق في اعزاز اللغة القومية الا بعد أن ينبهها وزير المعارف ،اثابه الله وجزاه خير الجزاء !··

فهل يعلم الذين قاوموا هذه الفكرة من قبـل ان الجامعة العبرية بالقدس تدرس جميع العلوم باللغـة العبرية مع أن لغة بني اسرائيل ليس لها ماض في خدمة العلوم . ومع أن النوابغ من اليهود كانوا يعبرون عـن اغراضهم بلغات اجنبية ، ولم يفكروا يوما في خـلق عصبية اللغة العبرية قبل فكرة الصهيونية · اللغـة العبرية تصلح لتدريس جميع العلوم وهي في أقـل مرتبة ، اما اللغة العربية فتعجز عن تدريس العلوم مع انها كانت لغة دولية في مدة دامت نحو خمسة قرون ،ومع أنها استطاعت أن تحفظ الذخائر مما خلف الفرس واليـونان ··

صلحت اللغة العبرية لتدريس جميع العلوم لان اليهود ارادوا أن يخلقوا لانفسهم ذاتية قومية ، وقد نجحوا في ذلك الى حد بعيد ·

اما اللغة التي يتكلمها اقوام يشارفون مائة مليون والتي امدت بحيويتها كثيرا من اللغات الشرقية والتي تنزل في انفس الملايين منزلة التقديس ، والتي تحتـل أقطارا حملت اعباء المدنية في مختلف عهود التاريخ ، والتي خدمت خدمة لم تظهر بمثلها لغة من لغات الشرق أو لغات الغرب ، والتي عجز الدهر عن تبرير ما تملك من ذخائر ونفائس والتي سخر الله لخدمتها مئات من الاجانب في الجامعات الاوروبية والامريكية ·

هذه اللغة الفتية ـ لغة العرب ـ هي اللغة الـتي يقال انها تعجز عن تادية الاغراض العلمية بفضـل حذلقة السادة الافاضل الذين يرون في تجريحها بابا من الشهرة والنباهة وبعد الصيت ·

هذا هو ما كتبه زكي مبارك سنة ١٩٣٩ · وقـد صدق زكي مبارك ·· وكان دائما من الصادقين ·

رجـاء النقـاش

فكر تأملي

منظومة الأسئلة الأبدية

د. رامز طه محمود

أعجوبة المخلوق الوسيط بين الكائن الحي والجماد .. يشهدها العجب .
من بعيد الثعبان الشكلي من مصر الى شواطئ امريكا ؟

ما هي حقيقة هذه الحياة ؟..

كيف بدأت .. وفي اي صورة ؟..

كيف نشأ الانسان .. وفي اي صورة .. بل والى اين يمضي في هذه الحياة ؟..

ما هي حكاية التطور .. وهل يتغير شكل الكائن الحي بمرور الزمن ؟..

هل يجمع بين الكائنات الحية جميعا اصل مشترك ؟.. وما حقيقة وضع الانسان في شجرة الحياة ؟.. وهل كان في الزمن السالف مجرد نوع من القردة ؟..

مجرد ظاهرة حيوانية تمضي الى الفناء تاركة خلفها سجل حافل بالصراعات مع الطبيعة .. ومع النفس !..

ماذا عن منزلة الانسان في الكتب السماوية .. « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ..؟!

ماذا عن ادم .. وخلق البشر « من سلالة من ماء مهين » ثم من نطفة في قرار مكين .. ولابد من أن تكون من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب .. ثم خلق الله النطفة علقة ، وخلق العلقة مضغة .. ومن المضغة خلق عظاما .. ثم كسى العظام لحما .. ثم انشأ خلقا اخر يتزوج ليحافظ على استمرار النوع ..

وماذا عن خلق آدم من سلالة من طين ؟..

وماذا عن الروح والجسد ؟..

ماذا عن خلق حواء من ذكر فقط بلا أنثى ؟..

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ..

وخلق المسيح من انثى فقط بلا ذكر ؟..

« فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما ذكيا » ..

ونقترب اكثر لعلامات الاستفهام المحيرة التي تواجه دارسي الطب أو البيولوجيا أو الجيولوجيا أو الانتروبولوجيا ..

لماذا تنتقي ديدان الهتروفيس ذيل سمكة البلطي والبوري بالذات لتتحوصل فيه استعدادا لاصابة الانسان ؟!..

العالم فابر: إن ثمة عقلا لا متناهيا يحكم الكون.

ظواهر بحاجة الى تفسير

وما السر وراء عودة نسل سمك الثعبان النيلي الى شواطئنا بعد ان يفنى الاباء في عملية التناسل قرب الشواطىء الامريكية !! ما الذي يدل الابناء على الطريق ؟! هل يحملون خريطة داخل خلاياهم .. هل ترشدهم تفاعلات كيميائية معينة ؟.. اي قوة هذه التي تجعل نسل الثعبان القادم من نهر الصين يعود لنفس النهر ومن نهر النيل يعود لموطنه الاصلي .

وكيف تقطع دودة البلهارسيا أو الاسكارس رحلة داخل جسم الانسان محدودة ومرسومة بدقة لا تقبل تغييرا أو تعديلا . حتى تستقر في مكان معين تتزاوج فيه .. من الذي يرشدها ؟ وأي عقل يوجهها ..!؟

وهل نظرت في يد[illegible]ـس حاولت مرة ان تسأل نفسك ماكل هذه الخطوط الدقيقة .. وما سر عدم تشابه اثنين من البشر في هذه الخطوط .. وكيف ان لكل انسان بصمة تميزه عن اي انسان اخر .. وأن هذه البصمة لا يمكن أن تتشابه ابدا .. « بلى قادرين على ان نسوى بنانه » ..

ولقد واجهتني علامة استفهام اخرى في بدء دراستي للطب .. وكان ذلك عندما قرأت بشيء من التفصيل عن الفيروسات .. ابسط صور الحياة .. واقل الكائنات حجما .. وهي تتكون من الحامض النووي (الموجود بداخل نواة الخلية الحية) .. .. وهذه الكائنات الدقيقة جدا لا يمكن رؤيتها الا بالميكروسكوب الالكتروني بعد أن تكبر الاف المرات .. تلك المخلوقات العجيبة ..

انها تجمع بين خواص الكائن الحي والكائن غير الحي .

فهي تهاجم الخلايا الحية وتتكاثر بداخلها .. ومع ذلك فقد أمكن تحضيرها في المعمل من جزيئات حامض نووي وبروتينات ..

ما هذا وكيف تم ؟..

وهل يعتبر ذلك خلقا صناعيا للحياة ؟..

اعتقد أن الاجابة تتضح عندما نعرف أن عملية التخليق هذه لم تتم من العناصر الكيميائية الاساسية وانما تمت بتفتيت فيروس حي واعادة تجميعه .. تماما كما يحدث في السيارات وأجهزة التليفزيون لتجميع اجزائها .

ولكننا نجد انفسنا بالتالي أمام سؤال اكثر تعقيدا . هل يعني ذلك اننا بال لم نستطيع ان نفك كائنا ثم نعيد تجميعه ؟..

هل نستطيع قتل كائن ثم اعادة الحياة اليه مرة اخرى ؟!..

واذا رفعنا عيوننا عن الميكروسكوب الالكتروني عن ادق الكائنات .. ونظرنا الى السماء .. هل نستطيع القول أن التساؤل عن حقيقة كل هذا الكون لم يدر بخلد كل منا ولو لمرة واحدة .. كيف ومتى بدأ ؟!..

محاولات الانسان تفسير الكون

وما حقيقة كل هذا الفضاء ؟.. وكل تلك النجوم والمجرات والسدم والكواكب والاقمار ؟؟.. كثير .. وكثير .. وكثير من علامات الاستفهام .. حيرت الانسان طويلا .. حاول أن يجد لها اجابة مقنعة .. وتفسيرا واقعيا .. منذ بدأ يفكر ومع أول خطواته على ظهر اليابسة .. ومع أول نظرة ألقاها على ذلك العالم الغريب .. المبهم .. اللانهائي ..

حاول الاجابة والتفسير ..

وكانت الاجابة في بادىء الامر مجموعة خرافات .. واساطير من نسج الخيال .. عن أشجار تثمر طيورا .. وعن أجناس من البشر انحدرت من عضو لاله معين .. فقد ذكرت الكتب المقدسة للهنود أن التفاضل بين الناس يكون بحسب عناصرهم .. ومكانة العضو الذي انحدروا منه .. وتذكر هذه الكتب أن (الاله براهما) قد خلق فصيلة البراهميين الهنود من فمه .. لذلك فهي أسمى وأرفع الفضائل .. وخلق فصيلة الكشتريين من ذراعه .. وفصيلة الفيسيائيين من فخذه .. أما فصيلة المنبوذين فقد خلقهم من قدمه .. وبناء عليه فان هؤلاء المنبوذين حلال استعبادهم وتسخيرهم في أشق الاعمال ..

ومن الاساطير الاشورية عن خلق العالم .. الاسطورة التي تقول أن الها اسمه « فاردوخ » .. هو ابن اله المياه العذبة « ايا » اشتبك في معركة رهيبة مع انثى التنين « تيامات » والتي كانت تمثل الفوضى .. فهزمها هي وزوجها واتباع زوجها من الوحوش الضخمة .. ثم قطع جسم « تيامات » الى نصفين .. فكان احدهما السماء والاخر الارض ..

منظومة الأسئلة الأبدية

المهم أن يكون الانسان صادقا سواء في قلقه أو يقينه.

ثم ربط « ماردوخ » أجسام زوجها وأتباعه بالسماء مكونا بذلك علامات البروج ·· وصنع « أيا » والد « ماردوخ » من دم الزوج المذبوح ·· طبخة ·· كانت

هي انسان هذا الكون !··

أساطير لا تعد ولا تحصى ··

هكذا اقترح الانسان حلولا لمشكلاته في حدود الامكانيات الفكرية المتاحة في تلك الازمان ··

حتى وصلت القضية للفلاسفة ·· والمفكرين ·· وعلماء العصر ·· بمعاملهم وامكانياتهم العظيمة ·

ويظل الانسان يضرب في أمواج الغموض ··

يصارع من أجل الوصول الى الشاطيء ·· الى النور ·· الى نفسه ·· والرحلة طويلة ·· مرهقة شاقة ·· قد يكفر ·· وقد يؤمن بالله ·

وعليه أن يتأمل في خلق الله ·· ويفكر جيدا ·· فقد يردد مع « فابر » ان ثمة عقلا لا متناهيا يحكم العالم ·· وكلما أمعنت النظر استطعت أن أبصر ذلك العقل الذي يشع خلف أسرار الاشياء انني لا أؤمن

بالله بل أنا أراه ··

أو مع الكسيس كارليل الذي قال : « اتخذت التركيبات العضوية والآليات الفسيولوجية حقيقة أكبر كثيرا من التفكير والسرور ·· والحزن ·· والجمال ·· فدفعت هذه الغلطة الحضارة الى سلوك طريق أدى الى فوز العلم وانحلال الانسان » ··

الموقف الانساني

اننا نعلم أن يدا لن تمتد لنا بابريق محدد المعالم لتقول لنا ·· خذوا هذه هي الحقيقة ·· ولكننا سنظل نسأل ·· ونفكر ·· ونبحث ·

ولن تفوتنا الحقيقة الكبرى ·· أن الجنس البشري في كل تساؤلاته ·· يبحث عن نفسه يريد أن يصل في النهاية الى سر الحياة ·· وحقيقة هذا الوجود ··

وعلى كل حال ·· فلقد كان الانسان دائما صادقا في سؤاله ·· رائعا في اجابته ·· فلم يحب بشيء أكثر من الاستغراق في الشك ·· والقلق · والمعاناة ·· الموصلة للايمان ·

قبل أن تنام

نصيحة بسيطة يقدمها لك الخبراء حتى يداعب النوم جفونك كل ليلة ··

- **لا تشترك مساء في مناقشات عنيفة أو مسائل عقلية شاقة تدفع الدم الى رأسك ·· لان الفكرة الاساسية هي أن تبعد الدم عن المخ ··**
- **يكفي أن تمشي ربع ساعة قبل النوم حتى تدفع بالدم الى ساقيك ··**
- **هناك قاعدة مضمونة وهي أن كل انسان يستطيع أن يسحب خمسين في المائة من الدم من مخه المحتقن اذا وضع قدميه في الماء الساخن عشر دقائق قبل النوم ··**

الاسماك الموسيقية

- **لاشك ان الكثيرين يعرفون أن هناك انواعا من الاسماك الملونة والاسماك التي يصدر عنها نوع من الضوء ولكن هل تصدق ان هناك انواعا من الاسماك تعزف الموسيقى ··**

ان هذه الانواع تتميز بزوائد كثيرة حساسة تتكون منها شبكة معقدة التركيب عبارة عن عدة تجاويف مملوءة بالهواء وهي التي تصدر عنها الموسيقى نتيجة انبساط وتقلص العضلات فيترك الهواء داخل الشبكة فتهتز جدرانها ويسمع لها صوت أحيانا يشبه دق الطبول ··

الأسطورة العقائدية عند العرب

فاروق خورشيد

ضياع رصيد ضخم من الأساطير والحكايات الخرافية.

لم تحفظ لنا كتب التاريخ العربي والادب العربي الا النزر اليسير من الطقوس الدينية الوثنية القديمة وما كان يصاحبها من قول ، ولكنها في الوقت نفسه قد احتفظت لنا بأخبار الاصنام العربية واسمائها ، وأسماء القبائل التي كانت تعبدها ، وبعض العادات الهامة التي صاحبت عبادة الاصنام . وكذلك بعض الاساطير التي رويت حولها وحول سر عبادة الناس لها .

يقول ابن هشام في كتابه « السيرة النبوية » موضحا ما كان يفعله العرب بالاصنام :

« قال ابن اسحق : « واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه ، فاذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره ، واذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك اول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش : أجعل الالهة الها واحدا ، ان هذا لشيء عجاب ؟ » .

ويقول ابن اسحق : « وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها وتنحر عندها ، وهي تعرف فضل الكعبة عليها لانها كانت تعرف أنها بيت ابراهيم الخليل ومسجده » .

ويعدد لنا ابن هشام في السيرة النبوية القبائل وأصنامها التي تعبدها: فقد كانت لقريش وبنى كنانه العزى، وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم من اهل يثرب وذو الكلاع من حمير اتخذوا نسرا بأرض حمير » .

ولقد كانت لقوم نوح أصنام عكفوا عليها ، قص الله تبارك وتعالى خبرها على رسوله صلى الله عليه وسلم .. فقال تعالى : « وقالوا لا تذرن الهتكم ، ولا تذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا ، وقد اضلوا كثيرا » صدق الله العظيم ..

ويحكي لنا ابن الكلبي في كتابه « الاصنام » عن هبل فيقول : « وكان هبل أعظم أصنام العرب التي في جوف الكعبة وحولها ، وكان من عقيق أحمر على صورة انسان مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك ، فجعلوا له يدا من ذهب ، وكان اول من نصبه خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هبل خزيمة وكانت تضرب عنده القداح » .

ويروى لنا ابن الكلبي صورة من حرص العرب على أصنامهم وتقربهم اليها في حديث له عن العزى حيث يقول « لقد بلغ من حرص قريش على عبادة العزى انه لما مرض أبو أصيحة المرض الذى مات فيه دخل عليه

الأسطورة العقائدية عند العرب

ما بقي من تراث الأسطورة يخلو من شطحات الخيال.



ابو لهب يعوده فوجده يبكي فقال له ابو لهب : ما يبكيك يا أبا اصيحة ؟ امن الموت تبكى ولا بد منه ؟ فقال ابو أصيحة : « الآن علمت ان لى لله خليفة » وواضح انه قد أعجبه من أبى لهب شدة تعصبه في عبادتها ·

اليس لنا اذن أن نعجب ـ ونحن نرى كل هذا الحشد من الاصنام ، وكل هذا التقديس لها والتفانى في عبادتها ـ من ضياع كل ما كان حولها وحول عبادتها من تراث قولى يبقى للعرب رصيدا من الاساطير والحكايات الخرافية ؟

الامر أن الاسلام جب ما قبله بكل ما فيه ، والامر ان ذكر تاريخ الاصنام شىء ، وذكر ما حولها من أساطير وما صاحب عبادتها من ابداع قولى شىء آخر حرص الاسلام على ازالته تماما · واذا كان الفن القولى المصاحب للعبادات الوثنية قد اندثر فان كتب السيرة والتاريخ وكتب الادب كذلك لفتت الى بعض الصور من الاعمال القولية التى صاحبت عبادتها الوثنية واندحارها وهى في حد ذاتها تعطى دلالات على نوع التصورات العقلية والوجدانية التى صاحبت العبادة الوثنية قبل الاسلام ، وان خلت من تهاويل الاسطورة وتعقيداتها وشطحاتها في عالمى الخيال والوجدان ·

يقول ابن اسحق : « اتخذ العرب اسافا ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما » ·

ويعرفنا الالوسى وابن الكلبى بهذين الصنمين فيقول ابن الكلبى : « كان احد هذين الصنمين أولا يلصق بالكعبة والآخر في موضع زمزم ، فنقلت قريش الذى كان يلصق بالكعبة الى الآخر » ·

ونستكمل حديث ابن هشام من اساف ونائلة حيث يقول :

« وكان اساف ونائلة رجلا وامراة من جرهم ·· هو اساف بن بغى ، ونائلة بنت ديك ·· تفحش اساف بنائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين » ·

هنا ملامح أسطورة كاملة ولكن كما نرى لم يبق منها الا الخبر وحده ·· وتجد صدى هذا الحديث فيما نقله ابن اسحق عن عائشة رضى الله عنها حيث قالت : « ما زلنا نسمع أن أسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، احدثا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين ·· الله أعلم » ·

ويحمل لنا القرآن الكريم آية تدل على وجود الاساطير الطقوسية عند العرب · فقد قال تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » (والمكاء هو الصفير والتصدية هى التصفيق) ·

تؤكد هذه الآية الكريمة ان مرحلة الغناء والرقص المصاحب للعبادات الطقوسية قد عرفها العرب كما عرفها غيرهم ، ولكن بينما احتفظ غيرهم بها ذابت عند العرب ولم يعد منها الا ما قد تدلنا عليه بعض اسجاع الكهنة في كتب التاريخ والسيرة والادب ·

ونحن لو تتبعنا الطقوس التى كانت تمارس داخل معابد الاصنام لوجدنا انها كفيلة بخلق أساطير كثيرة ، وأنها أيضا كفيلة بخلق مجموعة من الحكايات الخرافية والاعمال ذات الطابع الدرامى ، كان يمكن أن تثرى موروثنا من الادب الاسطورى ومن الادب الشعبى على السواء ·· ومن هذا ما كان يتبع مثلا عند هبل ·· يقول ابن هشام :

قال ابن اسحق : « كان هبل على بئر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة ·· وكان عند هبل سبعة أقداح ·· قدح فيه « نعم » للامر اذ ارادوه يضرب به القداح ·· فان خرج قدح « نعم » عملوا به » ·

وبالطبع هناك قدح « لا » ، اذا ضربوا على أمر وخرج لهم امتنعوا عن فعل ذلك الامر · وهناك أيضا قدح

فيه المياه اذا ارادوا أن يحضروا للماء ضربوا القداح فاذا خرج لهم قدح المياه صرفوا والا لم يحفروا البئر ·

ونعود الى ابن هشام نستكمل معه حديث القداح :

قال ابن اسحق : « كانوا اذا أرادوا ان يختنوا غلاما أو يزوجوا رجلا أو يدفنوا ميتا أو شكوا في نسب احدهم ذهبوا الى هبل ومعهم مئة درهم وذبيحة، فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها فيقول لهم صاحب القداح : « قربوا الذبيحة هنا واذبحوها ·· ثم قربوا صاحبكم الذى تريدون أن تعرفوا أمره فيجيبونه قائلين : أما الذبيحة فها هى فدية منا لهبل الاله الاعظم ·· وأما ما نريده فهو معرفة نسب صاحبنا هذا أهو منا أم هو ليس منا فيقول لهم صاحب القداح :

« اعطوا الذبيحة للغلام يذبحها وليلطخ بدمائها أقداح هبل المعظم ·· ثم تعالوا الى اطلكم ما تقولون امام الهكم لتعرفوا الامر في صاحبكم » ·

فينادون هبل قائلين :

« يا الهنا ، هذا صاحبنا زيد بن عمرو ، أردنا أن نعرف الحق فيه أمن منا أم ليس منا وقد ادخل نسبه علينا ادخالا » · فيقول لهم صاحب القداح : « ساضرب بالقداح فان خرج القدح الذى فيه منكم كان صاحبكم منكم خالص النسب شريفا فيكم ·· فان خرج القداح الذى عليه — من غيركم — كان لكم حليفا فان خرج القداح الذى عليه ملصق فهو لا نسب له ولا حلف » ·

وترد عادة ضرب القداح عند هبل هذه بطريقة أخرى في كتاب « بلوغ الا رب في أحوال العرب » للالوسى اذ يقول :

كانوا اذا قصدوا فعلا أو أمرا ضربوا ثلاثة أقداح ، مكتوب على احدها ، أمرني ربي ، وعلى الآخر نهاني ربي ·· والثالث غفل لا شيء عليه ·· فان خرج الامر مضوا على ذلك ·· وان خرج الناهي تجنبوا عنه، وان خرج الغفل أجالوا ثانية ·

وما كنا لنعرف كل هذه الطقوس وما يصاحبها من ابتهالات وادعية واسجاع (هى ما عرفت بسجع الكهان) مما ورد في كثير من كتب التاريخ والادب لولا أن اديب الاسطورة العربية احتاج اليها في فترة هامة من فترات الحياة العربية ·· تلك هى فترة التمهيد للاسلام ·

فكان لا بد للاديب العربى لكى يدخل الاسلام الى قلوب ابناء الجزيرة أن يستعمل فنه وأدبه في اثبات ما

انتهى اليه أمر عبادة الاوثان والاصنام والنجوم والجن والديانات الاخرى من اقرار بفساد الامر كله وبالحاجة الى عبادة جديدة تنسخ هذا الذى يعيشون فيه من افك ويمهد لما يقبل من نور واشراق · وكان لا بد ان يتقدم الاديب العربى بكلمته ليهدي القلوب الغافلة ويباعدها من ظلام الشرك الى نور اليقين

ولكن استغل أديب الاسطورة العربية هذه العادات والعبادات ولم يتحرج من ذكرها في فترة هامة من فترات التاريخ العربى ، تلك هى الفترة التى سبقت ظهور الاسلام · وما كنا لنعرف أمر هبل والقداح لولا انها تلعب دورا كبيرا في سيرة عبد المطلب وابنه عبد الله وحفره لبئر زمزم وفدائه لعبد الله استنقاذا له من قداح هبل ·

وأخيرا فان بقاء هذه الاشارات في كتب التاريخ وكتب السيرة ونصوص الادب تؤكد الدور الهام الذى قام به اديب الاسطورة العربى حين حفظ لنا هذه البقايا والامداد من الاساطير الاولى المصاحبة للعبادات · وان كانت العبادات والاساطير المصاحبة لها قد اندثرت أيضا فقد بقى لنا هذا التراث

عرف الجاهليون الغناء والرقص المصاحب للطقوس ·



الفاضي

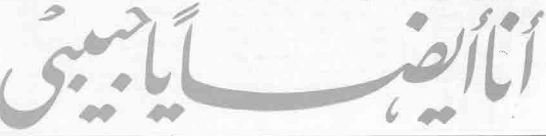
اكثر ما يغيظني أن أفقد نصف زوج من أي شيء !!••

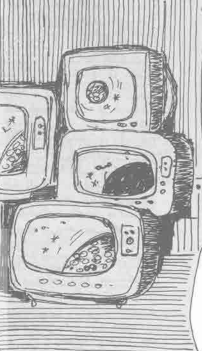
لقد قلت اني اسفة •• هكذا اجابت بصدت يوحي بانها لم تكن ابدا اسفة على شيء ، ثم استطردت : وما كل هذه الضجة التي تثيرها حول ضياع أحد مشبكي كم القميص •• هل كان زوج المشابك هدية من حسناء عزيزة عرفتها يوما ما ؟••

قال الزوج عابسا « لقد كانت هديتي الى نفسي •• كل ما في الموضوع انني كنت احتاج لزوج من مشابك اكمام القميص ، واتفق ان توفر لي المبلغ اللازم •• لقد عاش معي الزوج لسنوات طويلة ••

قالت الزوجة : هل هذا فقط هو سر تعلقك به ؟•• لا تعبس يا عزيزي •• فزوجتك الحبيبة ستشتري لك زوجا اخر •• عندما نعود الى حياتنا المدنية ••

واصل الزوج عبوسه قائلا : لكني اريد زوجا من المشابك •• والان !••





سالته في حيرة : لكن لماذا ؟٠٠ نحن هنا بمفردنا ٠٠ في المركبة الفضائية الخاصة بنا ٠٠ عند منتصف المسافة بين الحزام النجمي والمريخ ٠٠ وانت تثير ضجة حول حاجتك المجنونة لزوج من مشابك القميص !٠٠

قال بجفاء : لقد اتفقنا منذ البداية ، اننا لن نسمح لانفسنا بان نتزلق الى هدة الاهمال والقذارة ، التي يتردى فيها بعض الازواج الذين يقومون برحلات شبيهة برحلتنا هذه ٠٠ انت تذكرين بلا ريب هؤلاء الذين مررنا بهم في م٠ ن٠ ١٧٣ ج ٠٠ الذين عرضوا علينا الانتقال الى سفينتهم لتناول العشاء ٠٠ كيف كان الزوج يرتدي زي عمال المصانع ، وقد تلطخت ملابسه بالشحم والزيت ٠٠ والزوجة تضع عليها ما يشبه ممسحة البلاط ٠٠ يشربون من الزجاجات مباشرة ٠٠ ويتناولون طعامهم من العلب المحفوظة ذاتها ٠٠ و ٠٠

قالت مقاطعة : كانت تلك حالة مغرقة في الشذوذ ٠٠

قال مستطردا : اعرف هذا ٠٠ لكن مشيتي هكذا باكمام قميص مدلاة او مثنية الى اعلى ، سيكون الخيط الرفيع الذي يفصل بيننا وبينهم ٠ سادت فترة من الصمت ٠٠ ثم قال الزوج : الذي يضايقني هو سخافة الموضوع باكمله ٠٠ ادخل الحمام لاغسل قميصي ٠٠ اضع مشبكي القميص على حافة الحوض ٠٠ وبينما انا انشر القميص ليجف ٠٠ امد يدي لتناول المشبكين ، فيسقط احدهما في الحوض ، ويهبط الى الماسورة ٠٠ وما ان اسرع الى غرفة القيادة لاجلب الادوات التي سافتح بها ثنية الماسورة حيث استقر المشبك ٠٠ حتى اعود لاجدك قد اخذت تغسلين اشياءك في الحوض ٠٠ والمياه تتدفق دافعة المشبك بعيدا عن ثنية الماسورة ٠٠ لو اننا كنا في احدى سفن الفضاء من الطراز القديم التي تعتمد على نظام الدائرة المغلقة في التصريف ، لما كانت هناك اي مشكلة ٠٠ كان من الممكن تتبع المشبك الضائع خلال المواسير الممتدة داخل السفينة ٠٠ لكن ماذا افعل الان ٠٠ فمع المياه المتوفرة نتيجة استخدام مولد هالفوسن الجديد ٠٠ ومع نظام التعريف في الفضاء ٠٠

قاطعته الزوجة ساخرة : من يسمعك تتكلم هكذا ٠٠ يظن انك فقدت احدى جواهر التاج !!٠٠

قال محتدا : « مشابك قميصي تعني بالنسبة لي نفس ما تعنيه مجوهرات التاج بالنسبة للامبراطورة » ٠

فقالت في ضيق : « قلت انني سأشتري لك زوجا اخر من المشابك »

قال متمتما : « لكن لن يكون على نفس الشكل ٠٠ » ، وهم بالانصراف ، فقالت : « الى أين ؟ » أجاب بايجاز : « الى غرفة القيادة »

سالته ساخرة : لتمارس عبوسك وتجهمك على انفراد ؟ » ٠

اجاب وهو ينصرف : « لا ٠٠٠ لا يا عزيزتي ٠٠ لا ٠ » ٠

●★●

فقدت الزوجة شعورها عندما رات الصواريخ الماسية تنطلق لتوقف دوران السفينة حول محورها الطولي ٠ كانت في ذلك الوقت داخل مطبخ سفينة الفضاء ، تعد طبق (المكرونة الاسباكيتي) للعشاء ٠٠ غير ان توقف دوران السفينة حول نفسها وما يتبعه من انعدام الجاذبية لم يكن من الامور المناسبة اثناء اعداد طبق (الاسباكيتي) ٠

لم تنتظر الزوجة حتى تنظف وجهها وشعرها وملابسها من شرائط الاسباكيتي التي طارت في الهواء واغرقتها ٠٠ بل ذهبت مباشرة الى غرفة القيادة ، مستندة على القضبان المثبتة في جوانب الطرقات لتتفادى السقوط ، نتيجة للحركات غير المنتظمة التي اصابت السفينة ٠

صاحت في زوجها غاضبة « انت ٠٠ انت ايها القرد الذي له عقل فراشة ٠٠ منذ متى تصورت اننا

عن قصة : برترام شاندلر

ترجمة : راجي عنايت

تستطيع أن نتحرك دون جاذبية ... لقد افسدت القوة الطاردة المركزية كل ما كنت اعده للعشاء » .

قال مفاخرا : « لقد وجدت مشبك القميص الضائع .. تعرفين طبعا نظام طرد الفضلات من السفينة .. تخرج كلها في اتجاه مماس للسفينة عن طريق القوة الطاردة المركزية ، صانعة زاوية قائمة مع خط الطيران .. هكذا هبطت على رأسي الفكرة .. اوقف دوران السفينة حول نفسها » .

قالت مغتاظة : « عظيم .. وبعد ؟ »

اشار فرحا الى موقع من الشاشة البانورامية العريضة التي تحيط بغرفة القيادة « هاهو .. هل ترين ذلك الجسم الدقيق الذي يشبه سفينة فضاء صغيرة جدا .. انها فعلاً سفينة فضاء صغيرة » .

قالت : « وهكذا عرفت مكان المشبك الضائع .. فقط على بعد ثلثمائة متر .. مبتعدا عنا طوال الوقت .. من أجل هذه المعلومة التي لا تنفع منها ، تفسد العشاء الذي كنت اعده !.. »

قال وقد التمعت عيناه « من قال انها غير نافعة ؟.. لماذا اذا نحمل معنا في السفينة بدلات الفضاء ؟!.. »

صاحت مذعورة « لا تقل انك ستخرج من السفينة ؟!.. لا تقل هذا .. لا اعتقد ان الحماقة تصل بك الى مثل هذا التفكير .. » .

اجاب غير مباليا « كل هذا لانك مصابة بخوف مرضى من بدلة الفضاء ؟! » .

صاحت « وغلطة من كانت ؟.. عندما خرجت لاجد خزان الهواء فارغا الى ثلاثة ارباعه ؟ » .

اجاب ببرود « غلطتك انت .. الكل يعرف .. قبل ارتداء بدلة الفضاء يجب التثبت شخصيا من سلامة اجهزتها » .

قالت غاضبة « بعض النساء يكن على درجة من الحماقة ، بحيث يثقن في ازواجهن .. ومن اللائي يجتزن التجارب الصعبة التي مررت انا بها .. » .



اجاب « وبعض الرجال تبلغ بهم الحماقة ، انهم يتصورون معرفة زوجاتهم بابسط المعلومات عن نظام صرف الفضلات في سفن الفضاء الجديدة » ، وتوقف عن الحديث ليشير الى الشاشة « ها هو مشبك قميصي .. سالحق به .. » .

قالت بحسم « لا .. لن تجده » .

اجاب باصرار « بل ساجده .. ساخذ معي وحدة الحركة المضادة وساخرج من السفينة وانا متصل بحبل الحياة .. وليس عليك سوى مراقبة الشاشة ، وتوجيهي بحيث اخذ وضعا يعترض المدار الذي يسبح فيه مشبك القميص » .

صاحت غير مصدقة « انت مجنون !.. » .

فقال دون مبالاة « لست اكثر جنونا من التي تدفع المياه الى الحوض لافقد مشبك قميصي » ..

فقالت مترددة « ولكن .. ولكن قد يحدث أي شيء .. وانت تعلم جيدا انني لا استطيع ان ارتدي بدلة الفضاء واخرج بها .. قبل ان يتم علاجي نفسيا من التجربة السابقة .. » .

قال « لن يحدث شيء .. فقط اجلسي وراقبي الشاشة .. اعتقد انني لا اطالبك بالكثير .. » .

اخرج بدلة الفضاء من مكانها ، وبدا يدخل فيها .

أنا أيضاً يا حبيبي

كان عليه ان يقدر الموقف بشكل افضل • كان من واجبه ان يؤمن بان القواعد التي وضعتها ادارة الانتقال بين الكواكب ، قواعد حكيمة • ومن بين هذه القواعد الحكيمة ، القانون رقم ١١ ب والذي يقول (لا يسمح لاي شخص بالخروج من سفينة الفضاء دون رفقة زميل له) ، ورغم ان هذه القواعد قد وضعت للسفن الكبيرة التي تعج بركابها ، الا ان ركاب السفن الصغيرة الذين يفرطون فيها نادرا ما يعيشون ليستمتعوا بسنوات عمرهم كاملة !••

لم يحدث له ابدا ـ بعكس زوجته ـ ان واجه اي مصاعب مع بدلة الفضاء ، ولعل هذا هو السبب في اهماله واستهتاره • لقد بقى معلقا في الفضاء عند نهاية حبل الحياة الخارج من السفينة ، منتظرا اول تعليمات تصل اليه من خلال السماعات المثبتة داخل غطاء الراس بالبدلة • وجاءته التعليمات اخيرا في صوت يشوبه التذمر « على بعد مترين •• » استعد •• على بعد متر واحد ••

التمع مسدس الحركة المضادة التماعة قصيرة ، فاندفع جسمه الى الامام •• وراى المشبك يسبح في الطريق اليه •• قطعة ذهب براقة تلمع في ضوء الشمس •• ارتفعت ضحكاته •• ومد يده الى الامام ليمسك به فاكتشف انه يمسك بالمسدس في يده اليمنى •• اليد التي يستطيع ان يحكم بها قبضته على المشبك الطائر ، حاول ان ينقل المسدس الى يده اليسرى •• ومن فرط ارتباكه انفلت المسدس من يده سابحا في الفضاء اللانهائي •

« امسكت به ! » هكذا صاح في الميكروفون المثبت داخل الخوذة •

قال لنفسه •• لا يهم ضياع المسدس •• العودة الى السفينة ستكون سهلة •• ما على سوى ان امسك بحبل الحياة واجتذبه فاقترب من السفينة حتى اصلها •

وهنا •• هنا فقط ، اكتشف الحقيقة التي بددت ابتهاجه •• متى انفصل الحبل عن السفينة ؟!••

هكذا بدأ يسبح في الفضاء مبتعدا عن السفينة • لم يكن معه ما يمكن ان يلقيه بقوة الى الخلف حتى يتحرك جسمه ناحية السفينة •• لم يكن معه سوى مشبك قميص خفيف الوزن •• لا يفيد •

وصله صوت الزوجة قلقا « ما الذي حدث ؟ •• »

قال كاذبا •• « لا شيء »

اخذ يفكر •• انها لن تستطيع الخروج ببدلة الفضاء مع ذلك الخوف المرضي الذي تعاني منه • وحتى اذا تغلبت على خوفها الشديد فخروجها الى الفضاء في هذه الحالة مخاطرة كبرى •• ما فائدة ان يضيعا معا في الفضاء ؟•• وداعا •• وداعا يا حبيبتي •• كانت حياة سعيدة برفقتك •• عودي بالسفينة الى الارض •• وابحثي عمن يشتريها ••

قالت الزوجة بمزيد من القلق « تكلم •• ما الذي حدث ؟•• » •

« لا شيء •• » قالها يائسا ، ورغم أن مؤشر الضغط داخل البدلة كان يفيد سلامة الاوضاع داخلها •• الا انه أحس بالضغط داخل البدلة يتزايد •

صاحت الزوجة فزعة « هناك خلل ما •• تكلم •• ما الذي يحدث عندك ؟ » •

اعترف اخيرا « نعم •• كل ما اطلبه منك هو ان تستجيبي لندائي •• عندما تصلين الى المريخ •• اطلبي من توكيل مؤسسة سوريسون لسفن الفضاء ، اجراء مراجعة كاملة لمعدات السفينة و •• و •• » كان يناضل من اجل ان يتنفس •• « لقد كانت غلطتي •• حافظي على نفسك •• ولا تهتمي بامري •• » •

واغمى عليه من فرط الانفعال •

●✶●

كانت المفاجأة عظيمة •• عندما افاق ليجد نفسه نائما على الفراش في قمرته بالسفينة • كان وجهها هو اول مارآه •• تملاه الدموع •• متسخا ولكن سعيدا •• ادار بصره ليرى ما تحمله في يدها •• قميص نظيف ينتهي كل كم من كميه بمشبك لامع براق ••

قال برقة « لقد خرجت اذا الى الفضاء •• لقد احضرتني الى هنا • لكن •• لكن ماذا فعلت بخوفك المرضي من بدلة الفضاء يا عزيزتي؟»

قالت « لقد وجدت لدى خوفا اكبر منه •• شبيه بخوفك انت » ، ومالت فوقه تقبله ، ثم استطردت « انا ايضا اكره ضياع نصف زوج من اي شيء •• ليس فقط مشابك القميص !•• » •

لأجلك يا وطني واقفين نموت ..

شعر : عبدالحميد خريف

محبطـــات دم ..
صحاري رمالها ما ضاجعتها الخيام
مفـــاور رعب
جبال مسالكها الشوك ..
تفصلني .. عنك يا وطني ..
. . . .

غـــريب ..
تهاجر مني اليك .. عصافير عشقي احملها
مواويل شوقي .. وحلما يراودني ، كلما
حـط على باب زنزانتي القمر ..
وشيئا من الحيرة المزهرة في قلبي نار ..
.. وخلف العصافير تمتد ذاكرتي ..
وابقى على ضفة الانتظار
ارش رسومي على سقف زنزانتي ..
.. .. ظفائرك امي ليل فما لونها الان
بعد رحيـلي ؟؟..
.. .. قوامك حيث تميلين ..
تصلي الزياتين والبرتقال
فهل بعد هذا الرحيل انحنيت وصليت انت ..
. . . .

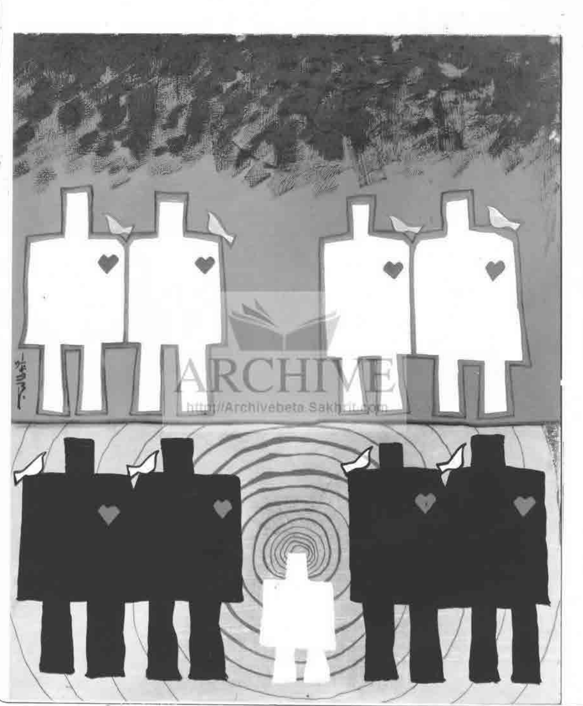
.. واصحو على صيحة للمتنبي
واخر ممن احبوك يا وطني ، قدم الان
رأسه مهرا
لاجلك يا وطن الصمت ..
والمـــوت
والرحلة الدموية ..
تخطينا درب الدراويش ..
تحدينا سياف هارون
وجند المماليك والقيصرية
. . . .

وطـــني :
جماجم من جعلوا الحب وقفا عليك
على بابك الخشبي علقوها
وكل مدائنك رصعوها
باحلى العيون التي منحتك الشموس
. . . .

وطـــني :
مرايا الليالي .. تحدثني عنك .. تقول
بانك خارطة حاصرتها الهزائم ..
تنـام على النعش مـدا ..
.. .. وزجرا على النعش تصحو
وفي صدرك العصر نائم ..
تقـول بانك عـار ..
يكفـن تاريخ ادم ..
تقـول المرايا ..
بان عواصـمك مقـبرة
ما ملاتهـا الخـوارج ..
ولا غمرتها دماء ابي زيد
ولا دفنتهـا الغنائم
. . . .

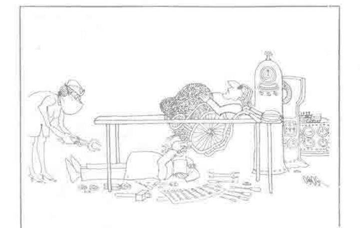
واني الذي الان للمهـر ادفع رأسي
سابقى عشيقك يا احلى عشق تحدر في نفسي
من قبل ميـلاد نفسي ..
. . . .

وحين على النطـع راسي تدحرج
وقبـل رحيـلي الجميـــل ..
رايتك يا وطني .. تفرس حتى الغياب
سيفك في جثة الليـــل ..
رايتك يا وطني الكبرياء .. تخيط من الشمس
اكفان كل الاحبة والرفقاء ..
رايتك .. خارج سور المدينة
تغني وفي الافق نعشي ات اليـك
سمعتك يا احلى صوتا تقول :
اوقدوا القناديل ، خيول العرس زاحفة ..
تطـرز قشرة الارض حوافرها
دقوا الطبول ، ورشوا مسالك الليل مووايل ،
اليوم عرسك انت يا ولدي ، جميل .. وكم تبدو
اليوم عرسك انت يا ولدي ، جميل وكم تبدو جميل
وانت الاســـمر القادم ..
تلوح بالمنـــاديل
وخلفـك الـدم بحـرا
اليوم يختلط المحيط بواد النيل ، وتغتسل الرمال
اليوم ، قبائل العشاق ،، على بيض الجمال
تخيـط ليـالي جنوبك ارضي بايام الشمال
ولـدي عريـــس ..
لا غير من رضع الشموس
وودع نجمـة الصبح على قمم الجبـال
يستقبل هودج العـزة ..







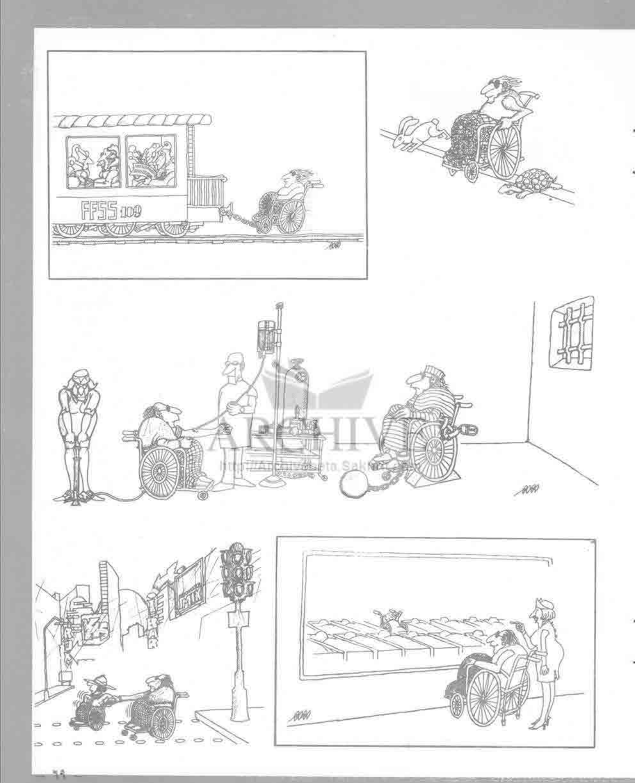


البطـل في

الكاريكاتير الاوروبى الحديث

محـلقا في السماء ·· اكاد الـمس السحاب ·· فرحا منطلقا « وهذا كله حقيقة وليست مجرد مشاعر » ·· فالطائرة ترتفع بي عن الارض في طريقي الى ايطاليا ·· مودليانى ·· بياتزا دل بوبولو البيتزا نابوليتاني ·· شعور بالقلق اللـذيذ لتوقع اشياء جديدة تعيد لي لحظـة انبهار رائعة ·· لوحـة ·· فترينة ·· قطعة موسيقى ·· خصلة شعر ·· قطرات مطر حنون بدات انسى صوت المحركات ·· وبدات اعيش في هذه اللحظة المؤلمة العذبة ·· انتقالك من مكان تحبـه الى مكان تحبه ·· الخروج من حنـين الى حنـين · المقعد بجواري خـاوي ·· فقط كتـاب جيب من كتب الفكاهـات ومسلسلات الاطفال التي يحبها الكبار اكـثر ·· اخذت اقلب من صفحاتها ·· القصص المصورة كلها متشائمة ·· قصة بطلها سجين يحاول الهرب ·· يتحت في الصخر ·· يحفر ممرا طويلا ينتـهي به الى البحر ·· يعوم طويلا حتى يصل الى غابة ·· يمر باهوال شديدة حتى يصـل الى المدينـة ·· وفي المدينة يكتشف ان العودة الى السجن بنفس المصـاعب والمشاق التي مر بها اسهل بكثـير من الحياة في المدينة ·· يا ساتر ·· لننتقل الى الفكاهات الرسام ايطالي واسـمه بيبوكوكو ·· من مواليد بيانكافيللا في مقاطعة بروفينسيا يعمل في ميلانو لـه مؤلفات كاريكاتورية حازت اعجـاب العـالم « الغـربي طبعا » · يقول ان الكاريكاتير يجب ان يكون حادا وقاسيا ·· « مواقق » اشهر شخصياته الـتي كانت سببا في تالقه كرسام كاريكاتـير هو « ارتورو » ·· وارتورو هذا هـو انسان مشلول يجـلس على كرسي ذي عجلات ·· يلبس نظارة ليؤكد انه ينظر للحياة بمنظار اسود ·· حقود ·· يكـره الناس ويود قتلهم جميعا ·· هـذا هـو « ارتورو » بطل مجموعة الرسـام الشهير بيبوكوكو ·· ·· ··

وددت لو تعود بي الطائرة الى حيث كنت ··


FFSS 109
IMK

اسعد الجبوري

لؤي كيالي

فنان تشكيلي تتفتح زهوره في الأعماق





● يبدأ تاريخ لؤي كيالي الفني منذ عودته من الدراسة في الخارج عام ١٩٦١ · حيث عاد لؤي الى سورية حاملا معه الزاد الذي ذهب الى الغرب من اجله ·يرافقه المجد الفني الذي حققه لنفسه مما يحلم به كثير من الفنانين قضوا اضعاف المدة التي امضاها هو : لقد نال مجموعة من الميداليات رمزا للتفوق وجوائز مسابقات خاضها ، وكان من المبرزين فيها ، ودعوات اقامة معارض من صالات عرض معروفة ومتعددة وانشطة فنية ايطالية ودولية شارك بها من مستويات ممتازة ··

في كتابه عن « لؤي كيالي » يقول ممدوح قشلان : لقد ادخل نما جديدا ، ونقل خبرة جدية مرتبطة بتقنية مدروسة ، تتلاءم مع المفهوم المرتكز على ارتباط الشكل بالمضمون ،



لؤي كيالي

- لؤي كيالي بجانبه لوحه





واستطاع ان يغطي المقياس السليم بان ليس كل انحراف عن الواقعية هو الفن الحديث · ليس النقل الاعمى للتيارات المعاصرة (باسم المعاصرة) التي تهرب من الشكل وغير المسبقة بادراك كامل لابعاد العمل الفني هو الفن الصحيح ·

ان لؤي يلتزم بالمحافظة على الشكل وعدم الهروب منه ، بل العكس تماما ان لؤي يهاجم الشكل ويدخل فيه ، في اعمق عقدة ويبحث عن المقومات الحقيقية للتعبير به ، وهذا تاكيد لايمان ثابت بالعلاقة الاساسية بين العنصرين الاساسيين للعمل الفني ··

وقد سئل مرة عن اسلوبه فأجاب : ليست هناك اية مدرسة معينة (من تاثيرية تكعيبية او تجريدية) اتتبع خطاها فيما انتج ، اذ اننا نحاول جاهدين ما استطعنا خلق اتجاهات جديدة في الفن ·

ولد الفنان في مدينة حلب عام ١٩٣٤ وبدا الرسم عام ١٩٤٥ حيث انهى دراسته الثانوية والتحق بكلية الحقوق · اشترك عام ١٩٥٥ في معرض الجامعة السورية وفاز بالجائزة الثانية ، بعدها اوفد ببعثة من قبل وزارة التربية لدراسة الرسم في اكاديمية الفنون الجميلة في « روما » ونال الجائزة الاولى لمسابقة « سيسيليا » عام ١٩٥٨ المنظمة من قبل مركز العلاقات الايطالية العربية ·

كما فاز في عام ١٩٥٩ بالميدالية الذهبية للاجانب في مسابقة « رافينا » ، بعدها انتقل من قسم الرسم الى قسم الزخرفة في اكاديمية روما · وقد مثل مع زميله الفنان فاتح المدرس بلاده في معرض السنتين الدوري في مدينة البندقية · نال « لؤي » بعدها الجائزة الثالثة في مسابقة مدينة ـ كوبيو ـ والجائزة الثانية في مسابقة مدينة ـ الاترى ـ وفي عام ١٦٦١ حصل على شهادة اكاديمية الفنون الجميلة في روما قسم الزخرفة حيث عاد بعدها وعين مدرسا للتربية الفنية في ثانويات دمشق ·

وفي الواقع ، ان لوحات « لؤي » لفتت انظار الفنانين والكتاب والجمهور ومتذوقي الفنون بشكل غير عادي وعلى كافة المستويات ·

ومن حصاد حوار مع الفنان التشكيلي « لؤي كيالي » ·· يستطيع القارىء ان يتعرف على بعض ما يدور في راس الفنان من افكار ، جاءت جميعها على لسانه ·

يقول لؤي كيالي :

● جمالية الزهرة وتقديمها للاخرين في تكوين وتوزيع جميلين

ـ ازهار *

ـ القارب الاحمر *



وفي خط ولون جميلين ربما يكون هو الدافع لان طرح الزهرة يجب ان يكون موازيا لجمالية الزهرة ٠

● ان الزهرة تجد ذاتها جميلة ٠٠ لذا يجب تقديمها باطار جميل ٠ والاطار الجميل لا يعني الا التكوين والخط واللون ٠

● للفن وظيفة حياتية (الفن للشعب ـ الفن للفن) فمن الفنانين من يساهم مساهمة فاعلة وافية في تغييرات المجتمع ، وخاصة المجتمعات المتخلفة ، ومنهم من يطالب بالتغيير نحو الافضل في حياة الاخرين ٠ ومنهم من ينطلق من منطلقات جمالية بحتة من حيث تاكيده على نظرية الفن للفن ٠

● قد يختلف الخلاص بالنسبة للفنان ، حسب درجة معاناته الحياتية ٠ وحسب تجاربه اليومية ايضا ، كثير او بعض من الفنانين لم يمروا بتجارب حياتية ضخمة ومعاناة حقيقية صميمية ، بحيث بقوا في السطح ، لم يفكروا ابدا في مسالة الخلاص ، او ماذا يعني الخلاص ٠٠ حياة رتيبة ، معاناة مادية او معنوية ٠٠ فكانت منطلقاتهم في النتاجات الفنية منطلقات جمالية ٠ اما بالنسبة للمعاناة الحقيقية والتي تتناول اعماق الانسان ، وتقتلعه من جذوره ٠ فذلك يظل مرتبط بالحياة وبالاخرين ٠

● خلاص الفنان هو خلاص الاخرين ، عندما يدرك ان هناك الكثير من الاخرين يبحثون عن الخلاص ، من حيث يدرون او لا يدرون واكبر مثال على هذا الفنان الذي عانى وقدم حياته اخيرا نتيجة معاناته وهو الرسام « فينسان فان جوخ » ٠

● ان موقعي من النهضة الفنية المعاصرة في الوطن العربي ، اعد جماهيريا من الاوائل ٠ اما من ناحية المذهب فان لي اسلوبي الخاص الذي يتراوح بين الواقعية والتعبيرية ان صح التعبير ٠

● انشىء اتحاد الفنانين التشكيليين العرب منذ سنوات ، وهو يمارس نوعا من النشاطات الى حد ما ٠ وهذا برأيي لا يؤدي الى تدعيم النهضة الفنية العربية المعاصرة كما يجب ٠

اذ يجب ان يكون هناك مؤتمرات فنية على مستوى الوطن العربي ككل ولقاءات بين الفنانين العرب اكثر ٠ كما ان الاتحاد يجب ان يتبنى فكرة اقامة معارض فنية مشتركة للفنانين ، مختارين من اقطار مختلفة في العالمين الغربي والشرقي ٠

كما ان الجامعة العربية يجب ان تاخذ دورها في هذا المجال ايضا ٠٠

محمد ابو طالب

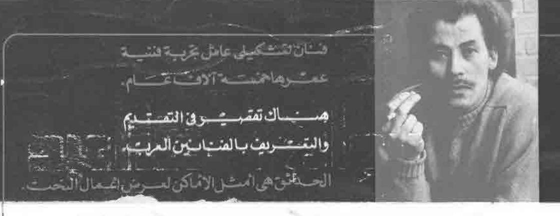
عبد الهادي الوشاحي

فنان ... ... ور الفراغ .



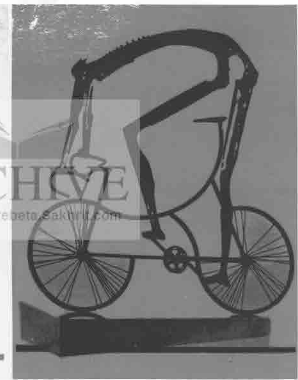
عازف الجيتار « برونز » ١٩٦٨

اذا كنت ممن يسافرون الى الخارج ·· فربما تكون قد سمعت الناس هناك في الشوارع يتحدثون عن فنان مصري ·· او على الارجح ·· عن اعمال فنان مصري ·· تثير انتباههم ·· وتضيف الى اهتماماتهم العديدة ·· اهتماما خاصا لفنان يحمل اسم ·· عبد الهادي الوشاحي !!



ويقيم نصب ... حبايا.





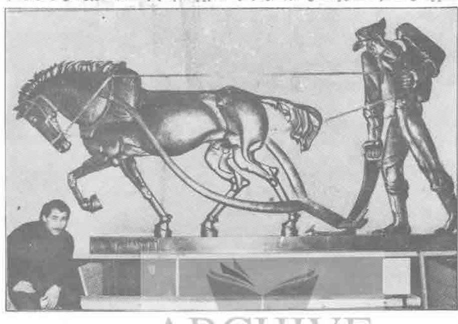
الفـائز « نحاس مطروق » ١٩٧٠

تعال نتامل اعماله معا على الورق ·· وليس على الطبيعة ·· لكي تتملكنا دهشة الاعجاب كما حدث من قبل لنقاد الفن ومحبيه في اوروبا عندما شاهدوا اعمال هذا الفنان الشاب ·· ولكن حتما ستزول دهشتنا عندما نعلم ان عبد الهادي الوشاحي له تجربته الفنية الطويلة التي تزيد على الخمسة الاف عام ! عاصر من خلالها عن طريق اسلافه الاقدمين معظم الحضارات العظيمة المعروفة من الحضارة الفرعونية الى الان · ومارس جميع الوان الفنون وابدع فيها خلال تلك العصور مستخدما جميع الخامات المتاحة والمعروفة حينذاك ··

جده الاول أحب النحت منذ الاف السنين ودخل في صراع

عبد الهادي الوشاحي

تفصيلة من النصب التذكاري للفلاح المجهول بمدينة « الجينيت » باسبانيا نحاس مطروق على ارضية رخام •



عنيف مع صخور الجرانيت والبازلت وانتصر عليها ليبدع الاف التماثيل بالغة الدقة والرقة والقوة ، وما تزال حتى الان بعد مرور الاف السنين تحكي لنا كما ستحكي للاجيال من بعدنا عظمة هذا الانسان الذي بدد ظلمة العالم كله بنور حضارته وما زال ينجب عقولا ومواهب وضاءة ليس اخرها عبد الهادي ·· عبد الهادي الوشاحي •

ولد عبد الهادي الوشاحي عام ١٩٣٦ بمدينة المنصورة بمصر ·· وحصل على بكالوريس الفنون الجميلة عام ١٩٦٣ بتقدير امتياز وبعد عامين سافر الى اوروبا رغبة في المزيد من التحصيل والتفاعل مع فن وفناني هذه القارة وتنقل بين فرنسا واسبانيا وايطاليا وظل هناك سنوات طويلة • واشترك في معارض كثيرة منها بينالي الاسكندرية ـ بينالي باريس ـ بينالي ابيثا ـ بينالي برشلونة ـ معرض الفن المعاصر بمدريد ـ المعرض الدولي للفن المعاصر بجاندية باسبانيا ـ معرض النحت المعاصر فالينشيا باسبانيا • كما رشح عضوا في اتحاد عام فناني البحر الابيض المتوسط باسبانيا ودعى الى معرض النحت الدولي في الهواء الطلق السابع والثامن والتاسع والعاشر ومؤسسة باجاني بميلانو بايطاليا ··

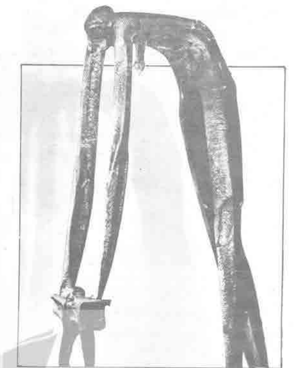
واعمال الفنان عبد الهادي الوشاحي نجدها من مقتنيات متحف الفن الحديث بالقاهرة ـ متحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ـ متحف الفن المعاصر بابيثا باسبانيا ـ متحف الفن الحديث بميلانو وسفارتي جمهورية مصر العربية بباريس ومدريد •

و من الجدير بالذكر انك عزيزي القارىء لابد أن تشعر بالفخر اذا ذهبت الى مدينة « الجينيت » باسبانيا ورايت نصبا تذكاريا ضخما للفلاح المجهول اقامه الفنان الوشاحي ، حقا انه لعمل يبعث على الفخر بعد ان تعودنا ان نشاهد في ميادين عواصمنا العربية تماثيل اقامها فنانون آجانب •

مما سبق ندرك أن الاوساط الفنية في اوروبا قدرت اعمال الوشاحي ووضعتها في مكانتها الجديرة بها والسبب في ذلك يرجع اولا وأخيرا للمستوى الفني الذي تتميز به تلك الاعمال التي تعكس حساسية بالغة ومقدرة فائقة في علاج مشكلة الكتلة والفراغ مع مراعاة طبيعة الخامة المستخدمة في التمثال ··

وتتميز اعمال الوشاحي بثبات ورشاقة مع نسب جميلة وعلاقات موفقة بين اجزاء التمثال بعضها البعض ··

وتمثال الوشاحي يعطيك تكوينات مختلفة وعلاقات متنوعة بين الكتلة والفراغ عندما تنظر اليه من زوايا متعددة على مدار الدائرة حول التمثال • وهذه الصفة الواضحة في اعماله تعطيك انطباعا بانه عازف ماهر يعزف بالكتلة في الفراغ



الخطوة الاولى ـ رفض الفنان ان يبيعها او يقيمها في الخارج واحتفظ بها ليقيمها في بلده ·

فيخرج انغاما متباينة الدرجات تجعل من تمثاله قطعة موسيقية رائعة تسري في الوجدان حاملة افكار الفنان الاصيلة ، ومن اعماله التي تتضح فيها هذه الصفات كما تؤكد قدرته وتمكنه وفهمه للخامة المستخدمة تمثال الفائز وتمثال عازف الجيتار ·

والوشاحي كأي فنان عربي معاصر له رؤياه الخاصة ومشاكله وآماله وهي بالطبع جانب من الصورة العامة لرؤيا ومشاكل وآمال الفنانين العرب · ولنستنتج ذلك من حديثه التالي :

● للاسف الشديد فكرة الفنان الاوروبي عن الفن العربي المعاصر فكرة بسيطة للغاية وذلك مرجعه التقصير في اسلوب التقديم والتعريف بالفنانين العرب حتى المشتركين منهم في المعارض الدولية ، فهناك اساليب تتبعها الدول الاجنبية في تقديم فنانيها لا نتبعها مثل طبع كتالوجات فاخرة تحوى بعض اعمال الفنان وعرض افلام وشرائح لونية لهذه الاعمال ·· دعوة النقاد والصحفيين للكتابة عن هؤلاء الفنانين كما تطبع كتيبات عن حياة واعمال هؤلاء الفنانين ··

● اقترح أن يتم التنسيق بين صالات العرض العربية وقريناتها في البلاد الاخرى لتبادل اعمال الفنانين العالميين دوريا ··

● من الملاحظ أن صالات العرض في البلاد العربية تتركز في العواصم والمدن الرئيسية رغم انني شاهدت في اوروبا معارض تقام لكبار الفنانين في اصغر القرى وذلك بالتعاون مع الحكومة والجهات الرسمية · والجهات الخاصة ·

● يجد الفنان العربي صعوبة في عرض اعماله او اقامة معرض خاص حيث يتطلب ذلك امكانيات لا تتوفر عادة لدى الفنان بينما نجد في اوروبا وكلاء ومكاتب تتولى اقامة المعارض والدعاية للفنان منذ البداية ··

● اتمنى ان اعثر على قاموس أو مرجع يؤرخ اعمال الفنانين العرب وبهذه الوسيلة تصل أسماء الفنانين العرب الى المراجع الدولية · ولكن ـ للاسف الشديد ـ متى يحدث هذا ؟!!··

● أرى ان الحدائق في البلاد العربية هي امثل الاماكن لعرض اعمال النحاتين العرب بعيدا عن ازدحام المدينة ·

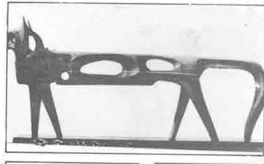
● من الاسماء اللامعة في اوروبا في مجال النحت الفنانون : هانز ارب ـ بلوك ـ بومو دورو ـ هنري مور ـ الكسندر كالدر ـ برباره هيوارس ·

اخيرا عزيزي القارىء لنا لقاءات اخرى مع فنانين عرب يسهم كل منهم في المحافظة على ملامحنا الحضارية العظيمة رغم تجاعيد السنين ··

محمد ابو طالب



تحية الى القط الفرعوني « فخار » ١٩٧٣





[illegible] « فخار » ١٩٧٣



لويدجي « فخار » ١٩٧٣

د. محمد المنسي قنديل

أمية بن أبي الصلت
المتوهم والمنتظر الأعظم



كان يهذي من الحمى عندما مرق طائران من خلال النافذة ودارا حوله عدة دورات ثم نفذا الى الفضاء الخارجي .. زعق .

ـ لبيكما . لبيكما .. ها أنذا لديكما ..

لا برىء فأعتذر .. ولا ذو عشيرة فأنتصر ..

هتفت ابنته .. اهدأ يا أبي .. أنت تهذي .. دفع يدها وهو يحاول النهوض . هذان طائرا النبوة . يحملان لي الخاتم والرسالة .. قالت : أنت تتوهم يا أبي لا توجد طيور . والرسالة مجرد حلم .. لكن صدره كان يعلو وينخفض .. يسمع صراخ الطيور الحاد وهي تناديه . من فوق حواف الصخور المسنونة

ومن قيعان الاودية المحترقة · وعند الابار والينابيع حيث تموت الاوهام في وهج الظهيرة ·· يلاحقه الصوت الغريب في النهار كالنذير ·· وفي الليل كالحلم ·· انهض يا امية ·· جاءت اعلام الزمن الجديد ·· يتفصد جبينه بالعرق ويصرخ ·· من ذا الذي يرفع الاعلام ؟·· ومن اي الجهات تهب الريح ؟·· أحس ريح الصبا ·· وأحس ريح الموت ولكن اين ريح النبوة ؟··

مرق الطائران خلف النافذة مرة اخرى ·· فهتف :

ـ لبيكما · لبيكما ·· ها انذا لديكما ··

لا مال يغنيني ·· ولا عشيرة تحميني ··

نهض من الفراش · دفع ابنته بعيدا · خرج من البيت واجتاز الحي وابتعد عن المضارب · يقوده الطائران في السماء نحو افاق بعيدة ·· رآه قومه من « ثقيف » ·· هتفوا به ··

ـ الى اين تمضي يا امية ؟··

رآه رعاة الماشية وحداة الابل وعشاق الابار الجافة · وكان الطريق الذي يسلكه لا يقود الى اليمن او الشام ·· لكنها مسارب غريبة يا أمية لاتني تتفتح وتتشابك كالفخ ·· كأنك الطراد والصيد · والقلب الذي أضنته الحمى والانتظار الشاق ـ يصرخ ··

ـ ... السماء · ياكل الموجودات · من اخر ... الاتي ؟··

... جميعا ··

ـ اميه بن ابي الصلت ··

اهر السراب الخادع مرة اخرى ·· أيتها الطيور توقفي قليلا واجيبي على سؤالي ·· اذا كنت انا حقا اخر أنبياء الزمن الاتي ·· فمن هو هذا النبي الذي ظهر من قريش · هذا الفقير البائس ·· أتراه قد سلب حقي وسرق مني رسالتي ؟··

لا تتوقف الطيور · تخترق قطع السحاب المتناثرة وتقوده خلفه · انفاسه كأنها الحشرجات الاخيرة ، وصدره مثقل وقدماه تغوص في رمال متحركة ·· وأخيرا توقفا فوق تل مرتفع وأخذا يرمقانه بعيونهما المستديرة الحادة ·· هتف :

ـ لبيكما · لبيكما ·· ها انذا لديكما ··

محفوف بالنعم ·· محوط من الريب ··

وظل يتسلق التل حتى تجرحت راحتاه ·· الاحجار جماجم · والرمل دم جاف · والطائران خفاشان كبيران يلفان في القاذورات ويرقبانه في تحفز ·· توقف مشدوها ثم هتف في يأس مطبق ··

ـ لقد خدعتني السماء ··

واغمى عليه حتى عثر عليه بعض الرعاة من قومه وشاهدوا طائرين أسودين يجثمان على صدره وينقران لحيته ·

أمية في الانتظار

لم يزل امية بن ابي الصلت في الانتظار · منذ ان شب ووعى · رأى الصحراء المترامية تسكنها بطون وقبائل متفرقة لا يحكمها غير قانون الثار ·· والاصنام الضخمة تنتصب حول الكعبة · والتجار يستخدمون كل الوسائل من اجل الكسب · والعبيد يذوون تحت شمس الصحراء القاسية تعبا وعرقا · وبيوت اللهو تمتلىء بالحالمين التعساء ·· سافر امية شمالا الى الشام · وجنوبا الى اليمن · باع وكسب وخسر وعرف ، واتسعت حدود العالم وانبسطت اليابسة · شاهد الرهبان في أديرتهم المتناثرة واليهود في معابدهم · ورأى الحبش اتباع سيف بن ذي يزن يمضون عمرهم في مضغ القات بعد ان تخلت عنهم الهالات الاسطورية ·· واحس بنظرات الاحتقار التي يلقيها الفرس والروم على كل ما هو عربي ·· وعندما كبر قليلا بدأ يقرأ · قرا كتبا لم تقرأها العرب · وعرف نبوأت لم يسمع عنها احد من قومه وهيأ نفسه من اجل رسالة كانت جنينا في بطن الغيب · ادرك أن الاصنام باطلة والخمر فاسدة والكون زائل فلبس السواد وتمسح بالزيت ·· وانتظر ··

قال امية بن ابي الصلت يحدث صاحبه ··

ـ ان ما هنا راهبا عالما أخبرني انه تكون بعد عيسى عليه السلام ست رجعات وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة وانا اطمع في النبوة واخاف أن تخطئني ·

كانت قبيلته « ثقيف » حملا تنوء به اكتافه ·· يحمل لعنتها واثمها المتكرر وسط عالم يقيم كل شيء وفقا لسلسلة طويلة وقاسية من الانساب · تنحدر ثقيف من اياد ·· وأياد من ثمود · الذين قتلوا نبي الله صالح وعقروا ناقته ·· هنالك حديث نبوي يقول :

« من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يحب ثقيفا · ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يبغض الانصار »·

ما من كان يذهب اليه ثقفي الا وخرج له من يعايره بثمود ·· وكلما فاخر العرب بعضهم بعضا · والمفاخرة هي عدة الامة العاجزة ـ عدوا ثقيفا من غير العرب · وظل رمز عارهم ممثلا في قبر « ابو رغال » كلما مرت به قافلة او جماعة رجمته

بالحجارة كانما ترجم ثقيفا كلها ٠ كان جدهم الاكبر وأول ملوكهم ٠ كان ظالما حتى انه ذبح الماشية التي كانت تمد الاطفال الرضع باللبن ٠٠ وكان دليل جيش « ابرهة » بعد أن رفضت كل القبائل أن تدله على الطريق للكعبة ٠ دلهم ابو رغال وهلك فيمن هلك منهم ودفن في مكان بين مكة والطائف ومر الرسول بقبره فامر برجمه فرجم ٠ فكان ذلك سنة ٠٠

ظل أمية يحس بوطأة هذه اللعنة في أعماقه ٠ تسرب اليه اللاشعور الجماعي الذي كان يثقل كل افراد قبليته بالعار ٠ حتى أن اللعنة تحولت الى وضع اجتماعي ثابت ٠٠ لكن رغبة التطهر الحارة كانت تؤرقه ٠ لم يصور الاصبهاني مثل هذه العاطفة الجياشة وهذا التوق الذي كان يفور بنفس هذا الرجل٠ كان في الرسالة التي ينتظرها خلاصه ٠٠ وخلاص قومه ٠ ورفعهم من مرتبة القتلة الى مرتبة المبشرين ٠

أشعر أهل ثقيف

لقد ولد لديهم الشعور بالذنب رغبة متطرفة في التفوق ٠٠ يقول ابو الفرج عن أمية وقومه ٠٠

ــ اتفقت العرب على ان اشعر أهل المدن أهل ثقيف ٠٠ واشعر أهل ثقيف أمية بن ابي الصلت ٠٠

وبسبب وطأة هذا الشعور ولد الانبياء المتوهمون مثل أمية ٠ وخرج القادة القساة المتعطشون للدم مثل الحجاج بن يوسف الثقفي ٠٠

بدأ الامر مثلما تبدأ الاحلام ٠ كان نائما وانشق السقف عن طائرين ٠ وقف أحدهم على صدره فشقه ٠ اخرج قلبه فشقه ٠ قال الطائر الاعلى : أوعى ؟ ٠٠ قال الطائر الاخر : وعى ٠٠ قال : اقبل ؟٠٠ قال : ابى ٠ واسرعا بالتحليق مبتعدين وانطبق السقف ٠ وجلس أمية يمسح صدره ٠ قالت ابنته ٠٠

ــ يا أبي ٠٠ هل تجد شيئا ؟٠٠

قال ٠٠ لا ٠٠ ولكني أجد حرا في صدري ٠

وفي السماء هوى شهاب قرمزي أمام عينيه فاعتقد انه النداء الذي ينتظره ٠ وثغت شاة صغيرة فعرف لغتها وعرف أنها تشم رائحة الذئب ٠ وتنبأ غراب أسحم بموته ٠ سافر مع القوافل شهورا وسنينا ٠ باع الكثير وربح الكثير ٠٠ لكن النبوة كانت حلم الخلاص ٠٠ انتشر شعره الجذل المليء بالالفاظ الغريبة والصور الاشد غرابة ٠٠ لكن معانيه كانت تدور عن الاخرة والبعث ٠٠ وتساءل عندما تثاقلت الايام ٠٠ متى تجيء الساعة ٠ ويهبط الوحي ؟٠٠

حدثوه عن راهب يعرف علوم الاولين ويعرف ميقات نبي الزمان الاتي ٠٠ وفي احدى رحلاته ترك القافلة وظل يخب بناقته عبر فيافي موحشة حتى رأى الصومعة الوحيدة والراهب الوحيد ٠٠ هبط اليه ٠ كانما كان الراهب ينتظر قدومه ٠٠ قال له :

ــ يا أمية ان لك تابعا لا تراه يسعى خلفك ٠٠

قال أمية بفرح حقيقي :

ــ نعم ٠٠ أحس بذلك منذ ان كنت صغيرا وصوته يلاحقني ٠

ساله الراهب : من اين يأتيك ؟٠٠ قال أمية : من اذني اليسرى ٠ ساله : باي الثياب يامرك ٠٠

قال : بالسواد ٠

ساله : ما مركزك وسط قومك ؟ قال : انا سيدهم واكثرهم مالا ٠٠

قال الراهب بأسف ٠٠

ــ لقد كدت ان تكون النبي المنتظر ٠ لكن الاخر ياتيه تابعه من اذنه اليمنى ويامره بلبس البياض ٠ وهو افقر قومه واقلهم مالا ٠ لكنه اشرفهم نسبا ٠ اما تابعك فهو من الجن ولا شك ٠٠

ظل أمية يحدق فيه ٠ لا يستطيع متابعة الكلمات ٠ ينتظر ان يغير الراهب اقواله ٠٠ يعدلها ٠٠ همهم ٠٠



ليس انا ‥ هتف في حيرة ‥ واحد اخر غـيري اشد فقرا واكثر نسبا ‥ وظلت ابتسامة الراهب ثابتة ‥ أي أمل اضاع وأي حلم حطم ‥ ركب ناقته وواصل سيره للشام · باع واشترى · كسب وخسر · حدث نفسه باطمئنان : لا يوجد من هو احق مني بالرسالة ‥ تطلع للسماء البعيدة هناك اله واحد ‥ اله ابراهيم واسماعيل ‥ الاصنام التي يحملها اصحابه ويتباركون بها باطلة ‥ الخمر التي يقتلون بها الليالي فاسدة ‥ وبقى هو ‥ نقيا كما الثلج في جبال الشام ‥ مديحا كشمس الصحراء · عميقا بعيد الغور كالبحر المتد · وتساءل في حرقة : كيف يكون النبي فقيرا ؟‥

وفي طريق العودة انفصل عن القافلة · وسعى براحلته مرة اخرى عبر الفيافي الى نفس المكان · الراهب الوحيد والصومعة الوحيدة والابتسامة الثابتة ‥ ترجل عن ناقته وسال ‥

ـ متى يظهر اخر الانبياء ؟‥

قال الراهب على الفور :

ـ يا امية لقد كانت الرجعة وقد بعث نبي العرب وكل السماء تتالق بنجوم دعوته ‥

وازداد ذهول امية ‥ ضاع عمر الانتظار الطويل · طوال مدة السفر وهو يرتعد ويحس بالخديعة · حتى الشهب التي تهوى ليست اكثر من اكاذيب ‥ ويعث فيه الحداء الطويل الممتد شعورا بالحسرة القاتلة وعندما يبكي الرجال في الصحراء فهذا ليس من الامور الهينة ‥

النبي الجديد

عندما وصل الى بيته لزمته الحمى واستبد به الهذيان · لكن الاخبار لاحقته داخل الفراش كدقات الطبول المنذرة · كلها تتحدث عن النبي الجديد والدعوة الجديدة · تتحدث عن فزع السادة وعن فرح الفقراء والعبيد · هذه ايام الريح المواتية والحياة المتدفقة ‥ عبر الحصار والاضطهاد وفي وجه كل العادات المتوارثة والعبادات والطقوس والاوضاع الاجتماعية والمصالح والاوامر القبلية وفوق العصبيات وقوانين الدم وشرائع الصحراء كانت الدعوة تولد وكان الفقراء يمسكون عليها مثل الجوهرة ومثل جمر النار ·

لم يطق رقدته ‥ تسلل من بيته حتى عرف المكان الذي يجتمع فيه اتباع النبي اختبا خلف احد الحواجز واخذ يتطلع اليهم ‥ جماعة من الفقراء والعبيد ومعذبي الارض يجلسون تحت شمس الصحراء القاسية يتدارسون · وجوههم نحيلة مدبوغة · وأجسادهم دأبت على العمل اليومي · والنبي الجديد جالس في وسطهم وعيونهم مشدودة اليه ‥ عندما يتكلم تتدفق فيهم الحياة وتتقلب موازين الكون البالغ القدم · ادرك أمية أن الهواتف خادعة · وأن لبس السواد ومسح الزيت لا يهب خلاصا · ان هذا الرجل الفقير الجالس وسط دائرة الفقراء وحده يملك القدرة على التغير لانه يعرف ماذا يريد أن يغير · تطلع أمية الى نفسه · كان سيدا وكانوا بؤساء ‥ كان يحمل جرح اللعنة الذي لا يندمل ‥ وكانوا يحملون خلاص العالم كله ‥

وبدلا من أن يستعيد توازنه النفسي · اخذ قلبه ينبض بغيظ متأجج ‥ لقد خدعني واخذ رسالتي · سلب النبوة مني ‥ ومضى في طريقه · يثير الرثاء اكثر مما يثير السخرية · يحس بالعالم وهو يتغير حوله دون أن يملك القدرة على المشاركة ‥ وتساءل في حيرة ·

ـ هل يعتنق الاسلام ‥ هل يرضى أن يكون تابعا بعد أن وهب عمره كله ليكون نبيا ‥

وزادت وطاة الحمى فاخذ ينادى الطيور التي خدعته · ويلعن الراهب الذي سرق منه البشارة · ومشى يتخبط بين الخيام · يلقى اخر تعاليمه ويدعى ان الوحي قد اخطا طريقه في الهبوط ‥ مجرد خطأ صغير ‥ لكنه قاتل ‥ لكن الاوضاع سوف تتحسن ‥ هاهي تعاليمه ‥ وهذه هي نبوته ·

قالوا له ‥ اسلم · لعل في الاسلام خلاصك ‥ رد غاضبا :

ـ اعلم انه قد دنا أجلي ‥ وهذه المرضة منيتي ‥ ولكن الشك يداخلني في محمد ‥

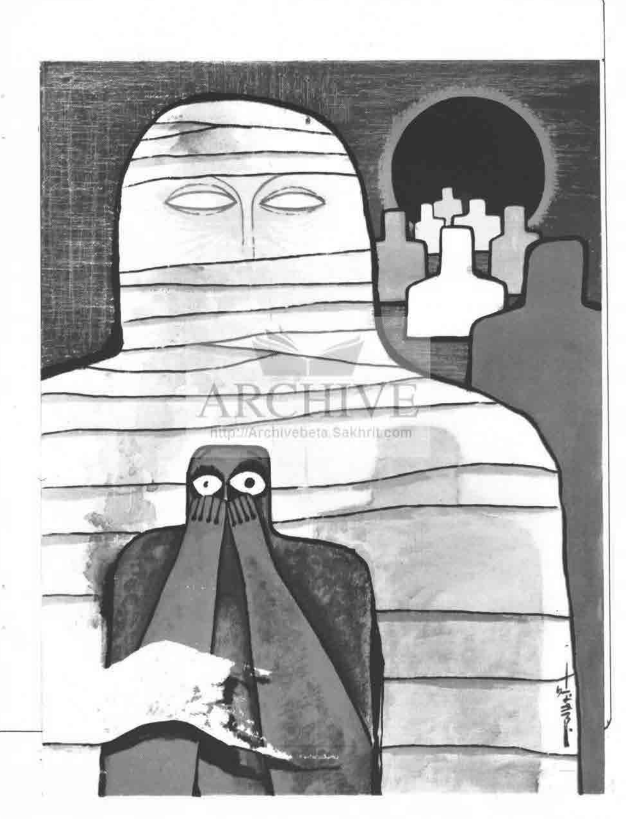
راى المسلمين يعذبون · رآهم يهاجرون بعيدا عن اراضيهم وديارهم · لكن الرسالة تطوي الصحراء كالسيل ‥ وبقى وحيدا · نبتا بلا ظل ·

يقولون ‥ انه بينما كان يشرب من احد الكؤوس جاء غراب اسحم ووقف على حافة النافذة · تطلعا لبعضهما ـ امية والغراب ـ مليا · ثم قال امية ‥

ـ سوف تقع من فوق حافة النافذة ‥ وتموت · رد عليه الغراب :

ـ وانت سوف تشرب من هذه الكأس رشفة واحدة ‥ وتموت ‥

ووقع الغراب من على حافة النافذة فمات ‥ ورشف امية اخر شرابه ومضى ‥ مضى المتوهم والمنتظر الاعظم ‥



إحدى وأربعون مئذنة

قصة بقلم : علي الملك

للمستشفى رائحتان : رائحة هي رائحة المجاري ، واخرى هي رائحة الموت ، وان كنت لا تعرف رائحة الموت فقد عرفها هو حين كانت تحوم حول رأس امه · وكان قبلها يظن أن الموت : لانه غدار وخائن لا يغشى الكائنات الا في الليل · وخاب حدسه لان امه ماتت بعيد منتصف النهار والشمس في عنفوانها ·

كان واقفا امام فراش مرضها غير قادر أن يجود لها بشيء : بقلب ·· بكلية ·· بعين ·· بقسم ·· من روحه كيما تعيش وتحيا ·

في ذلك الصباح احس بالم وليس بالم يفري احشاءه ، لم يكن الما ·· كان شيئا ما ، احساسا ما · ولكنه يسبب قلقا عظيما ، « ماذا لو ماتت امه اليوم ؟ اليس كل حي صائر الى زوال ؟·· » يقول في نفسه ، هكذا يجب أن يعزي نفسه ، يمكن أن يقول هذا للاخرين يواسيهم معزيا ، ولكن حين يكون الفقد امه فلن تنفعه كلمات المعزين ·

كان الوقت شتاء ، ياكم يخاف هذا الفصل لبرده ؟ لظلمه ليله الحالكة ؟ أم لوحشته ؟ ام لان اباه قضى في الفصل ذاته دون انذار ؟ كان ينام والتليفون قرب رأسه يتوقع أن يستيقظ على صوت « باك » من المستشفى ليقول له ؟ ماتت ·· ماتت ·· ولماذا تموت ؟ اليس هذا خير المستشفيات وانظفها ؟ واعظمها عدة ؟ وفيه ايضا ممرضات انجليزيات ؟ هراء ، وهل تمنع ممرضة انجليزية الموت ؟ ام تؤخر اجله ان حان وحل ؟··

سستر اليس ·· كيف حالها اليوم ؟ » كانت سستر اليس براقة العينين ، جامدة الوجه ، تقول « لقد فعلنا كل ما نستطيع » ماذا يعني هذا ؟ ثم يهرع ينظر في وجه امه ، انه يحب وجهها حبا عظيما ، ويحب لونها ، لم تكن سوداء ، ولم تكن بيضاء بل كانت سودانية اللون · ولم تدخل مدرسة في حياتها ، ولكنها تريد لابنها أن يتعلم اقصى مراتب التعليم ، كانت تريد أن تراه طبيبا ، يجبر الكسور ويداوي المرضى ، وماكان ذلك ممكنا ، فهو قد وطن نفسه الا يكون طبيبا ·

ها هو واقف امام فراشها ، كانت عليه ملاءة بيضاء ، والسرير ابيض وملابس الممرضات بيضاء ، ايمكن أن يصير انسان الى مثل هذا العجز تقول سستر اليس « نحتاج معجزة ايها السيد ·· دكتور حسين بذل كل ما بوسعه ولكن ·· » لكن ماذا : يقول في نفسه ·

كانت انفاسها ثقيلة تضيق بصدرها ، ويضيق بها صدرها ، كان جسدها السوداني اللون متورما ، وظهرها قد ادمته قروح الرقاد الطويل ·· وكانت مغمضة العينين ·· ولم تتكلم وهذا يومها السابع وهي على هذا الحال ·· « أهذه هي الغيبوبة يا سستر اليس ؟ » يقول في لهفة ، لو كان طبيبا لعلم ما هي الغيبوبة ؟ ولوفر على نفسه مشقة السؤال ، ولكان اليوم في حال اخر ·· سيارة فخمة وبيت وزوج ووالد ، ومال يسيل بين اصابعه · والامر لا يحتاج جهدا كبيرا · هكذا يهاجم الناس الاطباء · يقول في نفسه « ولماذا تتزوج ويكون عندك ولد ؟ املزم انت بحفظ النوع البشري فلا ينقرض ؟ » ·

كانت ريح باردة تاتي عبر الباب الشمالي ، ينتابه سعال خفيف ، يحس انه يريد أن يتقيا دون أن يدري لذلك سببا « لا نريد احدا ها هنا اخرجوا ·· » جاء الخفير الى الحجرة ولهجته الآمرة تسبقه · « ولماذا ؟ » يقول في نفسه ويرد الخفير « أوامر مدير المستشفى وتعليماته ·· لوجاء فوجدكم فقدت وظيفتي ·· » كلام سليم ومقنع · الا يكفي الارض ما عليها من المتبطلين حتى تزيد واحدا ؟

وهل امتثل احد لاوامره الناهية القاطعة ؟ كلا ·· لم يتحرك احد من مكانه · اهذا ضرب من التحدي ام أن الخفير يمكن أن يغمض عينيه ببضعة قروش ؟ أن كان يسمح للناس بالدخول في غير موعد الزيارة لقاء المال ، فيمكن أن يتركهم لحالهم لنفس السبب · خرج الخفير من الحجرة يتوعد ، يسمع الان صوته كالصدى في باقي الحجرات « اخرجوا سيمر مدير المستشفى الآن » ويموت في اذنيه الصدى ليعود بفكره الى امه ··

حينما كان صغيرا ، كان صبيا كثير الكلام والحركة وكانت امه تحبه جدا ، ولكن باسلوبها الخاص ، تضربه حين يخطىء حتى يبكي ، ويخاصمها ساعات ٠٠ ولكنها لا تستغنى عن حركته وحديثه فتعود تضمه لصدرها وتحكي له قصصا مثقلات بالخيال جميلات ٠ وكانت مغرمة بالحديث عن المساجد « في امدرمان واحد وخمسون جامعا » تقول له « عشرة منها بلا مآذن » وهو مازال يذكر اسماءها : المساجد عبر السنوات الطويلة : جامع عبد الغفار ، جامع الشيخ يوسف ، والجامع الكبير ٠ « امي لماذا يسمونه الجامع كبير ؟ » وترد عليه مسرعة كانها تتوقع سؤاله « لانه اكبر الجوامع ٠٠ ومئذنته اطولها ولانه في قلب السوق ، ويؤمه خلق كثيرون مصلين داعين ، ولان الحكومة هي التي شيدته » وقد يسالها احيانا « وما شان الحكومة بالصلاة والمصلين » وهل تستطيع امه ردا على هذا السؤال « ومن الذي بنى كنيسة الاقباط ؟ الحكومة ايضا ؟ اليس الاقباط غير المسلمين ؟ لماذا اذن تشيد الحكومة المساجد والكنائس جميعا ؟ » وتصمت حين يسالها هذا السؤال ٠ ولم يكن يعرف سببا لصمتها ولكنها تصمت على كل حال ٠

لم تحدثه عن فضائل الصلاة ، او عن قيمتها في يوم الحساب ٠ وكانت امراة مصلية مؤمنة تقية خاشعة ورغم كلفها بالمساجد فانها لم تدخل مسجدا في حياتها مع ان بعض نسوة الحي كن يصلين الجمعة في المساجد : حاجة كلتوم وحاجة زينب وحاجات اخر ٠ وربما كان اداء فريضة الحج يخلع عليهن صفة من صفات الرجال هي الاختلاف الى المساجد لصلاة الجمعة ٠ وهو يلاحظ ان اكثر من ادين الفريضة من نسوة الحي مسنات شائخات وربما لم تكن تريد ان توصف بهذي الصفات ٠

« جامع قدح الدم في الموردة في الهاشماب ام في ناحية من انحاء حي الموردة » يقول عندما كان صغيرا « من هو قدح الدم ؟ اولى من اولياء الله الصالحين هو ؟ ام انه رجل بر واحسان يريد ان يعبد طريقه الى الجنة ؟ دعك عن هذا السؤال ٠ مابال الاخر الذي اسمى المسجد باسمه ، ورفع له مئذنة تطاول السحاب ٠ الم يقل الناس انه جمع ماله عن طريق آثم ؟ حقا ان كلام الناس لا ينتهي ٠ » ٠

كان الشارع تحت بصره مزدحما بالسابلة والسيارات والضجيج ، محيط زاخر صخاب يحيط بهذه البقعة : المستشفى ٠ كانت حركة السيارات شديدة متصلة بالنسبة لذلك الوقت من النهار ٠ واصوات ابواقهن ينطلق بسبب وبلا سبب ٠ كانوا يسمون هذا المستشفى (المستشفى الانجليزي) ٠ اذ كان نظيفا ، نزلاؤه من الانجليز ، ايامهم كان نظيفا ، مريحا وهادئا ٠ « وان مات منهم احد مات بلا ضوضاء ٠ « هكذا كان (عم صديق) الذي عاصر المستشفى يقول له دائما ٠٠ ويبلع الاهانة في جوفه ٠ يعني على عهد اولاد البلد اصبح المستشفى قذرا ومزعجا يا عم صديق ؟ وهل يموت اهلنا ويصرخ اهلهم « نعم » تقول عينا عم صديق وان لم يصرح بالقول ٠

كان باب المستشفى المشرف على شارع السكة الحديد مغلقا كالعادة ولم يكن حوله طلاب دخول خلا فتاة الصقت وجهها على سياج الباب الحديدي ، ربما كانت حسناء ولكنه لا يميز وجهها تماما من هذا البعد ٠ غير انها تبدو طويلة من حيث تقف ٠ لماذا يفكر فيها ايريد لبصره ان يتعلق بشيء ينسيه فاجعة توشك ان تحل ؟٠٠

جاء الطبيب فجاة ، وحياه باقتضاب ، ثم خرج هو من الحجرة لانه لا يريد ان يحدثه ٠ ويبدو ان « سستر اليس ، اتصلت به فهذا ليس موعد عيادته المرضى ٠ اذن الامر لابد خطير وخطير جدا ٠ وحسب الدقائق التي امضاها الطبيب يفحص امه دهرا ولكنه انشغل بالنظر الى الشارع من جديد ٠ والى البانات المحيطات بالسور راقصات برؤسهن في الهواء ٠ وبالفتاة التي الصقت وجهها على سياج الباب الحديدي المغلق ،



وبمقعد الخفير الخالي ، لابد انها تنتظره وربما رجته ان يسمح لها بالدخول لتعود عزيزا لها مريضا بلا امل وربما لا يفلح الرجاء فتدعمه بقروش ، وقد يتلفت الخفير يمينا وشمالا ، وقد يتغافل لحظة ولكنه لا شك سياذن لها · بعد ان يدس النقود في جيبه ، وسوف يقول لها ان تسرع حتى لا يراها مدير المستشفى فيفقد وظيفته ، ولابد من تذكيرها ان تقول ـ ان هي قد ضبطت ـ انها قفزت فوق الجدار قفزا ، او انها اندست بين قضبان السياج او ·· او ··

والتفت على صوت اقدام الطبيب يغادر الحجرة كانه متسلل بحذر أن يراه فيسأله عن حالها ، وحين التقت العيون لم يانس فيهما حديثا يبشر بالامل فاثر الا يسأله · « واين طبكم ايها الاطباء » يسأل نفسه بل يصرخ فيها « احمد الله ان جهدا عظيما يبذل لانقاذ حياتها · ارايت كيف يموت الناس في (عنابر الشعب) ؟ الم ينزف ذلك الجنوبي دمه ؟ فهل اسعفه احد ؟ ام هل بكاه احد ؟ ام هل نعاه احد ؟ وهل ارتفع صوت يولول باكيا ؟ لا أم ، لا اب ، لا زوج ، ولا عشيرة ، والوطن بعيد ·· احمد ربك ان امك تجد عناية فوق كل عناية ورعاية فوق كل رعاية » ·

دلف الى الحجرة متهالك الخطى وسأل احدى قريباته :



ـ هل قال لكم الطبيب شيئا ؟

كلا ··

ولا اي شيء ؟··

ـ واي شيء يمكن ان يقول الطبيب · الاعمار بيد الله ثم ان هذا الدكتور بالذات لا يطمئن اهل المرضى ولا يتحدث عن حالهم ·

ـ ماذا فعل اذن ·

ـ وضع السماعة على صدرها ثم جسها مثل خروف وقال كلاما بالرطانة للممرضة وخرج لحاله ·· والله هذه البنت بنت حلال رغم انها خواجاية ·

لكم كانت امه تريد ان تراه عريسا بالحريرة والضريرة ، وان ترى ابناء ابنائه ، وتسمع (الدلوكة) تدق يوم زفافه ·· آه ولكنها مغمضة العينين راقدة بلا حراك وصدرها ثقيل بانفاسها ، وانفاسها متقطعة ايمكن ان تكتب الحياة لمن تعطلت منها الكليتان ووهن القلب ؟

« امي الجامع الكبير ·· لماذا يسمونه الجامع الكبير ؟ » تقول « لانه في قلب السوق ولان الحكومة شيدته ولانه كبير حقا ·· ارايت طرب الناس وانجذابهم وحماستهم في حلقة مداح الرسول بعد صلاة الجمعة ايام رمضان ؟ » ولم تكن قد رات هذا كله ولكنها سمعت عنه · كانت تحب المدائح وتنشدها حيث تكون في المطبخ او او كانت تؤدي عملا في البيت · ورغم حبها له فقد كانت تاخذه بشدة شديدة حين يهمل دروسه او يلح في الذهاب للسينما ، او حين يرسل شعر راسه فلا يجعله قصيرا ، وكان يثور ويغضب وقد يكتم ثورته وقد يعلنها · ولكنه يعود فترتاح خواطره · اهو اليوم سيد نفسه ؟ ايستطيع ان يرسل شعر راسه كيفما يشاء ؟··

صرخن ·· صرخن ·· صرخن ·· ارتفع صوتهن نبرة واحدة عالية وحادة كانهن جوقة انشاد مدربة · « انت الان وحدك حطت الفجيعة حملها عليك وحدك » يقول في نفسه ·· جرى خارج الغرفة كان الممر في لحظة قد غص بالناس · فضولا جاؤا ام حزنا ام خوفا ان يموتوا او يموت ذووهم ؟ لماذا يجري الان اهربا من الصراخ ، أم من فضول الناس الذين تدافعوا لدخول الحجرة بالمناكب ·· ولم يحس خروجه احد ·

نظر الى فتاة المستشفى بعينين دامعتين ·· وبدت الاشياء غمامية خلال دموعه ، البانات يرقصن في الهواء ، ورائحة المجاري اقوى واشد نفاذا وكانت هناك امراة تقف عند الباب تلصق بالسياج وجهها ، ومقعد الخفير مازال خاليا ·



عبد المنعم الجداوى

فتوات نجيب محفوظ

الفتوات والجريمة فى القصص القصيرة
الفتوة .. قوة غاشمة لها طغيانها وضعفها

الفتوة فى قصص نجيب محفوظ لا سيما القصيرة جريمة موقوتة •• كالقنبلة الموقوتة • أحيانا يرفض « نجيب محفوظ » أن يفجرها ، وأحيانا أخرى يهز بها أعماق القارىء عند التفجير ، الذي يختار له زمانا ومكانا •• هما قمة في الاختيار • وفي بعض الاحيان ، ولحكمة يريدها الكاتب •• يجيء بهذه القنبلة ، وفي براعة •• يتركها ولا يفجرها ، ولا يعفى القارىء من خطرها الذى يتهـــدده •• وبذلك يضع القارىء فى قلب معايشـــة خطرة •• لقنبلة منـــزوعة الفتيل الى أن ينتهى من القراءة •• يفزعه أن يقرأ ، ويفزعه أن يسكت •

« ونجيب محفوظ » لست أعرف بين الذين كتبوا قبله عن الانسان من استطاع أن يسبقه الى أغوار هذه النفوس ـ نفوس الفتوات ـ التى صيغت فى درجـــات غليان يومية معينة •• وتكونت تكوينا خاصا ••فجاءت هى الاخرى نماذج شاذة •• أحيانا منفرة •• وأحيـــانا جذابة •• ولكنها فى كل حالاتها •• أدمية من قمـــة رأسها الى بطن قدمها •• يستخفها الطرب ، وتستهويها الكلمة الطيبة •• وتحب •• وتكره •• وتولد وتموت فى نهاية القصة • ويأخذك « نجيب » ليضع أذنك على قلبها •• تستمع الى دقاته فى تلمس •• ويدهشـــك اذ تشعر أن هذه القلوب لاتدق فقط •• وانما تقـــول دقاتها بالحرف الواحد •• أنا انسان •• !!

لم يكتب عن الفتوة فى القصة المصرية بهـــذا العمق قبل « نجيب محفوظ » أبدا •• لاكثر من سبب•• من أهمها أن « نجيب » لم ينظر الى الفتوة •• كفتوة فحسب •• أو هو رجل يعيش على كتابة الجريمة • انه يرسل نظراته الى ماهو أعمق من هذا •• لقد نظر الى الفتوة على أنها سلطة قاهرة •• تضغط وتنضـــغط أحيانا •• وبين الضغط ، والانضـــغاط •• يعتصر « نجيب » الحكمة من الانسان الذى لا يتذكر ان هناك من هو أقوى منه •• الا فى حالة القهر •• فاذا انعمنا عليه أعـــرض ونأى بجانبه •• وكانت النعمة قنـــاة واسعة يصل منها وبها الى الغرور والجبروت ، ليؤكد أن هذا الذى أوتيه •• انما أوتيه عن علم ، وجـــدارة ، واقتدار •• !

حارات البيومي وباب الفتوح

« ونجيب محفوظ » وعى الدنيا ، وفتح عينيه على حارات البيومى ، وبين السيارج ، وباب الفتوح ، ولعب مع أقرانه فى الليالى القمرية بين « بيت القاضى» وقلاوون ، والعطوف ، ـ وهى القاهرة القـــديمة ـ وقدر له أن يرى فتوات هذه الاماكن أو بقـــاياهم ، وجلس الى عواجيزهم فى مقهى « عرابى » الذى بقى على فوهة الحسينية •• عند ميدان الجيش •• ومبلـــغ ظنى أنه مازال يتردد عليه حتى الآن بين الحين والحين •• !

ولقد رأى فى الفتوات مالا يراه الآخرون ••

رأى فيهم صورة مصغرة من الولاة الذين كانوا لفترة طويلة يحكمون مصر •• وفى التاريخ ولاة ضعاف كانوا يقدمون الى مصر ومعهم الامر السلطانى بالحكم ••لكن الوالى الفتوة لا يمكنه من الحكم ، ويطارده حتى يعود من حيث جاء •• وهناك ولاة طغاة قدموا الى مصـــر كخدام،وظلوا يصانعون أهل مصر وفتواتها ،ويتملقونهم حتى تمكنوا من الحكم •• ثم ضربوا ضربتهم ••ليخيفوا أعداءهم وأصدقاءهم على السواء •• كما فعل محمـــد على •• وفى قصص فتوات « نجيب محفوظ » •• كثير من الفتوات الطغاة •• الذين يسقطون لامر أو لآخر من على عروشهم •• فينقلب عليهم رجالهـــم •• أو يهربون منهم •• ذلك لان الذين يحيطون بالطاغيـــة دائما •• يحكمهم الخوف لا الحب •• وتربطهم المنفعـــة لا الاخلاص للمبادىء •• ولهذا يفرون عند أول بادرة هزيمة لصاحبهم •• وقد كان ذلك ممثلا فى كثير من حوادث العصر السياسية •• التى تعرضها الحوادث على نفس المسرح •• وكان « نجيب » يعود الى هذه الصور الراقدة فى حناياه ، ويكتب ما يتخفف به من ذلك الشيء الذى يثقل وجدانه •• متخذا من الفتوات وقصصهم رمزا للسلطة فى طغيانها وضعفها ، ومدها ، وجذرها•• وانقلاباتها على بعضها •• والحارة هى الحارة ••والناس هم الناس •• والقاهرة هى القاهرة ، وأحيانا الدنيا باكملها !

القـط الاسـود

وفى مجموعته « خمارة القط الاسود » صـــورها بقصة قصيرة بعنوان « كلمة غير مفهومة » وفيها يروى قصة فتوة اسمه (حندس) كان قد قتل فى شبابه فتوة اسمه « عنارة » وبعد الهزيمة هربت زوجة « عنارة » من الحارة ، واختفت مع طفلها الذى لم يكن قد تجاوز كل شيء من حوله •• ولكن الجريمة ظلت فى أعماقه •• سنواته الخمس •• وتتقدم السن ب « حندس » ، ويتفرق ورجال عصابته الذين يفرض بهم قوته على الحى يحيطون به من الخارج ، ولكنه عندما ينام وحده •• يصـــبح وحيدا فى مواجهة نفسه •• انها جريمته وحـــده •• مزروعة فى أعماقه هو ، وان كان الجميع قد نسوها •• فهيهات أن ينساها هو • ولذلك يلح عليه فى الحلـــم شبح « عنارة » ، ويراه وهو يحرض ابنه الذى لابد انه بلغ مبلغ الشباب •• حتى يأخذ له بثاره من (حندس)• ويروى ذلك الحلم لزوجته •• ثم لرجاله •• ثم للحارة

فتوات نجيب محفوظ

المجتمع هو القاتل الوحيد لقتيلة الهرم المجهولة القتيل المجهول الذى بعث الموتى !

كلها ولكنهم جميعا تحت وطأة الخوف منه يهونون عليه، ويؤكدون له أنه فى حرز أمين من سواعدهم ٠٠ ولكنه يصر على البحث عن أرملة « عنارة » وطفله أينما كانا ٠٠ حتى يقتل الطفل ويستريح ٠٠ !

لقد كشف نجيب محفوظ عن ضعف المجرم وخوفه٠٠ حتى وهو فى عنفوان قوته ٠ والقول بأن المجرم يصبح فى حالة خور دائما بعد ارتكابه الجريمة ٠ مفروغ منه ٠٠ ويصل الضعف والخور (بحندس) الى ان يستعين بقارىء يقرأ فى المقابر لايكاد يرى الاشياء بوضوح ٠٠ ويسلم قياده له مع عصابته لكى يدله على المكان الذى تعيش فيه أرملة (عنارة) وولدها ٠٠ !

وهنا تتجلى براعة نجيب دون خيلاء أو حتى مايلفت النظر اليها ٠٠ حينما يجعل تلك القوة الناشئة العصبية٠٠ المليئة بالخوف والحقد ٠٠ تستسلم لنزواتها العمياء التى لاتكاد تبصر لكى تعالج جريمتها القديمة بجريمة جديدة ٠٠ تزهق فيها روحا جديدة ٠٠ لكى تحصل على الامن والامان لذاتها ٠٠ بالرغم من مظاهر القوة التى تحيط نفسها بها ٠٠ !

ويذهب (حندس) وسط مظاهرة من رجاله الاشداء الى المقابر ٠٠ يبحث عن أرملة « عنارة »وابنها، ويقود كل هذه القوة التى ترهب الظلام والسكون المخيم على المقابر ، ذلك الشيخ الواهن الضرير ٠ ووسط هذه المظاهر التى تخلع قلوب الرجال من الرعب ٠٠ وبين رجاله يسقط « حندس » صريعا ٠٠ دون ان يتبين رجاله من الذى قتله ٠٠ ولكنه يموت ٠٠ ولا يظهر أى أثر فى المكان لارملة « عنارة » أو ابنه ٠٠ ويختم القصة قائلا :

وعلى ضوء الفانوس تبدى المعلم « حندس » منكفئا على وجهه عارى الرأس ، مكشوف الساقين ، ودمه ينساب بطيئا بين الحصا ٠٠ فتلعهم الغيظ وأذلهم الحنق ٠٠ لم يشعروا من قبل بعجزهم كهذا العجز ، فهم لم يرفعوا نبوتا ، ولا سلوا خنجرا ولا قذفوا طوبة وخطف الرجل وهم يبادلونه الحديث ٠٠ وأين القاتل ، بل أين منزله٠ وجدوا مكان المنزل ضريح ولى فى خلاء تشتعل فى كوة بجواره شمعتان ٠ ولم يشعر احد منهم بالقاتل عند تسلله ولا عند انفلاته ، لم يسمع له حس ، ولا عثر له على أثر ٠

ويتركها « نجيب » هكذا غامضة ٠٠ مفتوحة النهاية ٠٠ لكنه افتتحها بجريمة وأنهاها بجريمة ٠٠واذا كان « حندس » مرتكب الجريمة الاولى التى قتل فيها (عنارة) لكى تدين له الحارة بالطاعة ٠٠ فان الجريمة الاخرى التى ختم بها القصة هى جريمة « حندس » جديد أراد ان يتخلص من عنارة اخر ٠٠ فالقاتل بلا أدنى شك هو أحد افراد عصابة « حندس » رأى أن يتخلص منه لكى يبدأ عهدا جديدا حافلا بالجرائم التى تتمشى وأسلوب عصره ٠٠ !



مجرد احتياط حتى لا يطأه أحد



شر شارة ولهلوبة

وفى نفس المجموعة قصة فتوة آخر يسميه « شرشارة » عاد الى بلدته أو حيه لكى ينتقم من فتوه اسمه (لهلوبة) .. منذ عشرين عاما كان (شرشارة) صبيا عند صاحب السرجة .. كل مهمته هى أن يحمل الزيت الى منازل الزبائن .. يتيما ضائعا فى الحارة .. يأويه صاحب السرجة متصدقا عليه بالمأوى .. وحينما بلغ العشرين تطلع الى (زينب) صبية من صبايا الحارة .. وليلة أن كتب عليها كتابه .. فوجىء (بلهلوبة) فتوة الحتة ، وجبار الحى يطلبه ، وتجىء به رجال (لهلوبة) وهو يرتعد ، ويشده الفتوة من شعر رأسه ويطلب منه أن يطلق (زينب) قبل أن يدخل عليها .. وينصحه الرجال الذين يتواثبون حول (لهلوبة) بالانصياع للفتوة .. وهكذا يطلق (زينب) ويمضى الى خارج نطاق المكان .. ليقضى كل هذه الاعوام يصنع من نفسه فتوة .. له رجال يأتمرون بأمره .. وينفذون ارادته .. ثم يزحف على (شرداحة) وهى الحى أو القرية التى كانت مسرحا لهزيمته الاولى .. ويدخلها غازيا .. والناس ينظرون اليه والى رجاله فى ذهول .. ويحاول هو أن يذكر الناس بنفسه ، ولكنهم لايذكرونه فيصرخ فيهم أن يدلوه على (لهلوبة) فتوتهم الجبار الذى لا يقهر .. لقد جاء هو ليقهره .

وينظر الناس اليه باشفاق .. ويتذكرون (شرشارة) صبى السرجة ، ولكنهم يقولون له أن (لهلوبة) قد مات .. !

حينئذ يسقط فى يد (شرشارة) .. تسقط فى أعماقه متهدمة بنايات الجريمة التى ظل يشيدها طيلة هذه الاعوام .. تسقط محدثة انهيارا يزلزله ، ويلقى به الى الارض .. لكى يصرخ وهو يضرب وجه الارض بنبوته صائحا .. اين انت (يالهلوبة) .. يا جبان .. لماذا مت .. ؟

●★●

ولو أن كاتبا ساذجا غير « نجيب » كتبها لجعل (شرشارة) يفرح .. لان عدوه كفاه شر قتله ، وغادر الدنيا قبل وصوله بسنوات طويلة .. **ولكن الجريمة دائما ليست فى كل الاحوال .. هى ازاحة العدو أو قتله وان كان شرشارة استراح .. ولكن الجريمة بالدرجة الاولى كما قلنا هى حسم ما يعتمل فى صدر صاحبها ضد عدوه .. وهى مالم تحسم هذه التوترات التى تعذب صاحبها فستظل دائما فعلا من الافعال التى يطلق عليها أى اسم غير الجريمة .. ولم يكن (شرشارة) يتعذب هذه السنوات ، ويعد الرجال ، ويضاعف ويحدد الحقد فى أعماقه .. لكى يموت (لهلوبة) فى آخر الامر .. ان هذا الموت يجعل هزيمته تتضاعف ، ويجعل طعمها يزداد مرارة فى حلقه .. فالانتقام الذى هو الجريمة قانونا ، وانتقاما عند مرتكبها .. يجعل من المنتقم مستسلما بعد ذلك للعقاب .. يتقبله فى رضى .. لانه قبض الثمن مقدما .. وهو حسم توتراته .. والتخفف من الشعور المؤلم للهزيمة .. !**

ومن هنا فان الالم الذى عاناه (شرشارة) حينما علم بموت غريمه .. كان اضعاف المعاناة التى عاناها يوم الهزيمة الاولى .. فقد كانت الظروف غير الظروف ، ولم يكن يومها الاحساس بالذات كما هو الآن .. ويقف (شرشارة) حائرا على ناصية هزيمته المضاعفة .. لعله يجد ما يخفف منها .. فيسأل عن (زينب) .. !

ويقرأ الدهشة فى عيون الجميع .. من هى زينب الجميلة التى يسأل عنها .. ؟ ويشرح لهم ، وهو فى دهشة أوسع من دهشتهم .. كيف ينسون زينب وهو ما صنع كل ذلك الا من أجلها .. ؟

ويقول له أحدهم ان (زينب) التى يعنيها تبيع البيض عند أول (عطفة المحشى) ، ويتجه الى هناك ليجدها ، وقد حولتها الايام الى ما يقرب من الطين لحما وعظما .. تجلس بجوار بضاعتها ، وقد طمست الايام ملامح جمالها .. !

يعود « شرشارة » مع رجاله محزون الخاطر .. وفى صدره جريمة كاملة الاركان حالت الظروف الخارجة عن ارادته دون ارتكابها .. وتسمى فى القانون « الجريمة المستحيلة » ولكنها جريمة على أى حال .. لم يجد مجرمها الوسيلة الى ارتكابها .. !



جريمة أخرى بلا مجرم يعالجها « نجيب محفوظ » في مجموعة « خمارة القط الاسود » هي في واقعها جريمة جثة لاحدى الراقصات أو بنات الهوى ، وجدت مقتولة عند الهرم ‥ وتبدأ القصة بصورتها منشورة في الجريدة في صفحة الحوادث ‥ وما تفعله هذه الصورة من ردود فعل عند الذين يعرفونها ‥ ويطوف بنا على بعضهم في بيوتهم ، وفي مكاتبهم ‥ وهو في الواقع يأخذنا الى النواحي التي توقفت عندها في حياتها ‥ ودون أن يقول أو يشير من بعيد أو قريب يضعنا امام القتلة الحقيقيين لهذه الفتاة ‥ وقبل أن يرفع قلمه ليقول ان القصة انتهت يكون قد اقنعنا دون تأثير أن القاتل الاول لهذه القتيلة المجهولة ‥ هو المجتمع ‥ فهي قتلت منذ أن طردت من المنزل رقم ٥٠ بشبرا ‥ فقد تطلعت صاحبة المنزل في الصورة بعد أن لفتت انظارها اليها ابنتها وقالت ‥ الله يرحمها ‥ كانت عندنا من خمس سنوات ‥ وضيقت الخناق على الحديث عنها مع ابنتها حتى أسكتتها ‥ فالبنت تقول انهم طردوها بدون سبب ، ولكن الام كانت تعرف السبب ‥ لانه يتعلق بصاحب البيت ‥ ورغم أن الشرطة تناشد من يتعرف عليها ان يتقدم بمعلومات تكشف عن شخصيتها الا أن الام تلقي بالجريدة وتقول في قرف ‥ صباح ايه ده يارب ‥؟!

وحتى الرجل الذى يشغل وظيفة طيبة ، والذى عرفها وهي تعمل في المشغل ‥ ثم تزوج بها زواجا عرفيا ‥ ثم اجهضها عندما حملت منه ، وبعدها انطلقت في الطريق الذى انتهى بها قتيلة عند الهرم ‥ هذا الرجل رأى الصورة فاضطرب ، وتحدث مع زميل له يستشيره في أن يتقدم الى الشرطة أم لا ؟ لا سيما وهو مقدم على زواج من ابنة عائلة كريمة ، واخيرا قرر بمشورة زميله الا يتقدم ‥ انه ساهم في قتلها بقدر ما سمحت له ظروفه ‥ وتخلص من كل الآثار الا ماعلق في داخله ‥ !

ورجل آخر يدير وكرا للقمار والنساء والرجال‥ رأى صورتها وأدرك أنها هي ‥ هي التي عرفها مطلقة من أحد الافندية ، وحاول أن يجعل منها نجمة ليالي رجاله الذين يترددون عليه ، ولكنها هربت ‥ انه بعد أن يرى صورتها يقول بشماته لنفسه : لقد هربت مني والجزاء من جنس العمل ‥ !

وأخرى صاحبة بيت يدار للدعارة رأت الصورة وقالت مثل ماقال صاحب الوكر ‥

وفي النهاية تشعر أن المجتمع كله شارك في قتل بائعة الهوى قبل أن يقتلها صديقها الطالب عند الهرم .

الزمن الاصم والابكم

وفي نفس المجموعة قصة بعنوان « الصدى » يعالج فيها الجريمة بشكل يتناسب وغلظة الرجل الذى جاء ليعترف لوالدته ‥ جاءها بعد عشرين سنة ‥ متخفيا هاربا من وجه العدالة ، كلها قتل ، ومحو ثارات قديمة ، وخلق ثارات جديدة ‥ والذى يفهم من سياق الاعترافات التي جاء الرجل يرويها على مسامع والدته ‥ أن الثأر كان بين أهل أمه وأهل أبيه كما يحدث في جنوب مصر دائما ‥ الابن يولد ليجد النار تشتعل تحت رماد ‥ بين أسرة اخواله ، واعمامه ‥ وأنه مطالب بالثأر من اخواله او أبنائهم أو أبناء عمومتهم ‥ وكلهم تربطهم بوالدته صلة الرحم ‥ والمعترف هنا هو واحد من هؤلاء ‥ وقد أضناه الهيام على وجهه في الحقول ، والتخفي المستمر في الزراعات ‥ وعاد بعد عشرين عاما ليرى والدته‥ وحينما يدخل عليها غرفتها ويجدها قابعة تسبح في ركن شبه مظلم ‥ ولا تعير دخوله التفاتا ‥ يتأكد أن هذا جزءا من صلابتها التي عودته اياها صغيرا ‥ فيظل يتحدث اليها معترفا ‥ ولكنها لاترد عليه ‥ الى أن يفاجأ آخر الامر بأنها لاتراه ، ولا تسمعه ‥ وأنه مهما صرخ وقال لها انه ينفذ تعليماتها ‥ فقد كانت تقول له ‥ ألا يسكت على ضيم ، وألا ينام على ثأر ‥ ولكن صراخه لن يجدي ‥ فهي لن تغفر ولن تعاتب ‥ ولن تصفح ولن تعاقب ‥ انها جثة تتنفس ‥ ويذهل المعترف ‥ القاتل العريق في الاجرام ‥ ويذهل القارىء معه بنفس الدرجة ‥ !

فى هذه القصة يعاقب « نجيب محفوظ » البطل.. بنفس العقاب الذى أوقعه على (شرشارة) الذى جاء بعد عشرين عاما ليقتل (لهلوبة) فوجده قد مات .. كلاهما ظلت النار فى اعماقه مشتعلة .. دون قطرة ندى تطفئها ..

الاخير جاء يعترف لامه لعله ينال كلمة عطف .. لعلها تتجاوز عن ذنوبه فى حق أهلها .

فوجدها قد فارقت الدنيا ، وان كانت قد بقيت على ظهر الارض .. وهذا ما جعله يصرخ .. أمى ..ولكنها لاترد .. ولن ترد .. ؟

اننا جميعا وبلا استثناء نصرخ صرخة هذه ،ونتلقى نفس الرد .. حينما يغلبنا الحنين ، ونعجز عن مقاومة ذكرياتنا .. فنذهب نتلمسها على عجل فى أماكنها ،وفى وجوه الذين كنا نحبهم ويحبوننا .. فماذا نجد .. ؟نجد معالم قد غيرتها عوامل التغيير .. ونجد عيونا تحملق فينا فى غربة بقايا لاتلبث احينئذ نصرخ ،ونصرخ

ولكن لا أحد يرد علينا .. فالزمن أعمى لايرى .. والايام صماء لاتسمع .. !

ولكن يبقى بعد ذلك سؤال .. هل كان ذلك المجرم العتيق فى حاجة الى استغفار والدته .. ؟!الجواب نعم .. انه كان فى حاجة الى أن يذكى والدته بنفسه.. أن يجد نفسه عندها بعد هذه السنوات الطويلة .. لم يكن الغفران فى ذاته هو المطلوب فقط .. لا .. هناك أشياء أخرى كان يريدها .. ولم تكن عند أحد غير والدته .. ماضيه كله .. بكل ما فيه .. بمرارته بحلاوته .. بشقائه بسعادته .. ومع ذلك حرم منه ..!

وهذه الاشياء ذاتها هى التى جعلت (شرشارة) حينما عرف أن (لهلوبة) مات بحث عن (زينب) ..



ثم ذهب ليراها ، وما كان أغناه عن رؤيتها .. الا أنه كان يطلب عندها ماضيه أيضا .. ورغم أنها أضاعت كل حياته .. فقد رصدها من أجل الانتقام من الرجل الذى حرمه منها .. فانه لم يستطع أن يجلس اليها أكثر من دقائق ثم مضى .. لماذا .. ؟ لان (زينب) رآته بعينى الحاضر ، وسمعته بأذنيه .. أما الماضى .. فقد كان أعمى لايرى ، وأصما لايسمع .. !!

●✻●

ثرثرة فوق كومة جرائم ..!

وفى « ثرثرة فوق النيل » جرائم بالجملة .. جرائم تحدث كل لحظة .. يتسابق الجناة فيها الى عوامة « أنيس زكى » .. يمارسون جرائمهم ويخفونها ، ويتركونها فى العوامة حتى يعودوا اليها فى الليلة الثانية .. ؟

ولعل غرابة الجريمة فى هذه الرواية .. ان الجناة هم المجنى عليهم .. والجبابرة الطغاة .. هم انفسهم ضحايا الجبروت والطغيان .. وقد يزيد بعضهم فى طغيانه .. ولكنهم فى النهاية .. كلهم وبلا استثناء ضحايا وطغاة ..!

واذا فتشنا فى جوانح « أنيس زكى » سوف نجد طاقية .. مضغوطة تحت ظروف واقعة .. يعيش أسير احسان هؤلاء الاصدقاء .. لكنه فى أعماقه يرفض ذلك الاحسان مع الواقع المؤلم .. الذى جعله ينتظر المعونة من حثالة تافهين فى نظره .. أمثال « رجب القاضى » المخرج ، و « على السيد » الناقد الفنى ، وبقية الشلة.. وقد برز ذلك واضحا .. حينما واتته الفرصة ، وانفجر فى « رجب القاضى » متصنعا البطولة أمام بقية الصحاب، و « سماره بهجت » .. هذه « القاتلة » التى جاءت الى العوامة .. مع سبق الاصرار والتربص .. لم يكن فى ذهنها أى تخطيط معين للجريمة .. ولكنها رسمت خطة اغتيالاتها منذ الدقيقة الاولى .. وراحت تمارس فيهم الاغتيالات .. شاهرة ذكاءها فى وجوههم ، وقد اكتشف « أنيس زكى » مؤامرتها بكل أبعادها .. حينما اعتدى على حقيبتها فى غفلة من الجميع ، وأخرج مفكرتها ، وقرأها سطرا سطرا على مهل .. !

والمؤامرة فى المفكرة تحت عنوان « مشروع مسرحية » وأشخاص الرواية هم أفراد الشلة ، وقد كتبت الاسماء كما هى ، وتحت كل اسم مواصفاته ، وظروف حياته ، واهتماماته ، وكأنها تبحث فيهم عن رجل .. لا لتكتب مسرحية .

حينما اقتحمت عليهم عوامتهم .. وبعد أن كانوا



فتوات نجيب محفوظ

يغتالون بعضهم كل ليلة ‥ أصبحت هي التى تغتالهم‥ باسم الصحافة الجادة ‥ دون ان تقول أنها تبحث عن حب كبير ‥ يعيد اليها توازنها المعكوس ‥ بين الجدية والعبث ‥ ولكى تصل الى اهدافها ، وقد وضح أنه المخرج السينمائى « رجب القاضى » كان عليها ان تغتال القليل الباقى من انسانيتهم‥وأن تنزع كل الحشائش والاعشاب الشيطانية من حول زهرتها ‥ ولكنهم رجال ونساء كانوا آدميين ‥ رغم ماهم فيه من انسحاق ‥ !

لقد كانت هذه المثقفة أقسى عليهم من ظروفهم ‥ فقد ألفت أدوار نساء العوامة رغم وجودهن المرير ‥ فهى تقول عن « سناء » طالبة الآداب ، وصديقة المخرج‥ أن الصراع الدرامى يجب أن يدور بينها وبين البطلة التى تقتحم العوامة لتغير حياة الجميع ‥ وهى تعنى نفسها بالبطولة ‥ اما عن المرأتين المدمنتين ‥ سنية كامل الممثلة ألقديمة المزواجة ، و ليلى زيدان المترجمة العانس فتقول ‥

لا ضرورة بعد ذلك « لسنية كامل » التى تمارس تعدد الازواج على طريقتها الخاصة ، ولا الى المترجمة الشقراء التى تتوهم أنها رائدة شهيرة ‥ على حين أنها رائدة متهافتة منحلة مدمنة ‥ !

وهكذا فالى جانب جريمة تدخين المخدرات المستمرة كل ليلة ‥ يمارسون جرائم أخرى بعضها يقع تحت طائلة قانون العقوبات ، وبعضها تعاقب عليه السماء ‥ وكل هذه الجرائم تظل نائمة تنتظر البحث ‥ عند وقوع الجريمة الكبرى التى تشعر منذ السطر الاول أنها قادمة لاريب فيها ‥ تماما كالقارعة ‥ فالجريمة الاخيرة هى التى بعثرت قبورهم ، ونبشت عظامهم ، وزلزلت زلزالهم ، وجعلتهم يبدون أمام بعضهم عراة حفاة ‥ كأنهم فى قيامتهم ‥ !

فقد أجهزت سطور المفكرة على البقية الباقية من « أنيس زكى » ‥ وكان قد أخذ مع المفكرة « نصف جنيه » من حقيبتها ‥ أرسله مع بواب العوامة لكى يأتيه بقطعة من قطط الليل ‥ يدفعه أجرا لها ‥ فقد رأى أن نقود مختالة كهذه يجب أن تنفق فى هذا الوجه السيء‥

بعيدا عن الارهاق

عندما تشعرين في المساء انك مجهدة وقداستنفذت طاقتك الى حد الارهاق حاولي ان تبحثي مع نفسك الا تكوني قد وجهت نشاطك في اتجاهغير صحيح واتبعي النصائح التالية :

- لا تصلي بانفعالك في الحديث مع الاخرين اليحد العصبية ‥
- لا تحدثي ضجة حينما يتغير روتين حياتك ‥
- لا تصري على الاستمرار في المناقشة اذا كنتتعلمين ان الطرف الاخر لن يوافقك ‥
- لا تشعري بان النقد اهانة شخصية موجهةاليك تفقدين بسببه اعصابك ‥

وبعد هذا فان اهم ما يجب عمله لكيلا تشعري باي جهد هو النظام وترتيب ساعات اليوم بحيث تستطعين خلالها القيام بجميعمسئولياتك بدون اجهاد ‥

وتجىء النهاية حينما يمرون على الاحتفال بالهجرة .. ! ويقترح « رجب القاضى » أن يهاجروا فى سيارته الى طريق الهرم .. ثم يعودون .. ويرفض « أنيس زكى » الفكرة من ألفها الى يائها .. فيحملونه بجلبابه الابيض ، ويحشرونه فى السيارة ، ويجلسون فوق بعضهم .. ويلتحم الرجال بالنساء فى المقعد الخلفى .. ويجلس فى المقدمة .. رجب و سمارة ،وخالد وبعد جولة عند سقارة ، وفى أثناء عودتهم .. يصدمون رجلا فيقتلونه فى غبشة الفجر .. وفى الطريق يحصل من الجميع على موافقة بعدم الابلاغ .. تفاديا للفضيحة ، ولما قد يلحق « رجب » من أذى .. ولكن الجريمة تروعهم وكان هذا المجهول هو أول انسان يقتلونه .. !

ولكن فى الليلة التى تليها .. وبعد أن يطرد « أنيس زكى » من وظيفته لاهماله المتكرر .. وبعد مرور ٢٤ ساعة .. تكون « القارعة » قد تمكنت من الجميع .. فيهب « أنيس زكى » مصمما على ابلاغ الشرطة .. ويتكهرب الجو .. ويهجم عليه « رجب القاضى » ، ويتماسكان ، ويتقاتلان قتالا يسيل الدماء من وجهيهما .. وأمام الافواه الفاغرة ، والدهشة المرسومة على ملامح الجميع .. يصر أنيس زكي على أنه لن يتردد فى الابلاغ .. لان ضميره لايستطيع أن يتحمل وزر القتيل المجهول .. ويتقدم الجميع يرجونه ، وتتساقط على يديه دموع النسوة خوفا من الفضيحة .. ولكنه لا يلين .. وأخيرا يرضخ .. فهل ذلك حقيقة .. ؟ من المؤكد أن الجواب لا .. فمثل هذا الاعتراف كان يتطلب أشياء فقدها « أنيس » منذ أدمن المخدرات ، وقد اعترف « لسمارة بهجت » أنه لم يكن ينوى حقيقة أن يبلغ .. فقط كان يريد أن يشعر أنه أخاف الجميع .. لا سيما « رجب القاضى » .. وليتأكد من أنه مازال صاحب شأن حتى بعد طرده من الوظيفة .. ويعمق فى أذهان أفراد الشلة .. أنه يستطيع ان يصفع «رجب القاضى» هذا الانسان المتعالى .. الوقح .. الذى يزهو على الجميع بما ينفقه .. وبشبابه ، وشهرته ، ولا يستحى أن يهين آدميتهم كل ليلة .

لقد جاءت هذه الجريمة التى ارتكبوها ضد مجهول فمزقتهم وشتت شملهم .. مع أنهم قتلوا أنفسهم عشرات المرات قبل ذلك .. ولكنهم ظلوا موتى .. يسيرون بين الناس فى نعوش تمشى على أقدام..الى أن جاءت«القارعة» فبعثوا .. وذهلوا .. وفروا من بعضهم البعض .. ولكنه بعث لا للحساب ولا للعقاب .. وانما لاعادة صياغة الحياة .. ولعلها أول جريمة تجىء فى نهاية رواية مصرية يذهب ضحيتها مجهول .. لكى يعيد الى الحياة معلومين.. معروفين .. نوشك أن نعرف أسماءهم فى مجتمعنا ..!!

اللامنطقي واللامفهوم!

●● مازلت اتذكر صوت ذلك الاديب الشاب ، الذي زارني في مكتبي بالقاهرة منذ ثماني سنوات . كان صوته مفتونا بغريزة الميل لنيه الى الجهل ، وهو يعلن رفضه الساذج لقراءة طه حسين والعقاد والمازني وتيمور .. وبقية قائمة ذلك الجيل العظيم ، الذي الهب عشقنا للغة العربية وما يجري في عروقها ، وما يتدفق ، من اغلى دماء القوة والحيوية والرقة والعذوبة والسحر ! كان مفتونا بادعائه ان هذا الجيل لم يعد فكره غير تجاعيد على وجه هذا العصر ! وان هذا الجيل الذي يرفضه هكذا ـ عن قصور في الادراك ، واستعلاء مراهقا ـ لم يعط ـ حتى ـ عصره شيئا ! كلمات مسموعة ومحفوظة ومتداولة على السنة بعض شباب الادباء في ذلك الحين منذ ثماني سنوات وربما حتى الان !

ولست هنا ادافع عن عطاء ذلك الجيل العظيم من الرواد في كل وطن عربي ، وفي احلك ظروف الوطن العربي في زمنهم . بل لست الوم هؤلاء الشباب الا بقدر ما يخدش حياءهم ، اذ هم ـ حتى ـ لم يفطنوا الى انهم بهذا الرفض اللامنطقي واللامفهوم ، انما يعلقون رءوسهم في الفراغ كالجماجم المنبوحة من اجسادها . ولانهم كذلك لم يفقهوا معنى الا تقف عقولهم بمداركهم وانتماءاتهم على ارض اللغة . وان يصيبوا من مداميكها للبنات الاولى في بناء خبراتهم في القول وتجاربهم مع الكلمة !..

انني الوم اجهزة النشر العربية ـ ان لم اتهم المسئولين فيها بخيانة هذه الاجيال الجديدة ـ لانها ابدا ما شغلت بهم لحظة ، في ضوء من التخطيط والاعداد والرعاية . وتصبح الخيانة اشد التصاقا بهؤلاء المسئولين ، لانهم هم انفسهم اسدلوا الستائر قاتمة السواد على معطيات اولئك الرواد وكانما ماتت ـ بموتهم ـ الى الابد ! لقد شغلوا عنهم وعنها وعن متطلبات الشباب بتجميع المقالات الصحفية المسطحة في كتب ، لا تنشىء غير جيل سطحي من القراء . ولا تبث غير لغة فقيرة من مشاعر اللغة الام ، ومن قوتها ، وقدرتها على الاخصاب !..

انني اقرا رسائل الشباب من مختلف البلدان العربية ، فامتلىء بالحزن . احزن لان اللغة العربية الجميلة الثرية الشامخة ، اضحت على السنة شبابنا في مثل اللكنة الاجنبية ، او هي كذلك . مفردات مسلوخة من جلد لغة تكرمشت وشحبت وتكاد ان تفقد قدرة الوقوف على قدميها !..

واذا كانت مؤسسات النشر متهمة بخيانة الاجيال الجديدة ، لانها اثرت ان تقدم لهم وجبات الغذاء العقلي من معلبات المقالات الصحفية السريعة في كتب . فان اساتذة اللغة العربية لابد انهم كذلك اصبحوا في مثل شيخوخة اللغة .. والا ما انجبوا شبابا يكتب بلغته ، مثلما يتحدث سائح بلهجة البلد الذي يقضي ايامه القليلة فيها !..

ان اعادة نشر كتب التراث ينبغي ان يكون هدفا اول وقوميا من اهداف دور النشر العربية . وان اعادة طبع مؤلفات الاجيال الرائدة ، ينبغي ان يكون نصب عيني المسئولين عن النشر .. لانهم في نفس الوقت مسئولون عن احياء اللغة ، واحياء الفكر الذي عبرت عنه هذه اللغة . ولانها كذلك مسئولة عن تنشئة اجيال جديدة ، لا تنفصل ـ هكذا ـ عن جذورها . ولا تبدا من فراغ !..

« عبد القادر حميدة »

وتجيء النهاية حينما يصرون على الاحتفال بالهجرة ·· ! ويقترح « رجب القاضي » أن يهاجروا في سيارته الى طريق الهرم ·· ثم يعودون ·· ويرفض « أنيس زكي » الفكرة من ألفها الى يائها ·· فيحملونه بجلبابه الابيض ، ويحشرونه في السيارة ، ويجلسون فوق بعضهم ·· ويلتحم الرجال بالنساء في المقعد الخلفي ·· ويجلس في المقدمة ·· رجب و سمارة ،وخالد وبعد جولة عند سقارة ، وفي أثناء عودتهم ·· يصدمون رجلا فيقتلونه في غبشة الفجر ·· وفي الطريق يحصل من الجميع على موافقة بعدم الابلاغ ·· تفاديا للفضيحة ، ولما قد يلحق « رجب » من أذى ·· ولكن الجريمة تروعهم وكان هذا المجهول هو أول انسان يقتلونه ·· !

ولكن في الليلة التي تليها ·· وبعد أن يطرد « أنيس زكي » من وظيفته لاهماله المتكرر ·· وبعد مرور ٢٤ ساعة ·· تكون « القارعة » قد تمكنت من الجميع ·· فيهب « أنيس زكي » مصمما على ابلاغ الشرطة ·· ويتكهرب الجو ·· ويهجم عليه « رجب القاضي » ، ويتماسكان ، ويتقاتلان قتالا يسيل الدماء من وجهيهما ·· وأمام الافواه الفاغرة ، والدهشة المرسومة على ملامح الجميع ·· يصر أنيس زكي على أنه لن يتردد في الابلاغ ·· لان ضميره لايستطيع أن يتحمل وزر القتيل المجهول ·· ويتقدم الجميع يرجونه ، وتتساقط على يديه دموع النسوة خوفا من الفضيحة ·· ولكنه لا يلين ·· وأخيرا يرضخ ·· فهل ذلك حقيقة ·· ؟ من المؤكد أن الجواب لا ·· فمثل هذا الاعتراف كان يتطلب أشياء فقدها « أنيس » منذ أدمن المخدرات ، وقد اعترف « لسمارة بهجت » أنه لم يكن ينوي حقيقة أن يبلغ ·· فقط كان يريد أن يشعر أنه أخاف الجميع ·· لا سيما « رجب القاضي » ·· وليتأكد من أنه مازال صاحب شأن حتى بعد طرده من الوظيفة ·· ويعمق في أذهان أفراد الشلة ·· أنه يستطيع ان يصفع «رجب القاضي» هذا الانسان المتعالي ·· الوقح ·· الذي يزهو على الجميع بما ينفقه ·· وبشبابه ، وشهرته ، ولا يستحي أن يهين آدميتهم كل ليلة ·

لقد جاءت هذه الجريمة التي ارتكبوها ضد مجهول فمزقتهم وشتت شملهم ·· مع أنهم قتلوا أنفسهم عشرات المرات قبل ذلك ·· ولكنهم ظلوا موتى ·· يسيرون بين الناس في نعوش تمشي على أقدام·· الى أن جاءت«القارعة» فبعثوا ·· وذهلوا ·· وفروا من بعضهم البعض ·· ولكنه بعث لا للحساب ولا للعقاب ·· وانما لاعادة صيغة الحياة ·· ولعلها أول جريمة تجيء في نهاية رواية مصرية يذهب ضحيتها مجهول ·· لكي يعيد الى الحياة معلومين·· معروفين ·· نوشك أن نعرف أسماءهم في مجتمعنا ··!!

اللامنطق واللامفهوم!

●● مازلت اتذكر صوت ذلك الاديب الشاب ، الذي زارني في مكتبي بالقاهرة منذ ثماني سنوات · كان صوته مفتونا بغريزة الميل لنبيه الى الجهل ، وهو يعلن رفضه الساذج لقراءة طه حسين والعقاد والمازني وتيمور ·· وبقية قائمة ذلك الجيل العظيم ، الذي الهب عشقنا للغة العربية وما يجري في عروقها ، وما يتدفق ، من أغلى دماء القوة والحيوية والرقة والعذوبة والسحر ! كان مفتونا بادعائه أن هذا الجيل لم يعد فكره غير تجاعيد على وجه هذا العصر ! وان هذا الجيل الذي يرفضه هكذا ــ عن قصور في الادراك ، واستعلاء مراهقا ــ لم يعط ــ حتى ــ عصره شيئا ! كلمات مسموعة ومحفوظة ومتداولة على السنة بعض شباب الادباء في ذلك الحين منذ ثماني سنوات وربما حتى الان !

ولست هنا ادافع عن عطاء ذلك الجيل العظيم من الرواد في كل وطن عربي ، وفي احلك ظروف الوطن العربي في زمنهم · بل لست الوم هؤلاء الشباب الا بقدر ما يخدش حياءهم ، اذ هم ــ حتى ــ لم يفطنوا الى انهم بهذا الرفض اللامنطقي واللامفهوم ، انما يطلقون رءوسهم في الفراغ كالجماجم المنزوحة من اجسادها · ولانهم كذلك لم يفقهوا معنى الا تقف عقولهم ومداركهم وانتماءاتهم على ارض اللغة ، وان يصيبوا من مداميكها للبنات الاولى في بناء خبراتهم في القول وتجاربهم مع الكلمة !··

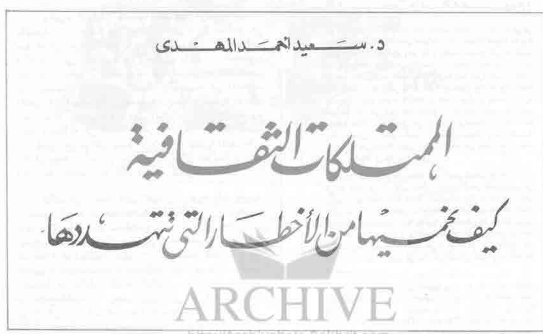
انني الوم اجهزة النشر العربية ــ ان لم اتهم المسئولين فيها بخيانة هذه الاجيال الجديدة ــ لانها ابدا ما شغلت بهم لحظة ، في ضوء من التخطيط والاعداد والرعاية · وتصبح الخيانة اشد التصاقا بهؤلاء المسئولين ، لانهم هم انفسهم اسدلوا الستائر قاتمة السواد على معطيات اولئك الرواد وكانها ماتت ــ بموتهم ــ الى الابد ! لقد شغلوا عنهم وعنها وعن متطلبات الشباب بتجميع المقالات الصحفية المسطحة في كتب ، لا تنشيء غير جيل سطحي من القراء · ولا تبث غير لغة فقيرة من مشاعر اللغة الام ، ومن قوتها ، وقدرتها على الاخصاب !··

انني اقرا رسائل الشباب من مختلف البلدان العربية ، فامتلىء بالحزن · احزن لان اللغة العربية الجميلة الثرية الشامخة ، اضحت على السنة شبابنا في مثل اللكنة الاجنبية ، او هي كذلك · مفردات مسلوخة من جلد لغة تكرمشت وشحبت وتكاد ان تفقد قدرة الوقوف على قدميها !··

واذا كانت مؤسسات النشر متهمة بخيانة الاجيال الجديدة ، لانها اثرت أن تقدم لهم وجبات الغذاء العقلي من معلبات المقالات الصحفية السريعة في كتب · فان اساتذة اللغة العربية لابد انهم كذلك اصبحوا في مثل شيخوخة اللغة ·· والا ما انجبوا شبابا يكتب بلغته ، مثلما يتحدث سائح بلهجة البلد الذي يقضي ايامه القليلة فيها !··

ان اعادة نشر كتب التراث ينبغي أن يكون هدفا اول وقوميا من أهداف دور النشر العربية · وان اعادة طبع مؤلفات الاجيال الرائدة ، ينبغي أن يكون نصب عيني المسئولين عن النشر ·· لانهم في نفس الوقت مسئولون عن احياء اللغة ، واحياء الفكر الذي عبرت عنه هذه اللغة · ولانها كذلك مسئولة عن تنشئة اجيال جديدة ، لا تنفصل ــ هكذا ــ عن جذورها · ولا تبدا من فراغ !··

« عبد القادر حميدة »



تتهدد الممتلكات الثقافية في كل انحاء العالم اخطار جسيمة تتمثل في الاتي :

- الحروب الدولية والاقليمية والاهلية وكل النزاعات المسلحة ٠
- الاستيراد والتصدير ونقل الملكية بطـرق غـير مشـروعة ٠
- الاشغال العامة او الخاصة ٠

وقد اهتم المجتمع الدولي اهتماما كبيرا بالممتلكات الثقافية وشرع من القوانين (المعاهدات) الدوليـة والمحلية مايكفل حمايتها فقد عقد بشانها مؤتمر في مدينة لاهاي بهولندا في المدة من ٢١ أبريل الى ١ مايـو ١٩٥٤ ٠ واقر ذلك المؤتمر ضرورة حماية الممتـلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح ٠ وقد دخلت الاتفاقية في طور التنفيذ بعد ان اقرها العدد الكافي من الـدول وانضمت اليها دول اخرى فيما بعد ٠

الممتلكات الثقافية ما هي ؟

ان اول سؤال يطرح نفسه هنا هو تعريف الممتلكات الثقافية ٠ فقد عرفتها الاتفاقية الدولية لحمايتها ـ في حالة نزاع مسلح كما يلي :

يقصد بالممتلكات الثقافية ، مهما كان اصـلها او مالكها ، تلك الممتلكات المنقولة او الثابتة ذات الاهمية الكبرى لتراث الشعوب الثقافي كالمباني المعـمارية ، او الفنية منها او التاريخية ، الديني منها او المدني ، والاماكن الاثرية ومجموعات المباني التي تكتسـب بتجملها قيمة تاريخية او فنية ، والتحف الفنيـة والمخطوطات والكتب والاشياء الاخرى ذات القيمـة الفنية التاريخية او الاثرية وكذلك المجموعات العـلمية ومجموعات الكتب الهامة ، والمحفوظات ، ومنسوخات الممتلكات سابقة الذكر ٠

وتشمل الممتلكات الثقافية ايضا المباني المخصصة بصفة رئيسية وفعلية لحماية وعرض الممتلكات الثقافية المنقولة كالمتاحف ودور الكتب الكبرى ومخازن المحفوظات وكذلك المخابىء المعدة لوقاية الممتلكات الثقافية المنقولة في حالة نزاع مسلح · واشارت الاتفاقية الدولية الى ان الممتلكات الثقافية تتضمن ايضا المراكز التي تحتوي على مجموعة كبيرة من الممتلكات الثقافية والتي يطلق عليها اسم مراكز الابنية التذكارية ·

حماية هذه الممتلكات · كيف ؟

حددت الاتفاقية كيفية حماية الممتلكات وذلك بضرورة وقايتها واحترامها بتعهد الدول الموقعة على الاتفاقية بالاستعداد منذ وقت السلم لوقاية الممتلكات الثقافية الكائنة في اراضيها من الاضرار التي تنجم عن نزاع مسلح باتخاذ التدابير التي تراها مناسبة · واوجبت الاتفاقية على الدول احترام هذه الممتلكات ، وذلك بالامتناع عن استعمالها او الوسائل المخصصة لحمايتها ، او الاماكن المجاورة لها مباشرة لاغراض قد تعرضها للتدمير او التلف في حالة نزاع مسلح ، وبامتناعها عن اي عمل عدائي ازاءها · والزمت الدول كذلك بمنع اي سرقة او نهب او تبديد للممتلكات الثقافية، او اي عمل تخريب موجه اليها وعدم الاستيلاء عليها اذا كانت كائنة في بلد آخر وعدم اتخاذ اي تدابير انتقامية تمسها ·

لقد تبين للمجتمع الدولي ان الممتلكات الثقافية قد منيت باضرار جسيمة خلال المنازعات المسلحة التي تنشب في كل انحاء العالم ، في الماضي والحاضر ، علما بان الاخطار التي تتعرض لها الممتلكات في ازدياد مضطرد نتيجة لتطور وسائل الدمار والحرب بسبب ثورة العلم والتكنولوجيا ·

ان الاضرار التي تلحق بالممتلكات الثقافية التي يملكها اي شعب ، تمس التراث الثقافي الذي تملكه الانسانية جمعاء ، نسبة لمساهمة كل شعب بنصيبه في التراث الانساني والثقافة العالمية ·

ان في المحافظة على هذا التراث الانساني الثقافي فائدة عظمى لجميع شعوب العالم وعليه يجب أن تكفل الحماية الدولية الكافية لهذا التراث · ولكي تكون الحماية مجدية وفعالة يجب على الدول تنظيمها منذ وقت السلم باتخاذ التدابير اللازمة سواء كانت وطنية او دولية ، حتى اذا نشب نزاع مسلح يمكن تطبيق الاتفاقيات الدولية الكفيلة بحماية ووقاية وصيانة هذا التراث البشري النفيس الثمين · وتنفيذا لهذا الهدف يجب أن تغرس الدول منذ وقت السلم في أعضاء قواتها المسلحة روح الاحترام الواجب توفره نحو الثقافات والممتلكات الثقافية لجميع الشعوب ، وذلك لان كل شيء يعتمد على تصرف أفراد هذه القوات في ميادين الوغى التي قد تقع فيها الممتلكات الثقافية ·

العدو الصهيوني يخرق القوانين

ان الدول العربية تحتج اليوم أشد الاحتجاج على تصرفات العدو الصهيوني ازاء الممتلكات الثقافية العربية والاسلامية التي انتهكها العدو الاسرائيلي وداس عليها باحذية جنوده النتنة بعد احتلال فلسطين والضفة الغربية والجولان والقدس وسيناء وغزة · وقد خرق العدو الصهيوني كل عرف وقانون دولي بحرقه المسجد الاقصى ثاني القبلتين ، وانتهاك الحرم الابراهيمي والاستيلاء على الممتلكات الثقافية العربية والاسلامية في الارض المحتلة · ان مثل هذه الاتفاقية يجب أن تطبق على العدو الصهيوني ليجلو عن الارض المحتلة ويعيد ما سرقه ونهبه ، وخربه ، ودمره من ممتلكات ثقافية الى الامة العربية التي تملكها وتحافظ عليها كحدقات عيونها ·

ان العدو الصهيوني لم يكفل اي حماية او حصانة للممتلكات الثقافية العربية الاسلامية بل نهبها وسرقها وانتهك حرماتها واستخدمها لاغراضه العسكرية والتوسعية · لقد كان من المفروض على العدو الصهيوني أن يمتنع وفقا للاتفاقات والمواثيق الدولية عن اي عمل عدائي نحو هذه الممتلكات بعد أن قيدت في السجل الدولي للممتلكات الثقافية تحت نظام الحماية الخاصة الذي جاءت به اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح ·

لا أحد

اردات السيدة أن تزور بعض اقاربها ، ولما كان بائع الخبز قد اعتاد ان يحضر لها الخبز كل صباح ، فقد وضعت على باب الشقة هذه العبارة :

« لا أحد هنا ·· لا تترك شيئا » ·

وغابت السيدة طوال النهار ، ولما عادت وجدت ورقة ملصقة على الباب كتب فيها :

« شكرا لك ·· عملنا بالنصيحة ولم نترك لك شيئا بالشقة ـ اللصوص » ·

الممتلكات الثقافية

كيف نحميها من الأخطار التي تتهددها

الحروب والسرقات والحفريات .. أخطار تتهدد الممتلكات الثقافية .

المجتمع الدولي يحاصر الخطر .. لكن المشكلة تتفاقم !

العدو الصهيوني ينتهك الأماكن المقدسة .. تحت بصر المعاهدات الدولية .

ينبغي التوفيق بين ضرورة التنمية الاقتصادية والاجتماعية - وبين صون الممتلكات الثقافية .

الخطر الاكبر • أين يكمن ؟

لا تقتصر الاخطار التي تهدد الممتلكات الثقافية على النزاع المسلح فقط ، بل تشمل كذلك حالات الاستيراد والتصدير ، ونقل الملكية ، بطرق غير مشروعة • وقد عقد مؤتمر هام بباريس بتاريخ ١٤/١١/١٩٧٠ لاعتماد اتفاقية التدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة •

ان هذه الاتفاقية لا تمنع ، بل تشجع تبادل الممتلكات الثقافية بين الامم لاغراض علمية وثقافية وتربوية بهدف زيادة المعرفة بحضارة الانسان ، واثراء حياته الثقافية • غير انها نبهت الى ضرورة حظر ومنع استيراد وتصدير ونقل تلك الممتلكات بطرق غير مشروعة •

ان في هذا المنع حماية لهذه الممتلكات التي تشكل عنصرا من العناصر الاساسية للحضارة والثقافة الوطنية ، ولا يمكن تقدير قيمة هذه الممتلكات ، عند نقل ملكيتها ، الا بتوفر أوفر قدر ممكن من المعلومات عن اصلها وتاريخها وبيئتها التقليدية ••

لقد اصبحت الممتلكات الثقافية مهددة بالسرقات ، وأعمال الحفر السرية ، والتصدير بطرق غير مشروعة مما يحتم على الدول حمايتها واصدار التشريعات واتخاذ التدابير اللازمة لذلك •

وتجنبا لهذه الاخطار التي تتعرض لها تلك الممتلكات ينبغي على كل دولة ان تزداد ادراكا لالتزاماتها الادبية باحترام تراثها الثقافي وتراث جميع الامم الاخرى • وعلى هذا الاساس يجب على المتاحف والمكتبات ودور المحفوظات الوطنية كمؤسسات ثقافية • ان تتأكد من ان مجموعاتها الاثرية تتكون وفقا للمبادىء الاخلاقية المعترف بها في كل مكان • ولا يتأتي هذا الا اذا حظر حظرا دولياً ووطنيا استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة • وهذا

الحظر الدولي يكون باتفاقية يلتزم بها من يوقعها او ينضم اليها من الدول لضمان فاعلية الحظر واحتفاظ الامم بتراثها الوطني •

ان التعاون الدولي في هذا المضمار ذو اهمية بالغة ، وذلك لعدم مقدرة دولة بمفردها كشف وحظر استيراد وتصدير الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة •

ان هذا الاستيراد والتصدير ونقل الملكية لهذه الممتلكات بطرق غير مشروعة يفقر التراث الثقافي في المواطن الاصلية لهذه الممتلكات •

يكتشف الزائر للندن ، او باريس ، او برلين والدهشة تعقد لسانه ان حكومات دول هذه العواصم الاوروبية قد استولت على الممتلكات الثقافية المصرية والشامية

والعراقية والمغربية وسائر الممتلكات العربية الاخرى من مسلات ومومياء وذهب وفضة وبرونز وتماثيل ومعابد ومخطوطات نادرة ولوحات لا تقدر بثمن وكنوز نفيسة عزيزة على الامة العربية والاسلامية . ان هذه الممتلكات قد استولى عليها في زمن لم تبرم فيه اتفاقيات دولية لحمايتها ومنع تصديرها . بل اخذت في وقت كانت فيه بلادنا العربية واقعة تحت السيطرة الاستعمارية الاوروبية . ولقد أفقر وجودها في المتاحف الاوروبية التراث الوطني العربي والاسلامي والافريقي وينبغي العمل على استعادتها ورد غربتها بعد مرور كل هذه الدهور والسنين .

الاشغال العامة والخاصة تهدد !

ان التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مختلف انحاء العالم اقتضت القيام بالتشييد والتعمير والاشغال العامة والخاصة والحفريات . واذا لم تجر هذه الاشغال العامة والخاصة والحفريات بطريقة مدروسة فانها سوف تؤدي حتما الى اتلاف واندثار الممتلكات الثقافية التي لم تكتشف بعد ، او اكتشفت ولم تحدد اماكنها أو لم يجر استخراجها . ان المحافظة على الممتلكات الثقافية من هذه الاشغال يعتبر محافظة على عنصر من عناصر شخصية الشعوب ونتائج مختلف تقاليدها ومنجزاتها الثقافية .

ان اهميتها الانسانية والتاريخية والفنية وقيمتها وتقدير الشعوب لها ولرسالتها ومغزاها تزداد يوما بعد يوم .

ان التصنيع والتحضر في عالم اليوم يلعبان دورا اساسيا في الحضارة وفي تطور الشعوب وازدهارها روحيا ووطنيا . ومع ذلك فان هذا يجب الا يقضي على الاثار واطلال الماضي ، وتاريخ الشعوب والمباني التاريخية التي ترتدي طابعا فنيا او علميا . لقد اصبحت الاشغال العامة والخاصة التي اقتضتها النهضة الاقتصادية والاجتماعية تهدد هذه الممتلكات الثقافية بقدر ما تشجع التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وفي هذا الصدد ينبغي تحقيق انسجام بين صون التراث الثقافي ، وبين التغيرات التي تتطلبها التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، ويجب أن تتسم الاشغال العامة والخاصة بروح من المسئولية ، والتخطيط الواعي المناسب .

ان الاهتمام بالممتلكات الثقافية وحمايتها يسهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلدان والمناطق التي تمتلكها ، وذلك لانه يعزز السياحة الوطنية والدولية كسبيل الى التفاهم الدولي وتنمية روح الوئام والوفاق بين الشعوب .

حكم وأقوال

- ليس التوفيق في الزواج أن يجد الرجل زوجة صالحة .. بل ان يكون هو زوجا صالحا ..
- ما من خطأ لا يمكن تلافيه .. الا الخطأ الذي تتصور انه لا يمكن تلافيه ..
- الجزع عند المصيبة .. مصيبة أخرى ..
- الزواج هو الموضوع الوحيد الذي تتفق عليه جميع النساء ويختلف عليه جميع الرجال ..
- مشكلة الغالبية منا .. اننا نفضل أن يدمرنا المديح على أن ينقذنا النقد ..
- لا تخش أن تسأل أسئلة تتسم بالغباء فان علاجها أسهل كثيرا من علاج الاخطاء المتسمة بالغباء ..

السمك أنواع كثيرة

- لا شك ان السمك وجبة تحظى باعجاب الكثيرين ولكن هل فكرت وانت تبحث عن نوع السمك الذي يعجبك .. كم نوعا منها يعيش في البحار . ان البحار تزخر بانواع عديدة من الاسماك . فقد قال بعض الخبراء في الثروة السمكية انها تزيد على ٢٥,٠٠٠ نوع ولكن الانسان لم يستطع حتى الان ان يصيد لطعامه غير مائتي نوع فقط .

د. عبدالمحسن صالح

حاسة مثيرة اسمها المغناطيسية

هل يملك النمل في محنه البدائي بوصلة غير منظورة؟

هناك حاسة غامضة.. غير منظورة!

لو أن شيئا تحقق من هذا السر الغريب ـ سر ان ادمغتنا قد تحمل في ثناياها بوصلة حية ، وان هذه البوصلة تتأثر بالمجالات المغناطيسية الارضية ، او ربما ايضا بالمجالات الكونية ، وأن اعتدال أمزجتنا ، او تقلبها ، قد يرجع الى توافق أو عدم توافق في تلك المجالات ، او ان هذا الشعور الغريب الذي يقابلنا في حياتنا اليومية ، فيجعلنا نميل الى انسان ونأنس اليه ، او ننفر من اخر ، ولا نقبل عليه ، دون أن نعرف لذلك سببا ، اللهم الا أن مجالاته قد تتفق أو تتعارض مع مجالاتنا ، لو صح شيء من ذلك فقد نحتاج الى مغناطيس لنعدل به ما يتنافر من انفسنا ، او ما يباعد بيننا وبين الناس !··

هراء ·· كلام في الهواء ·· محض خيال ·· هكذا ربما تستنتجون وتعلقون ، ثم قد تستطردون وتقولون : اننا لم نسمع عن ذلك شيئا ، حتى ولو في أساطير الاولين !··

ونحن موافقون على ما تقولون ، لكن يبدو ان ما خفي من اسرار الكون والحياة لا زال اكبر من خيالنا وعقولنا ، وأن ما قد نحسبه اليوم هراء او كلاما في الهواء ، قد يكون له من الصحة اساس ، لكن دعنا لا نستعجل الاحداث ، فالعجلة من الشيطان ـ كما يقولون !··

ولنلق الان دلونا ، ولتلقوا ما انتم ملقون ، فالحد الفاصل بين ما نقول ·· وبين ما تقولون هو التجربة العلمية التي تقوم على أساس ، وتسير على اصول ·



على عيني الحمامة يضعون عدسات معتمة · ثم يطلقونها فتهتدي الى موطنها دون ان تستطيع رؤية العـالم

البروفيسور « جونثربيكو » الاستاذ بالمعهد الفيدرالي لاختبار المواد بجامعة برلين ، كان قد تلقى في عام ١٩٦٢ طردا من روديسيا به ملكات نوعين مختلفين من النمل الابيض ، وسارع بتفريغ محتويات الطرد في صندوق خاص بتربية أمثال هذه الحشرات ، فتحركت في كل الاتجاهات بغير نظام ، وعندما جاء في صباح اليوم التالي ، والقى عليها نظرة ، تحير وتعجب مما رأى ، فلقد كانت كل الملكات تتمدد في اتجاه واحد من الشرق الى الغرب ، وكأنما هي ابر مغناطيسية تطيع قوانين مجالات غير منظورة !

لم يصدق الاستاذ عينيه ، أو ربما وقفت هذه الحقيقة كالغصة في حلقه ، أو قد تكون صدفة أو أمر محتملا ·· فكل شيء جائز ، لكن تفكيره هداه الى تحريك الصندوق بهدوء تام حتى لا يزعج المتمددات بأجسامها شرقا وغربا وبهذه الحركة غير اتجاه تمددها فجعله شمالا وجنوبا (بزاوية ٩٠ درجة) ، ويبدو أن ذلك لم يهيىء لها نوما مريحا ، أو احساسا سعيدا ، فكان ان غيرت أوضاعها لتتمدد من جديد شرقا وغربا !!··

لم يسرع العالم بنشر ماراه على الملأ ، بل تأنى وفكر ، ثم دبر لمحاولة جديدة ، أو تجربة فريدة توضح ما خفى عليه من اسرار هذه الملكات « المغناطيسيات » ·· فكان أن أتى بصندوق سميك من الصلب ، ووضع فيه الحشرات ، وتركها ثم عاد اليها بعد ساعات ، وتحققت بعض ظنونه ، فلقد تمددت هذه المرة بطريقة عشوائية ، أي انها لم تعرف شرقا من غرب ، ولا شمالا من جنوب ، فمن خواص معدن الحديد أنه يتداخل في شدة المجال المغناطيسي ويضعفه الى أبعد الحدود أي كأنما هذه الملكات قد فقدت حاستها في اكتشاف المجال المغناطيسي الارضي الذي يريحها أن تتمدد أو تنام عمودية عليه !··

وخشى بروفيسور « بيكر » من اعلان ما توصل اليه ، فالامر أغرب مما قد يتصور البشر ، وعلى رأسهم العلماء بطبيعة الحال ، لانهم لا يتقبلون الامور هكذا جزافا ، أو يصدقونها كما يفعل العوام ، وهداه تفكيره الى احضار مغناطيس قوي ، ووضعه في الصندوق فوق الملكات ، عندئذ حدثت حركة غريبة ، وفي غضون ربع ساعة أخذ بعضها الاتجاه المتعامد على المجال المغناطيسي ، ولم تمض عدة ساعات الا وكانت كل الملكات قد تمددت في نفس الاتجاه !··

ان كل التجارب التي أجراها الاستاذ الآن لا تحتاج الى شرح ، اذ يبدو أن هناك حاسة جديدة تتأثر بالمجالات المغناطيسية ·· لكن أين تقع هذه الحاسة من النملة ، وما هي طبيعتها ، وكيف نشأت ، وبأية وسيلة تشتغل ، ولماذا ظهرت ، فهي أسئلة لم يستطع أحد أن يتوصل فيها الى اجابة مقنعة ، أو دليل ملموس يوضح لنا ماخفى علينا ·

صحيح أن أحدا حتى الان لم يوفق في العثور على تلك الحاسة ، لكن آثارها تدل عليها ، ومع ذلك فلنحاول تحفظ واحد على أحد التساؤلات التي سألناها ، تساؤلنا عن سبب ظهور هذه الحاسة ، وهل لها مثلا من فائدة؟··

الاجابة قد تكون هناك في الغابات ·· في المواطن التي قدمت منها الملكات ، اذن دعنا نذهب اليها ، لنلقي نظرة عليها·

الحاسة العجيبة

اذا تجولنا في احدى الغابات بالمناطق الاستوائية بقارة أفريقيا ، فاننا قد نشهد من بعيد بناية قد ترتفع لعدة أمتار ، لكنها غريبة الشكل ، مقبضة المنظر ، فلا نوافذ ولا أبواب ، ولا شيء يدل على أنها صالحة للاسكان ، ومع ذلك ، فهي تموج من الداخل بملايين فوق ملايين من السكان ·· انها في الواقع احدى مستعمرات النمل الابيض العملاقة ، اذ لو قارنا بينها وبين بنايات الانسان الجبارة ، مع أخذنا في الاعتبار حجم الانسان أو وزنه ، بالنسبة لنملة ، لتبين لنا أن ناطحات السحاب البشرية سوف تتوارى خجلا أمام هذه الناطحات الحشرية !··

● بالوحدة والتأمل يستطيع المرء ان يعيش في عالم آخر اكثر جمالا من هذا العالم الذي تعيشه كل يوم ·
« كارل ساند برج ـ شاعر امريكي »

من اقوالهم ··

● كن هادئا تعمر طويلا ·· فالغضب جنون موقوت ·· تحكم فيه قبل ان يستبد هو بك ··
« ديل كارنيجي »

حاسة مثيرة اسمها المغناطيسية

الذين أجروا التجارب على الحاسة المغناطيسية عند الحمام باستخدام المغناطيس .. لم يضعوا الشمس في الحسبان .

لكن أغرب مافي هذه الناطحات أن بعضها قد جاء على أساس خطط هندسية متقنة ، مع الاخذ في الاعتبار أن يكون لها اتجهات محددة ، بمعنى أن بعضها يتجه بأضلاعه ناحية الشرق والغرب ، في حين أن بعضها الاخر يتجه صوب الشمال والجنوب ، والذي يحدد هذه الاتجاهات الغريبة نوع النمل ، فحقيقة الامر أن للنمل الابيض أنواعا كثيرة ، ولكل نوع عاداته وتقاليده وبناياته واتجاهاته ، كما أن هذه الانواع لا تعيش فقط في القارة الافريقية ، بل منها ما يعيش في اسيا وأستراليا وأمريكا ، لكن أغرب هذه البنايات توجد في استراليا ، ويطلق عليها هناك اسم « البوصلة » ، لانها جميعا تتخذ اتجاها واحدا ، وكأنما النمل هناك يعرف الجهات الاصلية ، ويحدد زواياها بدقة تامة !

والى هنا يبرز سؤال هام : مالذي يوجه النمل الابيض حتى لا يخطيء في تصميم مثل هذه البنايات الضخمة ؟ ·· وهل هناك حكمة في ذلك التوجيه ؟··

نعم ·· لان النمل يحسب للبيئة والمناخ حسابهما ، اذ أن لاتجاه الرياح وما يتبع ذلك من توجيه الامطار ، ثم اتجاه الشمس بين شروق وغروب ، وما يتبع ذلك من ظلال في ناحية ، وحرارة وأشعة من ناحية اخرى · وما قد يؤدي اليه من تغيير في جو المستعمرة من الداخل ، كل هذا وغيره لمن الامور الهامة التي تحتاج الى انشاء تلك المدينة على أساس خطة قد لا يغتفر فيها الخطأ ، لان الخطأ قد يقود الى هلاك أفراد المستعمرة أجمعين !··

وطبيعي أن النملة لا تعرف شرقا من غرب ، ولا شمالا من جنوب ، لكن البناية تؤكد ذلك ، فهل امتلكت في مخها البدائي « بوصلة » غير منظورة ، فتجعلها توجه بناياتها على حسب الاصول التي ورثتها من أسلافها منذ عشرات الملايين من السنين ؟!··

الواقع اننا لا نحب أن نقفز الى الاستنتاجات قفزا ، فما أكثر من يفتون دون علم ، فيخطئون ·· صحيح أن « البعرة تدل على البعير ، والاثر يدل على المسير » ، لكن لابد من اقتفاء البعير ، نعني اماطة اللثام عن هذه الحاسة العجيبة ، ومعرفة سرها وطبيعتها وفسيولوجيتها قبل أن نؤكد وجودها ، ومع ذلك ، فما لا نستطيعه اليوم، قد نستطيعه غدا « وان غدا لناظره قريب !·· » ·

الطيور المهاجرة ·· والعلماء !

لكن الامر في تلك الحاسة لا يقتصر فقط على النمل ومستعمراته ، بل يبدو انها تنتشر بين بعض أنواع من المخلوقات التي تحتاج اليها ، خاصة تلك التي تهاجر في رحلات طويلة ، وتقطع فيها مسافات شاسعة ·· فالتجارب التي اجريت على بعض الطيور تشير الى وجود تلك الحاسة المغناطيسية الغامضة ·

وهل يمكن أن تظهر هذه الحاسة في حشرة وسمكة وطير ، ولا تظهر في الانسان سيد المخلوقات ؟ ··

يبدو أن الذي امتلك نعمة العقل ، وما يتبع ذلك من فهم أكبر ، وادراك أعظم لما يدور حوله من أمور هذا الكون وخباياه ، ليس بحاجة الى حاسة مغناطيسية توجهه أينما سار ، لكن هذه الحاسة قد تكون بالنسبة لكائنات أخرى مسألة حياة أو موت ، فهي لا تمتلك اجهزة ولا خرائط ، ولم تتعلم الجهات الاصلية في مدارس ولا معاهد ، ثم انها تهاجر دائما هجرات كبرى الى مواطن أخرى تبعد عن موطنها الاف الكيلو مترات ، ثم تعود من حيث بدأت ، وكأنما هناك خريطة مرسومة في أدمغتها ، وعلى هديها تسير ، الى أن تصل الى هدفها بدقة تامة حيرت العقول المتلهفة الى المعرفة ، ومن أراد المعرفة سعى لها ، ولا يفعل ذلك الا الانسان ·· لكن ليس كل انسان ، فهناك من يعيش كالبهيم ، ويموت كالبهيم !··

والطيور المهاجرة كانت ـ ولا زالت ـ الهدف الاول لبحوث العلماء لمعرفة الوسيلة أو الوسائل التي تهديها في أسفارها ، وتوجهها الى أوطانها ، دون سابق علم أو معرفة أو خبرة بأصول هذه الملاحة الجوية التي توارثتها عن أسلافها قبل أن يظهر الجنس البشري



التجارب المثيرة تجرى للبحث عن امكان وجود حاسة مغناطيسية •

على الارض بعشرات الملايين من السنين ، ثم ان هذه الاسفار الطويلة لا يمكن لانسان مهما بلغ ذكاؤه أن يقوم بها دون أن يضل الطريق ، لكن ليس معنى ذلك أن الطير أذكى من البشر ، بل قد يعني أنه امتلك امرا او جهازا أو حاسة توجهه سواء السبيل •

لقد قيل ضمن ما قيل أن الطيور تهتدي بالشمس والنجوم والمعالم الارضية التي ترقبها وتحفظها كعلامات دالة على طريقها الطويل ، ثم تعود على هداها بعد أيام أو شهور ، تكون قد قطعت فيها مسافات تقدر بمئات والاف الكيلو مترات •

لكن التجارب الكثيرة قد اوضحت أن الطير قد لا يعتمد كل الوقت على شمس أو نجوم ، فأحيانا ما تتلبد السماء بالغيوم لأيام قد تطول ، فلا يظهر للطير شمس ولا نجم ، ومع ذلك تراه يستمر في طريقه ، وكأنما هو يحمل معه بوصلة دقيقة تحدد له الجهات الاصلية ، وتهديه الى الهدف المنشود •

والذين يقولون أن الطير يهتدي بالمعالم الارضية قول غير صحيح ، لأن الطيور التي فقست من بيضها ، وتربت في داخل معامل خاصة ، دون أن ترى جبلا أو شجرة أو مدينة أو اية علامة ارضية ــ هذه الطيور قد شحنت في طائرات ، وهي معصوبة العينين ، ثم اطلقت في مواقع تبعد عن مواطنها بمئات الاميال ، ثم اذ بها تعود بعد أيام الى الاماكن التي فيها تربت ونشأت ، وهذا يعني بوضوح أن هناك حاسة غامضة غير حاسة البصر !••

العيب في ظروف التجربة

وبحث العلماء في « ارشيف » الحواس التي يعرفونها ، فلم تسعفهم أية حاسة قد تخرجهم من هذا المأزق الفكرى العريض ، ولهذا تخيلوا ــ مجرد خيال ــ وجود حواس أخرى غير حواسنا التقليدية ، فها هو العالم الالماني البروفيسور « هيرمان رايخ » أستاذ المغناطيسية الارضية يقوم في عام ١٩٣٣ باجراء تجارب على حمام الرسائل أو الحمام الزاجل لحساب الجيش الالماني ، واخذ بعض هذه الطيور من برلين الى جبال كيفهاوزر القريبة من نورث ثورنجيا حيث توجد ترسيبات هائلة من معدن الحديد ، ووضع الحمام هناك ، والمعروف أن وجود هذا المعدن بكثرة يتداخل في المجال المغناطيسي الارضي ، وقد يعكسه ، ولهذا عندما اطلق الحمام ، اتجه جنوبا بدلا من اتجاهه شمالا الى برلين •• أي انه نهج في طيرانه طريقا معكوسا ، وعرف البروفيسور انه يسير على الطريق الصواب ، وأشار الى أن الحمام قد يكون لديه حاسة مغناطيسية ، ولابد ــ والحال كذلك ــ من وضع ذلك في الاعتبار في كل بحث قادم ، لكن بحوث العلماء الالمان قد توقفت كلية بعد عام ، ولم يأخذ احد كلام الالماني مأخذ الجد لمدة ثلث قرن من الزمان !

لكن فكرة الحاسة المغناطيسية عند الحمام خاصة ، وبعض الطيور المهاجرة عامة ، قد راودت فكر بعض العلماء منذ حوالي مائة عام ، وقد أجريت بعض التجارب للتأكد من جديتها ، فكانت توضع قضبان مغناطيسية صغيرة حول رأس الحمامة ، حتى تحدث تشويشا أو انحرافا على ما يمكن أن يكون في دماغها من حاسة لا زالت مجهولة ، لكن الحمام رغم ذلك استطاع أن يهتدي الى موطنه ، فكان أن هجر العلماء نظريتهم ، ما دامت التجارب لم تحقق شيئا مما دار في عقولهم

لكن يبدو أن العيب لم يكن في رأس الحمام ، بقدر ما كان العيب في ظروف التجربة ، لأن الطير لم يخلق ويترك هكذا لقدره ، دون أن يعطي الحل البديل عندما تتأزم الامور ، وتسوء الاحوال ، فالذين أجروا التجارب على الحاسة المغناطيسية باستخدام مغناطيس ، لم يضعوا الشمس في الحسبان ، لأن الطير يهتدي بها في المقام الاول ، ويعرف موقعه على الارض من مواقعها في السماء ، لكن الامر يختلف لو طار الطير في يوم ملبد بالغيوم ، عندئذ تشتغل عنده الحاسة المغناطيسية ، وبها يعرف الجهات الاصلية •

البروفيسور « وليام كيتون » استاذ البيولوجيا بجامعة كورنيل ورئيس قسم بيولوجيا الاعصاب والسلوك أجرى العديد من التجارب على هذه الحاسة الغريبة ، وحصل على نتائج في صالح النظرية التي تقول بوجود حاسة مغناطيسية في بعض الطيور ، اذ عندما أحضر عددا من الحمام ، ووضع له على رأسه قضيبا مغناطيسيا بحيث يتداخل مجاله مع ما يمكن أن يكون للطير من مجال ، عله يشوش عليه ، أو يمحوه ، ثم اطلق الطير في يوم لم تبزغ فيه شمس ، ولا ظهر لها قرص ، تخبطت الطيور في طيرانها ، ولم تهتد الى مواطنها ، لكن ذلك لم يكن حال الطيور التي توضع لها على رؤوسها قضبان مغناطيسية ، وعندئذ استخدمت

حاسة مثيرة اسمها المغناطيسية

فى الظلام أو عند حلول الغمام الكثيف .. يختلف الأمر عند الطيور.

التنويم المغناطيسى ليس مغناطيسيًا .. ولا شأن له بهذه الظاهرة.

الطريقة البديلة ·· نعني الحاسة المغناطيسية التي تسير على هدى الخريطة المغناطيسية لكوكب الارض ·
ورب متسائل يتساءل ويقول : لكن ·· الا يمكن أن يكون وضع القضيب المغناطيسي ذاته على رأس الحمام ، ثم ما قد يحدثه من ثقل ومضايقة وعدم اتزان ، هو السبب في انحرافها عن طريقها المستقيم ؟··

الواقع أن ذلك يكون دائما في حساب العلماء ، فما من تجربة الا ولها أخرى مماثلة ، ولكن « على بياض » ، بمعنى أن عامل الثقل والحمل قد أخذ في الاعتبار ، فجيء بعدد مماثل من الحمام ، ووضعت له على رؤوسه قضبان صغيرة من معدن غير مغناطيسي ، ولها نفس الوزن والحجم والوضع ، وأطلقت في يوم غائم مع الطير الحامل للقضبان المغناطيسية ، فكان أن اهتديت الاولى الى مواطنها ، وتاهت الثانية ، والتية هنا بسبب تشويه الحاسة بالمجال ، لا بسبب وزن وعدم اتزان !··

الحاسة المغناطيسية للنحلة !

هناك ـ بعد ذلك ـ تجارب اخرى كثيرة أجرتها مجموعة من العلماء الافذاذ لان الكشف عن حاسة جديدة ليس بالامر الهين ، كما أنها من أغرب الحواس التي يمكن أن يتعامل معها الانسان ، ولو استطاع ان يكتشف لغزها ، ويعرف كل اسرارها ، لكان له شان ·· أي شأن ·

لكن أدق هذه البحوث وأحدثها تلك التي يقوم بها دكتور « تشارلز وولكوت » من جامعة ستيت بنيويورك بمساعدة احد تلاميذه روبرت جرين ، فبدلا من السيطرة على حاسة الطائر بهذه القضبان المغناطيسية البدائية ، استحدثا طريقة جديدة ، وفيها استخدما ملفات صغيرة على غرار الملفات التي نستخدمها في الجرس الكهربي ، وفيه يتحول التيار الكهربي الى مجال مغناطيسي ، وهذه الفكرة نفسها قد امكن تطبيقها بشيء من التحوير حتى تناسب الطير أثناء طيرانه ، اذ أن الامر يحتاج الى بطاريات دقيقة ، والى محول يحول التيار ويعكسه ، ليعكس المجال المغناطيسي تلقائيا ، ومن ثم يمكن دراسة سلوك الطير ، واهتدائه الى موطنه تحت كل الظروف ·

- عقابك عندي ·· ان تنصرف عني ·· الى قوم يسبرون غورك ويعرفون قدرك ·
« سليمان الحكيم »

- ان الكثير الذي ربحه العالم بالعقل ·· لا يوازيما خسره بسبب العقل ايضا ·
« برتراند رسل »

- الجراة على الناس في غيبتهم كالتزلف اليهم فيحضرتهم ·· كلاهما علامة الجبن والصغار ··
« عباس العقاد »

من اقوالهم ··

- حين تقدموا خيرا لانفسكم ·· قدموه من القلب وليس من الجيب ··
« مصطفى عبد الرازق »

وبدون الدخول في التفاصيل نقول : أن الحمام خاصة ، والطيور الاخرى المهاجرة عامة ، لا تستخدم حاستها السوية او المعكوسة ، طالما كانت الشمس موجودة ، لكن الامر يختلف في الظلام ، أو عند حلول الغمام الكثيف الذي يحجب الشمس تماما ، فاذا توافق المجال مع المجال ، انطلقت أسراب الحمام ، فتوجه طيرانها نحو الهدف بالتمام والكمال ، واذا انعكست المجالات انعكست تبعا لذلك مساراتها ·

وهناك تجارب اخرى حديثة تتفق نتائجها مع نتائج الامريكي وتلميذه ، منها مثلا تلك النتائج التي خرجت من جامعة فرانكفورت على يدي « فريدريك ميركيل » وزميله « وولفانج فيلتسكو » على طائر ابي الحناء ، و « مارتن لينداور » و « هيرمان مارتن » من نفس الجامعة ، لكن بحوثهما هذه المرة كانت على الحاسة المغناطيسية لنحلة ، ثم ان هناك ادلة اخرى على امتلاك انواع من القواقع والخنافس لتلك الحاسة الغامضة ·

والسؤال الهام الان : اذ كان لهذه الحاسة اساس من الصحة ، وأن تجارب العلماء تشير الى امكان وجودها في بعض انواع من الحيوان ، فهل يمكن أن تكتشف يوما في الانسان ؟··

ربما يقفز فصيح هنا ويقول : الواقع ان هذه الحاسة موجودة فينا ، وما التنويم « المغناطيسي » الا الوجه الملموس ، والاثر المحسوس لهذه الحاسة ، فلم اللف والدوران ؟··

ولهذا الفصيح نقول : ان التنويم المغناطيسي ليس مغناطيسيا ، ولا شان له بهذه الظاهرة من قريب أو بعيد، ولكنها تسمية خاطئة وقرت ـ من زمن طويل ـ في أذهان العامة ، وشجع على انتشارها الدجالون ، فحقيقة التنويم انه نوع من الايحاء ، أو سيطرة ارادة انسان على انسان ، لكن ذلك لا يحدث في كل الاحوال ، ونحن لا نريد أن نسترسل في الشرح والاسهاب ، فهذا موضوع يختلف عن موضوعنا في الطبيعة والتفاصيل ·

●★●

نعود لنقول : أن هذه البحوث لا زالت في مهدها ، فعمرها لم يتجاوز سنوات ، ومع ذلك فهي من الاسرار الممتعة والمثيرة ، وهي ـ بلا شك ـ تلقى هوى في نفوس الخاصة والعامة ، اذ ربما تتقدم البحوث في هذا المضمار ، وقد ياتي اليوم الذي يمكن فيه اكتشاف تلك الحاسة في كياننا ، وعندئذ قد يصلح الانسان مزاجه المقلوب بمغناطيس ، ليسير بالمجال على الطريق القويم ·

طرائف



وقف اسكتلندي يودع اولاده قبل ان يسافر الى الحرب فقال لهم : الوداع يا كاترين ولا تنسي أن تجعلي أخاك دونالد الصغير يخلع نظارته حينما لا يريد أن ينظر الى شيء ·



كان الرجل وزوجته يشاهدان برنامج التليفزيون ، ولاحظت الزوجة أن زوجها شديد الاعجاب بجمال البطلة ·· فقالت له في مرارة :

ـ لست اعلم ماذا يثير اعجابك بها ·· اذا نزعت عنها شعرها الذهبي فماذا تصبح ··

ـ تصبح اجمل امراة صلعاء في العالم ·



ابرق الاسكتلندي الى فتاته عارضا عليها الزواج وطلب منها الرد عليه بسرعة وظل ينتظر في مكتب التلغراف طوال الوقت حتى وصل الرد في الليل بالموافقة ·· ولما قرأ عامل التلغراف الرد التفت اليه قائلا :

ـ لو كنت مكانك لما تزوجت هذه التي « تلطعني » يوما بطوله انتظر ·

ـ لا ·· هذه الفتاة هي التي اريدها ·· هذه التي تنتظر الاجور الليلية المخفضة لترد ·



الطفل : من فضلك يا امي ·· اسمحي لي بالنزول الى الماء ··

الام : كلا ايها الحبيب ·· ان البحر عميق في هذه المنطقة ··

ـ ولكن ابي يسبح في سهولة ·

ـ ابوك كبير وقوي ومؤمن على حياته ·

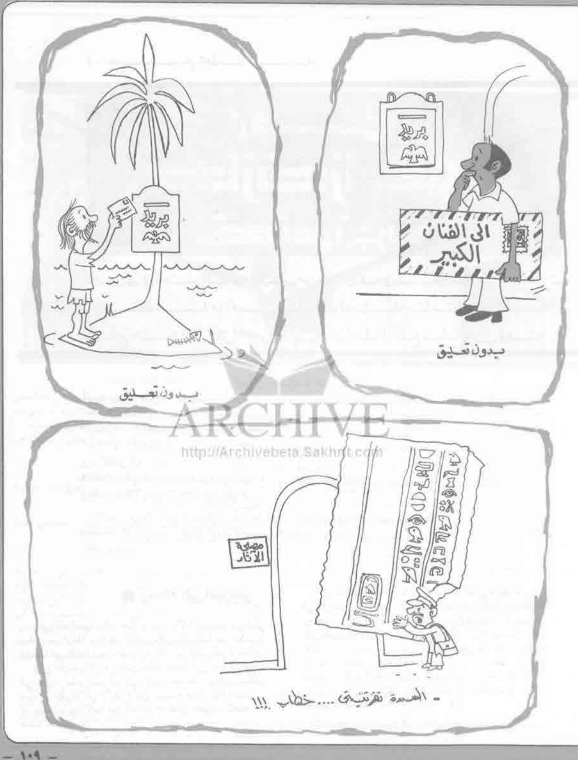
البريد

بريشة بهجت



بدون تعليق


ـ البريد الجوى فى العصر الحجرى ...


بريد
الى الفنان
الكبير
بدون تعليق
بريد
بدون تعليق
مصلحة
الآثار
- السيدة نفرتيتي .... خطاب !!!

د. نعيم عطيه

أرملة كازندزاكي تتحدث عن تجربة

كان زوجي في آخر أيامه يطلب من الله أن يمد في عمره عشر سنوات.
فقط عندما أمسك بالقلم تأتيني الأفكار.
كم أتمنى لو أن كل شخص من المارة أعطاني ربع ساعة من وقته !

عندما مات اشهر ابناء اليونان الحديثة نيكوس كازنتزاكي في السادس والعشرين من اكتوبر ١٩٥٧ كان قد خلف عطاء ادبيا ضخما تنوع من شعر ورواية واسفار ومسرح وتاملات وفي مقدمة اعماله ملحمته الشعرية « الاوديسية الجديدة » عام ١٩٣٨ ورواياته « زوربا » عام ١٩٤٧ و « الحرية او الموت » عام ١٩٥٣ و « الاغواء الاخير » عام ١٩٥٥ و « الفقير لله » عام ١٩٥٧ ، وقد افرغ كازنتزاكي في اعماله رؤى روحه المتعطشة الى الحقيقة الشاملة ، واستطاع ان يكسو تاملاته الفلسفية بما يجعلها دافئة بانفاس الانسان وزفراته .

كانت « رسالة الى الجريكو » آخر ما كتب كازنتزاكي ويمكن اعتبار صفحاته هذه وصيته الادبية اودع فيها خبرات حياته العريضة في مجالي الفكر والعمل .

● رسالة الى الجريكو

وفي الخامس عشر من يونية ١٩٦١ نشرت هيليني ساميوس ارملة نيقوس كازندزاكي ذكرياتها عن تجربة زوجها في كتابة اخر كتبه « رسالة الى الجريكو » فقالت:
راح كازندزاكي في اخر ايامه يطلب من الله ان يمد في عمره عشر سنوات كي يكمل عطاءه ، ويقول ماكان لديه ان يقوله كي « يفرغ من عمله » فاذا جاء الموت لم يجد سوى زكيبة من العظام · عشر سنوات تكفيه ·· هكذا اعتقد ·

لكن كازندزاكي لم يكن من اولئك الذين « يفرغون » في الرابعة والسبعين من عمره ولم يكن يشعر بشيخوخة او تعب · بل انه بعد ان اجتاز تجربة مرضه المؤسية ، كان يقول لنا انه قد استعاد شبابه · وقد صدق على كلامه كل من الطبيبين الكبيرين بمستشفى جامعة فرايبورج الاستاذ هيلماير اخصائي الدم ، والاستاذ كراوس اخصائي الجراحة · فكأن الاول يقول « هذا الرجل عجوز ؟!·· اني اؤكد لكم ان دمه الان مثل دمي ــ انا الشاب ــ تماما ! » ·

كنت اهيب بكازندزاكي غاضبة « لماذا تجري



هكذا » خائفة ان تنزلق قدمه ، ويصاب بكسر في العظام . فيجيب قائلا « لا تخافي ، فلي جناحان » فأشعر كم يثق بكيانه وروحه ، وأنهما لن يخذلاه .

كان يتنهد ويقول لي « آه ، لو كان باستطاعتي ان املي عليك افكاري ! » ثم يمسك القلم بيده اليسرى ويحاول ان يكتب . فأقول له « ولماذا العجلة ؟ من الذي يدفعك الى ذلك ؟ زال الخطر الان . بعد بضعة ايام ، سوف يكون بامكانك ان تكتب كما يحلو لك » . كان يدير رأسه نحوي ، ويطيل النظر الي مليا دون ان ينبس بكلمة . ثم يتنهد قائلا :

« لدي الكثير مما اريد ان اقوله . ثلاثة موضوعات كبيرة تعذبني . ثلاث روايات جديدة . ولكن يجب ان افرغ من (الجريكو) أولا . » .

ـ سوف تفرغ منه .

ـ سوف اكتبه في صياغة جديدة . احضري ورقا وقلما ، ولنجرب . سأملي عليك فهل سننجح ؟ بعد خمس دقائق نتوقف . ويقول :

ـ مستحيل ! لا اجيد الاملاء . عندما امسك بالقلم فحسب تأتيني الافكار .

● مصحة أخرى في باريس

وتواصل هيلني كازندزاكي ذكرياتها عن زوجها فتقول بعنوان « كيف رأيت الرسالة الى الجريكو تكتب :

أذكر الان ، لحظة حرجة اخرى في حياتنا ، اذكر مصحة اخرى في باريس . ونيقوس قد اشتد به المرض بلغت حرارته اربعين درجة . الاطباء قلقون عليه . استبد بهم اليأس ، اما هو فكان ثابت الجنان ، لا يفل من عضدة شيء .

ـ احضري قلما ، يا عزيزتي ، واكتبي ..

وراح يتلو على بصوت متهدج ، غير مفيق من غيبوبة الحمى تماما ، بعض التراتيل :

ـ قال القديس لشجرة اللوز « اختاه ، حدثيني عن الله » فازهرت شجرة اللوز .

وقبل أن نسافر الى الصين ، ترك كازندزاكي « رسالته الى الجريكو » بين يدي مصور شاب ، كان يصفه بالالم الرحيمة لشدة عنايته بعطائه الادبي ، كان يأتي منذ الصباح الباكر ، ويصعد الى مكتبه ، ويشرع في الاستفسار عن كل شيء . من أين ؟ والى أين ؟ والى متى ؟.. عن كل المشاكل الكبيرة . عن الله ، عن الانسان ، عن الفن ، وكان نيقوس يضحك معجبا بحماس هذا الشاب وحبه الشديد لادبه .

قال له كازندزاكي : « ربما اشتعلت النار في البيت . افضل ان تحتفظ انت بهذه المخطوطة . فلن اقدر ان اعيد ما كتبته ابدا اذا التهمت النار مخطوطتي . اني اشعر بالحسرة لانني لم افرغ من كتابي بعد . » .

ولكن اني له ان يفرغ منه · شغلته مشاغل عديدة قبل السفر !

بدأ كازندزاكي « رسالة الى الجريكو » في خريف عام ١٩٥٦ على اثر عودتنا من فينا · عندما كان يستريح من كتابة « الرسالة » كان ينصرف الى ترجمة « اديسية » هوميروس وهي الترجمة التي اشترك في اعدادها مع كاكريدي الاستاذ بجامعة اثينا · وكان يقول عن الترجمة :

ـ لابد من انجازها حتى لا يدركني الموت فانزل الى الجحيم بساق واحدة !··

كان يقول ذلك ساخرا ، لكن نبرته لم تكن تخلو ايضا من خوف ··

ومن وقت لاخر ، كانت تصله اجزاء من الترجمة الانجليزية لاوديسيته هو ، وصفحات مليئة بكلمات صعبة يتعين التوصل الى ترجمة لها · كم من الوقت ، وكم من الجهد استغرقت منه هذه الاوديسية ! هذا بالاضافة الى الطبعات الاخرى لاعماله باليونانية · اوراق يجب ان تصحح ، وان يضاف اليها · وكان دائب الانشغال على مخطوطة احد اسفاره كانت قد فقدت · واحاديث اذاعية معذبة ، وفيلم فرنسي مأخوذ عن روايته « المسيح يصلب من جديد » · ورحلة الى الهند بدعوة من نهرو ، كنا نستعد لها ولكننا لم نقم بها ، لاننا خشينا من مغبة التطعيمات الكثيرة على صحة كازندزاكي ··

● يتكلم عن الموت

اجل ، لم يتسن له ان يكتب الصياغة الثانية « لرسالته الى الجريكو » كما كان يعد نفسه · ولكنه تمكن من اعادة كتابة الفصل الاول منه كاملا ، وفصل من فصوله الاخيرة ، وهو بعنوان « عندما بدات بذرة الاوديسية تتضح بداخلي » وقد ارسله اثناء حياته الى مجلة « نياستيا » وتسنى له ايضا ان يقرأ مخطوطته كلها وان يسطر بالقلم الرصاص هنا وهناك بعض الاضافات والتصويبات · كان يقول :

ـ احيا الان من جديد في ذلك الغسق الخريفي الذي هبط رفيقا رفيقا ، مثل طفل ، مع الفصل الاول · اقرئي يا بنيتي اقرئي ، لاسمع !

وقرات بضع صفحات من المقدمة ثم لم اقو على المضي في القراءة صعدت الغصة الى حلقي · لاول مرة كان نيقوس يتكلم عن الموت ·

صرخت ، وقد استبد بي اليأس :

ـ لماذا تكتب كما لو كنت ستموت ؟

وبداخلي تساءلت « لماذا استسلم اليوم للموت ؟ » ·

اجابني بلا ادنى وجل :

ـ كلا ، لن اموت ، يا رفيقتي · فلا تحزني · ساحيا عشر سنوات اخرى · الم نقل ذلك ؟

ثم عاد يقول بصوت اقل خفوتا :

ـ احتاج الى عشر سنوات اخرى !

ومد ذراعه · لمس ركبتي ، وقال :

ـ هيا ، الان ، اقرئي ماذا كتبت ؟··

كان ينكر امامي احساسه بدنو الموت ، ولكن ربما كان في اعماقه يعرف ، والا فلماذا وضع ذلك الفصل في مظروف وارفق به خطابا الى صديقه بنديلي بريفيلاكي يقول فيه « لم تستطع هيليني ان تقرا هذه الصفحات · غلبها البكاء · لكنه امر حسن على اي حال ان تبدا في التعود عليه ، وان اتعود عليه انا ايضا · » ·







ويبدو ان شيطانه الداخلي دفعه الى ان يتخلى عن « فاوست الثالث » الذي كان يتوق كثيرا الى ان يكتبه ، وأن يعلى على كل شيء كتابة سيرته الشخصية التي اطلق عليها « رسالة الى الجريكو » وتتشابك الحقيقة والاسطورة في تلك السيرة · فيها الكثير من الحقيقة ، والقليل من الخيال

● ربع ساعة من وقت الاخرين !

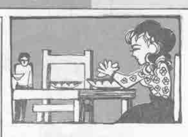
تقول هيليني كازندزاكي عن تجربة زوجها في كتابة « رسالته الى الجريكو » : كان كازندزاكي يريد أن يعيد النظر في صياغة كتابه ولكن شيئا واحدا كان مؤكدا ، لو كان قد اعاد كتابة « الرسالة » فانه كان سوف يثري تفاصيلها · كل يوم ، كان يتذكر أحداثا نسيها · فلنقل في كلمة واحدة انه كان سيجعلها اكثر « انسانية » ولكن لماذا التغيير ؟ لم يكن ذلك لاسقاط لحظات الضعف والتخاذل والالم ، فهذه اللحظات الصعبة هي التي وقفت امام كازندزاكي على الدوام درجات سلم يجب أن يرقاه حتى يصعد الى القمة ، التي قطع العهد على نفسه ان يرقى اليها ·

ذات مرة قال احد المناضلين لكازندزاكي « لا تحكم على من افعالي · احكم علي من خلال الغاية الخفية التي تسعى اليها افعالي ! » وتقول هيليني كازندزاكي « هكذا يجب ان تحكم على كازندزاكي : اي من خلال ذلك الذي كان يريد أن يدركه · ثلاثة وثلاثون عاما الى جواره ، لا اذكر انني شعرت بالخجل مرة لفعل بدر عنه · كان شريفا ، لا أوزار تثقل ضميره ، بريئا ، مترفقا بالاخرين ، ولم تكن تخشن معاملته الا مع نفسه · كان يعتزل الحياة ، ويلوذ بالوحدة ، لانه كان يشعر بان المهمة التي اخذها على عاتقه كبيرة وساعات العمر محدودة · كان يقول :

ـ تنتابني الرغبة في ان افعل ما يقوله برجسون · ان انزل الى قارعة الطريق ، وامد يدي الى المارة مستجديا ليعطني كل منهم ربع ساعة من وقته احسانا » ·

هذا ماكان يقوله ، وتلمع عيناه المستديرتان عميقتا السواد ، في العتمة ·· ثم يتنهد قائلا « آه ، قليل من الوقت ، كي يتسنى لي ان انجز عملي ! ثم بعد ذلك مرحبا بالموت اذا أتى » ·

لعنة الله على الموت ! جاء واقتلعه عندما بدأت حياته تزهر حقا ! أجل ، لا تضحك ايها القارىء العزيز ، فقد كان آنذاك قد بدأ يزهر ويثمر ، ذلك الذي طالما احببته والذي طالما احبك · نيقوس كازندزاكي كاتبك الحبيب ·



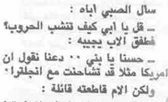
المطلوب

قدمت الزوجة لمحكمة الجنايات بتهمة محاولة تسميم زوجها ..
وسال القاضي الزوج :
ـ تقول ان زوجتك وضعت لك الزرنيخ في الطعام ؟..
ـ نعم ..
فصاحت الزوجة :
ـ هذا كذب .
وصاح الزوج :
ـ بل هذه هي الحقيقة .
فقالت الزوجة :
ـ اذن فانا اطلب تشريحه ..



ماذا تصبح ؟

زوجة عجوز :
ـ شوف بعد ما قصيت شعرى .. مش ممكن حد حيقول اني ست عجوزة .
زوجها :
ـ لا .. حيقول .. راجل عجوز .



الاول :
ـ انا لقيت امبارح عشرة صاغ في الجنينة ..
الثاني :
ـ ابن حلال .. دي اللي وقعت مني .
الاول :
انا لقيت خمستين .
الثاني :
يبقى لما وقعت مني انكسرت .



السبب

الاول :
ذات يوم .. كانت لي لحية مثل لحيتك هذه ثم اكتشفت قبح منظرها فحلقتها ..
الثاني :
ـ وانا كان لي وجه مثل وجهك هذا ، ثم اكتشفت قبح منظره فارسلت لحيتي .

سال الصبي اباه :
ـ قل يا ابي كيف تنشب الحروب؟
فطفق الاب يجيبه :
ـ حسنا يا بني .. دعنا نقول ان امريكا مثلا قد تشاحنت مع انجلترا .
ولكن الام قاطعته قائلة :
ـ ليس بين امريكا وانجلترا اي شحناء ..
فانفعل الاب وصاح بها :
ـ ومن قال ان بينهما شحناء ؟ فقط احببت ان اقدم لولدنا مثلا ..
فعادت تقاطعه ثائرة :
ـ ولكنك بهذا تحشو راس الولد بافكار خاطئة .
ـ شكرا يا ابي .. شكرا يا امي قد عرفت الان كيف تنشب الحروب .

الاثنان

تقابل الصديقان بعد فراق طويل ، وبعد العناق والمقدمات قال احدهما :
ـ اريد ان اعرف شيئا ايها الصديق العزيز .. هل تزوجت ام ما زلت تسبقنا في المنافسة صباحا لتعد طعام الافطار بنفسك .
فاجاب الاخر ، الاثنين .



اشترك في تحرير هذا الباب من القراء :

احمد عبد الرحيم الساكت « البحرين » ـ حمدية ابراهيم مخلوف « القاهرة » ـ سلامة محمود الداهش « الاردن » ـ ليلى فريد معروف « الاسكندرية » ـ مصطفى برغوث « بني غازي ـ ليبيا » ـ سماء الربيعي « بغداد » ـ وفوزي عبد الستار « الكويت » ·



احدهم

دخل رجل الى مطعم وقدمت له قائمة الطعام مكتوبة بالفرنسية ،

ولما لم تكن له خبرة بمثل تلك القوائم فقد قرأ اول سطر قابله وقال للجرسون :

ـ اديني واحد سيبموني فرمانيلي ·

فقال الجرسون :

ـ بردون يا بيه مش ممكن ··

ـ ليه ؟؟

ـ لان ده اسم صاحب المحل ··



هاجم ثلاثة لصوص اسكتلنديا كان يسير وحيدا في طريق مقفر وحاولوا سلب نقوده ، ودافع الاسكتلندي عن نفسه دفاعا عنيفا حتى كاد أن يهزمهم ، ولكنهم تغلبوا عليه اخيرا واستطاعوا ان يوثقوه وان يفتشوا جيوبه · وبعد جهد لم يجدوا سوى ستة بنسات فالتفت رئيسهم اليهم وقال :

ـ من حسن الحظ انه لم يكن معه اكثر من ذلك والا كان قتلنا جميعا ·



الزوجة

كان سقراط ، الفيلسوف اليوناني العظيم ، زوجا لامرأة اشتهرت بشراستها وسوء خلقها ، وقد سأله أحد الشبان ذات يوم عما اذا كان ينصح له بالزواج ، فقال سقراط :

ـ تزوج يا بني ولا تتردد ، فاذا كانت زوجتك امرأة طيبة فستعيش سعيدا ، واذا كانت امرأة شريرة فستصبح فيلسوفا ·



اصحاب العقول

كان مدير مستشفى المجاذيب يطوف بالمستشفى مع احد الزائرين عندما سمع جلبة شديدة ، فبحث عن مصدرها ووجد احد النزلاء يعمل بنشاط في هدم جزء من جدار غرفته · فاقترب منه مدير المستشفى وسأله في رفق ·

ـ ماذا تفعل يا صديقي ؟

فاجاب المجنون بصوت خافت :

ـ صه ·· الا ترى انني اريد الهروب ؟··

ورفع الفاس بيديه ، وأهوى بها على الجدار ليحدث فيه ثغرة تكفي لمروره ·

فقال له المدير :

ـ ولكن لماذا تفعل ذلك يا صديقي المسكين ؟ الا ترى ان بجوارك بابا غير مغلق ، ويمكنك الخروج منه ؟

فاجاب المجنون وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة :

ـ انني اراه ·· ولكنه يحدث صريرا مزعجا عندما يفتح ·

فشر

الفشار : انا لسه واصل من الاسكندرية ·· كنت واخد جناح في لوكاندة وادي الملوك ··

الصديق : لكن لوكاندة وادي الملوك في طنطا ·· مش في اسكندرية ·

الفشار : في طنطا ·· آه ·

بقى عشان كده كنت بامشي كتير قوي لغاية ما أوصل البلاج ·

منطق

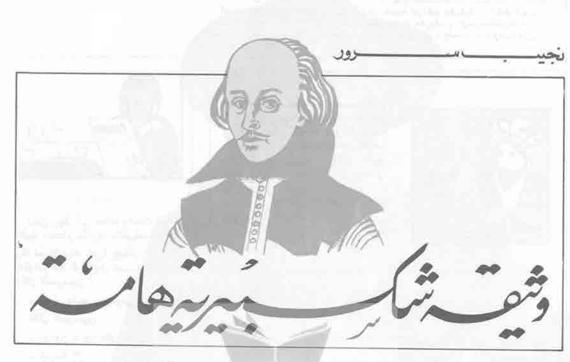
عاد الطفل الصغير الى البيت بعد انقضاء اول يوم له في روضة الاطفال واعلن عدم رغبته في الذهاب الى المدرسة في اليوم التالي ·

فسألته والدته : لماذا ؟··

فاجابها جادا :

ـ لست استطيع القراءة والكتابة وهم لا يريدون السماح لي بالكلام في الفصل فما الفائدة من الذهاب ؟

نجيب سرور



وثيقة شكسبيرية هامة

في مسرحية « هاملت » لشكسبير تحضر الى القصر الملكي احدى الفرق التمثيلية الجوالة . لتقدم امام الامير هاملت ما اعتادت أن تقدمه من عروض ذلك العصر التي طالما شهدها هاملت وهو صغير .

وحديث هاملت قبل واثناء وبعد لقائه بالممثلين يعتبر وثيقة فنية هامة شاهدة على عصر شكسبير ومسرح ذلك العصر ، ويكاد شكسبير في هذا الجزء من مسرحيته ان يقدم ما يقرب من النظرية الكاملة في الاخراج والتمثيل على السواء .

ان هاملت هنا هو الذي يقوم بمهمة المخرج . لكان شكسبير يتحدث في هذا الجزء من المسرحية عن المسرح في ايامنا هذه المشرقة .. السبعينات من القرن العشرين .

روزنكوانز :

جال بخاطري يا سيدي اللورد انه مادام الانسان لا يسرك فسيكون نصيب الممثلين قليلا من رضاك . لقد لحقنا بهم في الطريق وجاءوا ليقدموا اليك خدماتهم .

اذا كان شكسبير ضجرا بالانسان في عصره فهو من باب أولى اكثر ضجرا بالممثلين الذين يعكسون هذا الانسان على المسرح أو المفروض انهم يفعلون ذلك .. لهذا يبدأ العملاق الماكر شكسبير في السخرية بالانسان وبالممثلين في وقت واحد :

هاملت :

من يمثل دور الملك سيكون موضع الترحيب . سادفع الجزية لجلالته .. اما الفارس فسيستخدم سيفه الرفيع ودرعه الخفيفة .. ولن يصعد المحب الزفرات بلا مقابل . والمضحك سيؤدي دوره بسلام . وسيضحك المهرج من تدغدغهم ايسر فكاهة .. وستعبر السيدة عن أفكارها كما تشاء والا تعثر الشعر المرسل .

اشياء كثيرة مسها هنا شكسبير مسا خفيفا ساخرا .. يريد أن يقول انه يعرف نوعية العروض المسرحية التي ستقدمها الفرقة الجوالة مسبقا .. ويكاد يحفظها عن ظهر قلب ويتنبأ بما ستكون عليه . أي أن المسرح في عهده قد انتهى الى القوالب الجاهزة الجامدة المعادة والمكرورة : يجب أن يكون في المسرحية ملك وفارس يلعب بالسيف والدرع ... ومحب يصعد الزفرات بلا مقابل — يبالغ في الاداء التمثيلي — ومضحك ومهرج يستجدى الجمهور الضحك الرخيص الذي تحركه ايسر فكاهة .

حول الشعر المرسل والمقيد

ثم هناك السيدة التي لا تعرف نثرا ولا شعرا • وهنا يسجل شكسبير من بعيد أصداء معارك دائرة في واقعه حول الشعر المرسل والشعر المقيد •• وهو نفسه الذي كان يكتب الشعر المرسل وكان يسجل شكسبير ان المسرحيات على عهده كانت تدور في الغالب حول الملوك وانها لم تكن تخلو من مبارزة ، ثم من قصة حب تصاعد فيها الزفرات لاستجداء انفعالات الجمهور ثم مضحك أو مهرج يستجدي قهقهات الجمهور بوسائل الفكاهة الرخيصة •• ثم لا ينسى أن يسخر من جهل الممثلين في عهده أو من يقومون بالادوار النسائية حين يسجل ما يقدم على المسرح من ركام شعري يحسب على الشعر المرسل ظلما •• تلك بعض التقاليد المسرحية في عهد شكسبير •• وواضح انه لا يخفي ضجره منها وضيقه بها ••

هاملت :

ـ أي الممثلين هم ؟••

روزنكرانتز :

ـ أولئك الذين اعتدت ان تسر كثيرا بتمثيلهم •• فرقة التراجيديا في المدينة ••

هاملت :

ـ وما الذي دفعهم الى الرحيل ومقامهم خير لهم ربحا وشهرة ؟••



ثمة شيء يحدث في المسرح •• اذن ثمة شيء يحدث في الدنمارك ـ انجلترا كلها ! هذا لسان حال هاملت ! نعم •• المسرح رئة شديدة الحساسية تلتقط التغيرات في الطقس وترصد التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفنية ايضا •• باعتبار هذه الاخيرة انعكاسا لكل التحولات ! فرقة تراجيديا المدينة تعلن افلاسها وتنتهي الى التفكك ، ثم الى هذا المصير المحزن •• التجوال في انحاء البلاد ودق أبواب القصور بحثا عن لقمة العيش وعن متفرجين •• ماالذي دفعهم الى الرحيل على حد سؤال هاملت ؟! عملية اجتماعية واقتصادية وسياسية غاية في التعقيد لسنا معنيين هنا بتقصيها •• والكنيسة في ناحية والسلطة في ناحية اخرى ، والبرجوازية الصاعدة من ناحية ثالثة تنعكس على الثقافة فتنعكس على المسرح وتنهار أبنية مسرحية لتولد ابنية اخرى •• اشياء تموت في الدانيمارك ـ انجلترا ـ واشياء تولد •

روزنكرانتز :

ـ اظن ان كسادهم يعود الى ما ظهر اخيرا من بدعة•

هاملت :

ـ الم يزالوا موضع التقدير كما كانوا حين كنت في المدينة ؟ أما زال الناس يقبلون عليهم ؟

روزنكرانتز :

ـ لا يا سيدي اللورد لم يعودوا كذلك •

هاملت :

ـ كيف حدث هذا ؟ هل صدئوا ؟

روزنكرانتز :

ـ لا •• فما زالوا يسيرون في جهودهم بنفس الخطى لكن هناك يا سيدي عشا من الاطفال ، صقور صغيرة تصيح فيعلو صوتها في الجدل على صوت الآخرين •• وينالون أعظم استحسان • هؤلاء هم البدعة في هذه الايام ، وانهم ليملاون بصياحهم المسارح العامة (هكذا يسمونها) حتى أصبح كثير من حملة السيوف يخشون حملة ريش الاوز ولا يجرؤون أن يذهبوا اليها !



مسرح يموت ومسرح يولد

ثمة ارهاصات اذن بمسرح جديد ‥ مسرح يموت ومسرح يولد ۰ تماما كما يحدث في الابنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية عامة ‥ وقد نتوقع أن يقف شكسبير مع المسرح القديم بحكم تعاطفه مع ممثلي فرقة « تراجيديا المدينة » الذي لاشك فيه ‥ الا ان العبقرية تأبى الا أن تساير التطور بل وان تتجاوزه الى المدى البعيد لتحذر من النتائج المحتملة وهي تدافع عمن يسمون بالاطفال من جانب « روزنكراتز » وأمثاله ‥ وعما يسمى بالبدع لدى النظر القصير ۰

هـــاملت :

ـ ماذا ؟ أهم أطفال ؟ ومن يدير شئونهم ؟ ومن ينفق عليهم ؟ وهـل يواصلون المهنة بعد ان يصـبحوا عاجزين عن الغناء ؟ واذا غدوا هم أنفسهم ممثلين كبارا وهو المرجح اذا لم يجدوا وسيلة للعيش خـيرا من هذه ‥ الن يشكوا من ظـلم الكتـاب حين يضطرونهم الان الى التنكر لمستقبلهم ؟‥

لا ‥ انها اذن حركة مسرحية جديدة وحقيقية وليست لعبة اطفال ولا بدعة ۰ انهم شبان صـغار يناضلون وسط ظروف قاسية لخلق مسرح جديد ‥ وقد حققوا فعلا بعض المكاسب الفنية والجماهيرية معتمدين على امكانياتهم المادية المتواضعة ‥ ولكن شكسبير يحذرهم من أن يتكرر معهم مصير فرقـــة « تراجيديا المدينة » ‥ ويحذرهم حين يصـبحون كبارا من أن يقفوا من الحركات الجديدة التالية لهم نفس موقف كبار اليوم منهم ۰ هذه وقفة اخلاقيـــة نبيلة من جانب شكسبير ازاء المسرح في عهـــده ، تضاف اليها وقفة اخرى لا تقل عنها دلالة عـــلى الحاجة الى اخلاقية جديدة للمسرح وذلك في الحوار التالي :

روزنكـــراتز :

ـ لقد جرت احداث كثيرة بـين الجانبين لم يتورع الناس أنفسـهم عن حفزهما الى مزيد من الخصام ‥ واتى حين كانت المسرحية تقدم من يدفع ثمنها مالم ينته الشـاعر والممثل فيها الى الضرب والسب ۰

هـــاملت :

ـ أيمكن هذا ؟

جيلونسترن :

ـ اجل ‥ فما اكثر ما تضاربت الاراء ۰

سجل شكسبير هنا أصداء المعارك الساخنة بـين رجل المسرح (الممثل) ۰ كان هو في نفس الوقت النجم والمخرج وصاحب المسرح ومديره من ناحية وبـين رجل الدراما (المؤلف) وكان قد بدأ يطرد من المسرح ‥ والواقع انها ليست محض وقفة اخلاقية بقـــدر ما هي وقفة مؤرخ يعرف جيدا ما يجرى حوله ، وهي وقفة تسجل تسليم أو انتقال زمام المسرح الى الممثل الاول وسحبه من المؤلف ‥ أي الانتقال من عصـــر مسرح المؤلف الى عصر مسرح الممثل ‥ وهنا نحس بأن شكسبير نفسه بدأ يتعرض كمؤلف لضغط العملية التاريخية الجارية أمام عينيه ‥ ومع ذلك تقـــف العبقرية الى جانب الجـــديد القادم وان استشعرت الاسى الفردي للقديم الراحل ‥ انظر قلق شكسبير على مصير الجديد في المسرح وذلك في لهفة هـاملت التـالية :

التليفزيون ‥ والازواج !

● اكد الدكتور ليد الالماني الشـــهير المتخصص في الامراض الباطنية والعلاج النفسي ان الازواج والزوجات يجب عليهم الراحة لمدة ثلاثة ايام على الاقل اسـبوعيا من البرامج التليفزيونية بكل انواعها ، وأن يعتـــبر الزوجان ان الجهاز غير موجود في حياتهم في هذه الايام التي يمكن أن تتغير من اسبوع الى اسبوع ‥ وذلك بعد ان اثبتت الدراسات العلمية ان الاستغراق في متـــابعة البرامج وتأثر الزوجين بأبطال المســرحيات والافلام والاحداث يفرغ الطاقة النفسية لكل منهما ويبتعـــدان فكريا عن بعضهما مما يؤثر على الحياة الزوجيـــــة تاثيرات ضارة ‥

هـــاملت :
ـ وهل يحمل الصغار قصب الفـوز ؟

روزنكـــراتز :
ـ اجل يا سيدي ويحملون هرقل وما حمل ايضا ·

هـــاملت :
ـ ليس هذا بغريب فان عمي ملك الدانيمارك وهؤلاء الذين كانوا يهزاون به في حياة ابي يدفعـــون الان عشرين او اربعين او خمسين او مائة دوقات ثمنا لصورة صغيرة من صوره · ان في هذا والله لشيئا يتجاوز طبيعة الاشياء ، لو أن الفكر يستطيع أن يكشف عنه ·

فرقة تراجيديا المدينـــة

اذن لقد ولد المسرح البرجوازي ـ المسارح العامة التي اشار اليها شكسبير منذ قليل ـ ولد المســرح التجاري وهو يختلف في الكثير عما نقصده اليــوم بالمسرح التجاري ·· ولكن هذا موضوع بحث اخر ·

بعد هذا التمهيد تدخل فرقة الممثلين ـ فرقـــة « تراجيديا المدينة » ـ التي أصبحت واحدة من الكثير من الفرق الجوالة التي تذرع البلاد طولا وعرضا بحثا عن لقمة العيش وعن مشاهدين ·· ويرحب هاملت باعضاء الفرقة ترحيبا شديدا يتعمد المبالغة فيه ويلفت النظر اليه بقصد الاشارة الى أن الممثلين لـــم يكونوا يلاقون بالترحيب والاحترام الواجبين ازاء الفـــن والفنانين في كل مكان وخصوصا لدى العـــلية مـن القوم ·· في قصور الملوك والامراء والاغنياء ·

هـــاملت :
ـ أيها السيدان مرحبــا بكمـا في السيفور هيـــا فلنتصافح بالايدي كما تقتضي تقاليد العصـر ومراسيم الحفاوة ·· فلارحب بكما على هذا النحو حتى لا تبـــدو حفاوتي بالممثلين وهي حفاوة لابـد ان اظهرها لهم اكثر من حفـــاوتي بكمـــا ·

لحظات ويضع امامنا شكسبير صورة ســـاخرة درامية للتاليف المسرحي في عصره ·· فيقدم ملامــح العروض المسرحية التي كانت تقدم في عهده :



بولونيوس :
ـ انهم خيرة الممثلين في العالم سواء في المأساة أم الملهاة ، أم المسرحية التاريخية ، أم الريفية ، أم الدينية الهزلية ، أم التاريخية الدينية ، أم المأساوية التاريخية ، أم المأســاوية الهزلية الدينية التاريخية ، ما روعي فيه وحدة المكان وما انطلق فيــه الشاعر بلا قيد ·· ولن تجـــد سينيكا لديهم أثقل مما يحتمـل الناس ولا بلوتس اخف مما ينبغي ، انهم وحدهم من يصلح للتقـــليدي والحر ·

مته هي الصورة ·· خليط غريب متداخل من الانواع والالوان والاصباغ المسرحية لا يحكمه منطق ·· وركام هائل من المسرحيات دون أن يكون هناك مسرح حقيقي ·· ركام يسخر منه شكسبير ويأسى له في نفس الوقت فيما هو يسخر من اولئك الذين يستندن في تبريرهم لهذا الخلط الى مبادىء ارسطو أو ما يزعم أنه مبـــادىء ارسطو في الدراما ومنها الوحدات الثلاث ، وقــــد اشار هنا شكسبير الى وحدة المكان ·· ثم تمتـــد السخرية مرة ثانية الى المعارك الدائرة بين التقيـــد بالوحدات الثلاث لارسطو وبين التحرر منها ، ثم الى المعارك الدائرة حول الشعر المقيد والشعر المرسل ·· ثم يتجه الى الممثل الاول ·

هـــاملت :
ـ هيا ·· دعونا نتذوق شيئا من فنكم ·· هيا ·· قطعـة مليئة بالانفعال ·

الممثل الاول :
ـ اية قطعة يا سيدي اللورد ؟

هـــاملت :
ـ لقد القيت امامي قطعة ذات



مرة ٠٠ لكنها لم تمثل قط ٠٠ او مثلت مرة واحدة ، فما زلت اذكر أن المسرحية لم تعجب الجماهير اذ كانت فوق مستوى العامة ، ولكنها كانت عندي وعند من يتفوق ادراكهم في هذه الامور عملا ممتازا ٠٠ حسنة التنسيق من المشاهد ، قد اجتمع فيها القصد والبراعة معا ٠٠ اذكر أن بعضهم قال عنها ان أبياتها خالية من التوابل التي تجيء لتجعل المعنى سائغا ٠٠ ومن المعاني التي تقضي باتهام المؤلف بالتكلف ٠٠ ثم قال انها ذات منهج شريف يجمع الى الامانة العذوبة وحسن السمت دون تعقيد او تنميق٠

طبيعة الانفعال ونوعيته

ماذا يقصد شكسبير بقوله للممثل الاول (قطعة مليئة بالانفعال) انه هنا يمارس من خلال هاملت عملية الاخراج وسنعرف بعد قليل طبيعة الانفعال ونوعيته وطريقته التي يقصدها شكسبير المخرج ٠٠ ثم ها هو يلعب من خلال هاملت دور الناقد الثاقب النظر ازاء التأليف في عهده ٠٠ مرة حين تحدث عن الخليط الغريب من النوعيات ذلك الذي رأيناه منذ قليل ٠٠ ومرة وهو يتحدث هنا عن قطعة أعجبت هاملت من « فرجيل » ٠ لم يكن الجمهور مستعدا لتقبل « فرجيل » ولم يكن الذوق العام بالدرجة اللائقة من التطور بحيث يقبل اشعار فرجيل ٠٠ ليس معنى هذا أن شكسبير ينادى بمسرح الصفوة المختارة المثقفة انما هو يسجل ظاهرة تاريخية ٠٠ المسرح يطور الذوق العام ليعود الذوق العام بدوره فيطور المسرح الى أن يتم التوازي المطلوب ٠٠ ثم يشرع شكسبير من خلال هاملت ايضا فيلعب دور الممثل بأن يلقى هو بنفسه مقطوعة فرجيل ويعلق بولونيوس الخبير فيقول :

بولونيوس :

ـ بالله ما اجمل القائك يا سيدي اللورد ٠٠ نبرة جيدة ونطق سليم ٠

ترى كيف القاها هاملت ! أو كيف يريد لها شكسبير أن تلقى ! اذا عرفنا هذا أو ضمناه امكننا ان نعرف اعتراضات شكسبير على طرائق التمثيل في عصره والطريقة التي ينشدها في التمثيل المسرحي ٠٠ فلنتذكر مرة ثانية قوله للممثل الاول (قطعة مليئة بالانفعال) ونحن نتلمس امال شكسبير في الاداء التمثيلي ٠ يشرع الممثل الاول في القاء المقطوعة المشار اليها وما يكاد ينتهي حتى يعاجله بولونيوس معنفا ومعترضا ٠

بولونيوس :

ـ هذا اطول مما ينبغي ٠

فيرد هاملت على الفور منتصفا للممثل من بولونيوس فاضحا ذوقه الفني :

هاملت :

ـ اذن سنرسلها مع لحيتك الى الحلاق ٠٠ اكمل ارجوك ٠٠ انه يريد رقصة خليعة أو قصة داعرة والا غلبه النوم ٠

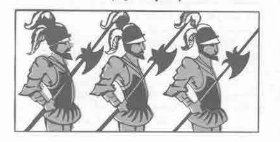
وهو هنا يشير الى ما يتطلبه الجمهور في عصره من المسرح والمسرحيين وينحو باللائمة والسخرية على الذوق العام ممثلا في ذوق بولونيوس ذلك الذي لا يريد بديلا للرقص الخليع أو للقصص الداعرة ٠٠ فكيف يستسيغ مقطوعة من فرجيل ! انها غربة شكسبير في عصره وحصاره كمؤلف وضيقه بالمسرح التجاري حتى الاختناق ٠ ولكن انظروا الى موقف شكسبير من الفن والفنانين ومن الممثلين خاصة حين يتجه الى بولونيوس قائلا :

هاملت :

ـ وانت يا سيدي الكريم ارجو ان تهيىء للممثلين مقاما طيبا ٠٠ اتسمع ؟ لكي تكرم وفادتهم ٠٠ انهم خلاصة تاريخ العصر ٠٠ وخير لك ان يكتب على قبرك شاهد سوء بعد وفاتك من أن ينالوك في حياتك بسيء المقول ٠

بولونيوس :

ـ سيدي اللورد ٠٠ ساعاملهم بحسب أقدارهم ٠



هـــامـلت :
ـ بل افضل بكثير يا رجل بالله عليك ·· فلو عاملت كل انسان حسب قدره فلن يفلت من الجلد احد ·· عاملهم بحسب كرمك وقدرك ·· فكلما قل ما يستحقون زاد حقهم في عطائك ·· امض بهم الى الداخل ··

الايهـام المسرحي

أرجو أن يقف القارىء طويلا عند قول شكسبير (انهم خلاصة تاريخ العصر) هنا نظرة مؤرخ نفاذ البصيرة الى المسرح ·· نظرة انسان يعرف جيدا قيمة المسرح في حياة الشعوب ومركز المسرح بين جميع الفنون ومركز الممثلين من بين الفنانين جميعا · ثم يتفق هاملت مع الممثل الاول على ان تمثل الفرقة مسرحية ما اختارها هو ودس فيها اثنى عشر بيتا او يزيد قليلا من تاليفه هو كمصيدة للعم الملك قاتل ابي هاملت ·· ولا تعنينا هنا قصة العم القاتل والاب القتيل لاننا معنيون بهاملت ومن خلاله شكسبير كمؤلف ومخرج وممثل في وقت واحد في هذا الجزء من المسرحية الكبيرة ·· ففي مونولوج لهاملت بعد انصراف الممثلين نرى شكسبير يضع يده بذكاء على ما يسمى في المصطلح بالايهام المسرحي ·

هـــامـلت :
ـ أليس بشعا ان يستطيع هذا الممثل هنا لمجرد قصة وانفعال خيال ان يخضع روحه لخياله ·· فاذا هو يكسو وجهه بالشحوب ويملاعينيه بالدموع ، ويطبع على وجهه الجنون ، ويتهدج صوته ·· وتتسق أفعاله وحركاته مع ذلك الخيال ! كل هذا من أجل لا شيء ·· من أجل هيكوبا ! ماذا تعنى له هيكوبا ؟ وماذا يعنى هو لها حتى يبكي من أجلها ؟··

انه درس في التمثيل ·· في فن التقمص ·· وايحاء بالايهام المسرحي ! ··

ولكن شكسبير لا ينسى مدى فاعلية هذا الايهام في النفس البشرية ·· ان المسرح في المبدأ والمنتهى يكشف عن أعماق هذه النفس ويعرى دخائلها ·· ويستطيع الايهام المسرحي ان يدفع الانسان الى الفعل الشعوري واللاشعوري في وقت واحد ·· ذلك هو سحر المسرح أو لغزه ·

هـــامـلت :
ـ سمعت ان المجرمين وهم مشاهدون بعض المسرحيات يتأثرون بما فيها من فن تأثرا يصيبهم في الصميم فيعترفون بما اقترفوا على الفور ·· وجريمة القتل وان اعوزها اللسان لابد يوما ان تنطق بابلغ صوت ·· ساطلب الى هؤلاء الممثلين ان يمثلوا امام عمي شيئا شبيها بمصرع ابي ·· وساراقب وجهه ·· سأسبر غور جرحه ·· فان بدا عليه الفزع عرفت طريقي ·· المسرحية هي التي ستكشف عن ضمير الملك ·

الاداء الامثـل

في مشهد اخر يبدأ شكسبير فيمارس عملية تدريب الممثل الاول على التمثيل من خلال هاملت لكي يصل الى الاداء الامثل ·· الذي يستكشف به ضمير الملك او الذي يمكن ان يضع حدا لشكوكه ·· وهنا نرى شكسبير مؤلفا وممثلا ومخرجا واستاذا للتمثيل بدرجة تستحق الدهشة والاعجاب ·

هـــامـلت :
ـ (الى الممثل الاول) الـق القطعة أرجوك كما بينت لك ·

ترى كيف بينها هاملت للممثل الاول وباية طريقة ؟ هذا ما يترك لنا شكسبير تخمينه وهو يضع امامنا اشارات على الطريق لتسهيل مهمة التخمين ·

هـــامـلت :
ـ القاءا خفيفا من طرف لسانك ·· اما اذا نطقت بها كما ينطق كثير من ممثلينا فخير لي أن ادع منادى المدينة يلقى ابياتي ·

هنا يشير شكسبير الى الطابع الخطابي والغنائي المبالغ فيه في طريقة التمثيل على عهده ··

هـــامـلت :
وكذلك لا ينبغي ان تشق الهواء بيديك هكذا اكثر مما يجب ·· بل قل كل شيء في هدوء ·· فان عليك وانت في خضم انفعالك العاصف كالزوبعة ان صح هذا التعبير ·· ان تبلغ حدا من الاعتدال يضفي عليه شيئا من الرقة ·



التمثيل اذن ليس مجرد صراخ .. وحتى الصراخ في التمثيل ليس صراخا وانما هو صراخ تمثيلي .. ان الممثل يجب أن يوهمك انه يصرخ فيما هو يتجنب الصراخ الفعلي حتى ولو كان في خضم انفعاله العاصف كالزوبعة .. وهذا هو الايهام المسرحي والايهام يقضي الاعتدال .. الوسط العدل الذي ينشده شكسبير .. لا افراط ولا تفريط .. لذلك يتجه شكسبير باللوم والنقد للتمثيل في عصره .. فنعلم بمفهوم المخالفة ان المبالغة كانت قاعدة القواعد في المسرح .

هاملت :

ـ اوه .. لكم يسوؤني في الصميم أن اصغي الى ممثل صخاب ذى شعر مستعار يمزق العواطف الى فرق .. بل الى مجرد خرق .. ويشق آذان الصفوف الخلفية .. ممن لا يستطيع اغليهم ان يفهموا غير التمثيل الصامت او الضجة الصاخبة .. بودى لو امر بجلد مثل هذا المرعد جلدا ..

الممثل :

ـ اعدك بهذا يا سيدي

هاملت :

ـ ولا تكن ايضا أهدأ مما ينبغي .. بل اتبع ما تهديك اليه فطنتك .. وائم بين الحركة والكلمة .. والكلمة والحركة .. فاذا راعيت هذا لم تتجاوز اعتدال الحياة .. فان كل مبالغة في الاداء تتجاوز الغاية من التمثيل .

هذا بيان في فن التمثيل متقدم ومتطور وسابق الى ابعد الحدود .. هنا شكسبير الواقعي الذي ينادى بالاداء الطبيعي الذي لا مبالغة فيه .. من افراط او تفريط كما قلت .. متبعا دليل الفطنة واعتدال الحياة .. مدركا أن الفن يعكس الحياة في المرآة ويعكس العصر ضجرا في نفس الوقت .. بالذوق العام للجمهور .. شاعرا بالوحدة والغربة والحصار .

هاملت :

ـ اوه .. كم من ممثلين رايتهم يمثلون .. وسمعت من يثني عليهم ثناءا بالغا .. وهم ان اردنا الا نسف في الحديث .. ليس لهم نبرة المسيحيين ولا سمت المسيحيين .. وثنيون ! لم ار احدا يتخطر ويصرخ مثلهم .. حتى لقد ظننت انهم من عمل صناع مبتدئين لم يحسنوا صنعهم .

الممثل :

ـ اظننا نحن قد اصلحنا هذه الاخطاء الى حد ما يا سيدي .

هاملت :

ـ لا بل اصلحوها ! اصلاحا كاملا .

الم اقل لكان شكسبير يتحدث عن مسرحنا نحن المعاصر .. لا عن المسرح في عهده .. ترى لو عاد شكسبير ورأى وسمع ممثلينا في المسرح والاذاعة والتليفزيون .. اكان يغير كلماته في كثير او قليل ؟.. اشك في ذلك .. ما أوجب أن يدرس هذا الجزء من مسرحية هاملت في معاهدنا واكاديمياتنا الفنية .. لعل وعسى .. وما أوجب أن يقرأه فنانونا المحترفون في الفرق الرسمية والفرق التجارية على السواء .. ولكن لنعد الى هاملت أو الى شكسبير في وقفة اخلاقية رائعة وهو يوصي الممثل الاول بقوله :

هاملت :

ـ ولا تدعوا من يقومون عندكم بدور المهرجين يزيدوا شيئا على دورهم المكتوب .. فان منهم من يضحكون هم انفسهم ليثيروا ضحك طائفة من الشاهدين التافهين .. في حين أن بهذا الموضع من المسرحية قضية ما هامة ينبغي الالتفات اليها .. انه لسلوك خبيث ينبىء عن طموح وضيع لدى من يسلكه من الحمقى .. هيا اذهبوا واستعدوا .

وأخيرا .. هذا الجزء

هكذا .. وفي صفحات معدودات قدم شكسبير صورة وثائقية للمسرح في عصره .. ووضع يده على كل العيوب والاخطاء والجراح في محاولات التأليف والتمثيل والاخراج .. ومما يؤسف له أن هذا الجزء من مسرحية هاملت كثيرا ما يحذف أو يختصر في العروض المسرحية ببلداننا وببلدان أوروبا الشرقية والغربية على السواء ولا انسى في النهاية أن الفت النظر مرة ثانية الى اتجاه شكسبير المبكر والسباق الى الواقعية وانتصاره لها ومعاداته لكل ما يعاديها .. ومن هنا اهمية هذه الوثيقة الشيكسبيرية في مجال التاريخ للفن المسرحي وللفن الشيكسبيري .. ثم في المجال التطبيقي والتدريبي والتربوي والاخلاقي بوجه عام ...

« روبرت ريد فورد » و « داستين هوفمان » .. والبحث عن اعضاء لجنة اعادة انتخاب نيكسون .



اكبر فضيحة سياسية في عصرنا الحديث ، والتي ادت الى استقالة رئيس جمهورية اقوى دولة في العالم ٠٠ تحولت الى فيلم سينمائي تكلف ثمانية ملايين دولار ، ويجوب العالم الان ومنذ ستة شهور ، ويحقق ايرادات خيالية ٠٠ ولكنه في نفس الوقت يثير تساؤلا هاما ، عن مدى أهمية هذا الفيلم بعيدا عن مجرد تسجيل المراحل التي انتهت بالكشف عن اسرار الفضيحة الكبرى ٠



إنها سينما الخبر

.. وليست

سينما التحليل

الإعجاب

بالمغامرة الصحفية

وراء اشتباح الشيطان

ولكن..

ماذا أراد الفيلم

أن يقول .. وكيف ؟

الفيلم هو : « كل رجال الرئيس » ٠

والرئيس هو : ريتشارد نيكسون » ٠٠

والفضيحة ـ كما هو معروف ـ هي فضيحة ووترجيت التي تكشفت كل خيوطها في التجسس على مكاتب الحزب الديمقراطي المعارض ، اثناء اعادة انتخاب الرئيس نيكسون ، رئيسا للولايات المتحدة ٠٠ والرشاوي التي دفعت في مقابل التجسس ٠٠

والتهمة تشمل كل رجال الرئيس الذين وقفوا معه وساعدوه في التجسس واعادة الانتخابات ٠

والقضية خطيرة ٠٠ بل تكاد تكون أخطر قضية تكشف عن الجانب اللاأخلاقي في انتخابات الرئاسة الامريكية ٠٠ وتدين القضية كل الأساليب القذرة للوصول الى الى مقعد الرئاسة ٠

ولكن يجيء الفيلم الامريكي (كل رجال الرئيس) ليكتفي بمجرد عرض الخبر ٠٠ وتسجيل الخطوات التي قام بها اثنان من الصحفيين الشبان في جريدة « واشنطن بوست » والتي حملت مهمة الاستمرار ومتابعة الكشف عن كل خيوط الفضيحة السياسية ٠

والفيلم ٠٠ رغم القضية السياسية التي يتعرض لها ٠٠ الا انه لا يقول رأيا ٠٠ ولا يحمل اية وجهة نظر ٠٠ لا يدين ٠٠ ولا يتهم ٠٠ ولا يعري المجتمع السياسي والاعيبه التي ادت الى هذه الفضيحة (!!) ٠٠ رغم ان كل الطرق مفتوحة ٠٠ وحجم القضية يتيح كل الفرص للقيام بهذا الدور ٠٠ الا ان الفيلم اثر أن يكون مجرد وسيلة عرض بالصوت والصورة للخبر المعروف !!

السينما السلبية

وهو اتجاه سينمائي يمكن تسميته بالسينما السلبية ٠٠ التي تشبه موقف المتفرج السلبي الذي لا يشارك



وسينما الخبر

رءوف توفيق



بالرأي سواء مع أو ضد .. ويؤثر السلامة ، ويريح عقله من التفكير والاستنتاج واتخاذ جانب معين في القضية المطروحة أمامه .

انها سينما « الخبر » .. وليست سينما « التحليل » .

وهذه السينما غالبا لا تعيش لانها سينما موقوتة بطزاجة الخبر وسخونته .. ولكن عندما تمر الايام والسنوات .. ويصبح الخبر قديما ومعروفا وباردا .. حينئذ تفقد هذه السينما مبرر وجودها .

فالسينما التي تعيش .. هي السينما التي تتخذ موقفا محددا من قضايا الانسان والحياة .. تنتصر لرأي ضد اخر .. ولقيمة ضد اخرى ..

كل رجال الرئيس

وقد اعتمد فيلم « كل رجال الرئيس » على كتاب بنفس العنوان لاثنين من الصحفيين الشبان « بوب وود وارد » و « كارل بيرنستاين » .. والاثنان يعملان في جريدة « واشنطن بوست » .. وقد استرعى انتباه الصحفي الشاب « بوب وود وارد » حادث السطو على مبنى « ووترجيت » بواشنطن يوم ١٧ يونيو ٧٢ .. حين تسلل خمسة رجال مسلحين الى داخل المبنى متجهين الى الدور السادس حيث مكاتب مقر الحزب الديموقراطي الامريكي ، ليقوموا بتصوير بعض مستندات الحزب ..

الصحفيان الحقيقان اللذان كشفا اسرار الفضيحة وبجوارهما الممثلان داستين هوفمان (اقصى اليمين) وروبرت فورد (الثالث من اليمين) .. ويلاحظ الشبه الشديد بينهم .



واكتشف حارس المبنى « فرانك ويلز » هذا السطو فابلغ الشرطة التابعة للمبنى وتم القبض فورا على المقتحمين الخمسة .

وبدأ الصحفي « بوب » مغامرته في تتبع حادث السطو واكتشف منذ البداية غموض المسألة من خلال حديثه مع محامي المتهمين ، فتحمس اكثر « للمغامرة الصحفية » !!..

وقد كان واضحا .. أن هذا الصحفي الشاب لا علاقة له بالسياسة .. وانما هو مجرد صحفي ناشيء ، لم يلتحق رسميا بالجريدة .. وكل خبرته الصحفية لا تتجاوز تسعة أشهر أتم خلالها بعض التحقيقات الصحفية السريعة عن بعض المطاعم الامريكية التي لا تطبق الشروط الصحية !..

وعندما بدأ هذا الصحفي الناشيء يقدم معلوماته عن حادث السطو لرئيس تحرير جريدة « واشنطن بوست » .. كانت اللامبالاة وعدم الاهتمام .. وربما عدم الثقة هي رد الفعل المباشر لرئيس التحرير ، ومدير التحرير ، وباقي مجلس التحرير ..

ولكن الصحفي « بوب » اعجبته المغامرة وما وراء الحادث من غموض .. فبدأ يسعى ـ باصرار شديد ـ وراء الخيوط المتاحة له .

حتى وافق رئيس التحرير على ان يشرك معه زميل صحفي اخر ، شاب ايضا وان كانت له خبرة أطول في العمل الصحفي .. لكي يتابعا معا الحادث .

هذا الصحفي الثاني هو « كارل بيرنستاين » ..

ونجح الصحفيان في « مغامرتهما » .. حتى تكشفت كل الاسرار الرهيبة .. وأعلن الرئيس الامريكي « نيكسون » استقالته في ٩ اغسطس ٧٤ .

وقد اصدر هذان الصحفيان كتابا يسجل مغامرتهما وما نشرته جريدة « واشنطن بوست » من تحقيقاتهما الصحفية . وحقق الكتاب نجاحا باهرا اذ وزع اكثر من مليوني وربع مليون نسخة حتى نهاية عام ٧٥ .. وقد تم ترجمة الكتاب الى ست لغات عالمية !..

قبل ظهور الكتاب

واعجب الممثل الامريكي « روبرت ريد فورد » بدور الصحفي الشاب « بوب وود وارد » .. وقرر انتاج فيلم ليلعب هو دور هذا الصحفي الشاب الذي كانت الاخبار الصحفية قد بدأت تتوالى عن اعداده لكتاب يسجل مغامرته الصحفية مع زميله للكشف عن اسرار فضيحة

صالة تحرير جريدة واشنطن بوست التي اعيد تصميمها داخل الاستوديوهات لتغطي الصورة الحقيقية عن النظام في الجريدة



ووترجيت ... واشترى منه حق اعداد الكتاب للسينما .

وبدأ تصوير الفيلم في ١٢ مايو ٧٤ .. قبل ظهور الكتاب .. وقبل اعلان نيكسون استقالته التي تمت بعد ذلك بشهرين في ٩ اغسطس !!

وصرح الممثل « روبرت ريد فورد » بمدى اعجابه بدور الصحفي الشاب والذي جعله ينتج الفيلم ليمثل هذه الشخصية .. فقال :

« لم يحدث في التاريخ ان قام صحفيان باسقاط اكبر شخص في الدولة ، كما حدث في هذه القضية .. وهذا ما أردت التعبير عنه في الفيلم » !..

اذن الاعجاب كله بالمغامرة الصحفية .. وليس بأبعاد القضية ككل من الناحية السياسية !!!

ولهذا جاء الفيلم معبرا تماما عن الجهد الصحفي .. فقط لاغير .. دون التعرض للفضيحة السياسية والاخلاقية في الموضوع .

واختار الممثل المنتج « روبرت ريد فورد » .. زميله الممثل العبقري « داستين هوفمان » ليقوم بدور الشريك الصحفي الذي ساهم معه في كشف خيوط القضية .

وتكلف الفيلم ثمانية ملايين دولار .. بينما كانت الميزانية المقترحة في البداية لا تتجاوز مليوني دولار فقط .. وسبب زيادة الميزانية هو زيادة أيام التصوير واضطرارهم الى اعادة بناء ديكور صالة العمل الرئيسية في جريدة واشنطن بوست (حتى لا تتعطل اعمال الجريدة بالتصوير في الموقع الحقيقي) ، وتكلف بناء هذا الديكور الضخم ما يقرب من مليوني دولار .. وقد راعى الديكور أن يكون مطابقا تماما لمكاتب العمل في الجريدة .. حتى ان أساليب الدعاية الامريكية

« روبرت فورد » ·· و « داستين هوفمان » في احد المطاعم الصغيرة بواشنطن يحاولان الخروج من مأزق عندما رفضت احد الشخصيات السياسية المشتركة في القضية التحدث لهما ·



للفيلم روجت اخبارا عديدة منها ان سلال المهملات في ديكور الجريدة تطابقت تماما مع سلال المهملات في صالة التحرير الحقيقية بالجريدة بما فيها من أوراق وبروفات ومذكرات مبدئية !!

واستعان مخرج الفيلم « آلان باكولا » ببعض الشخصيات الحقيقية في الحادث ·· على سبيل المثال حارس مبنى ووترجيت « فرانك ويلز » الذي اكتشف اقتحام الرجال الخمسة الى مقر الحزب الديموقراطي ·· واختار المخرج ايضا ممثلين يشبهون تماما رئيس التحرير ومدير تحرير جريدة « واشنطن بوست » ·· وبعض اعضاء لجنة اعادة انتخاب الرئيس نيكسون ·

واختار المخرج ان تكون الازياء ملائمة لزمن وقوع الحدث ·· وكما كانت في الواقع ·

وهذه الدقة في التنفيذ ·· لا تغني ابدا عن السؤال المطروح :

ماذا يقول الفيلم ·· وأي وجهة نظر يتبناها ؟!

بعض مفاتيح القضية

يبدأ الفيلم بشرائط وثائقية تعرض من خلال شاشة التليفزيون عن استقبال نيكسون من عودته من رحلة الوفاق في الاتحاد السوفيتي في يونيو ٧٢ ·· ثم تبدأ عملية السطو على مقر الحزب الديموقراطي ·· وتتوالى الاحداث ·· ومغامرة الصحفيين ومن ورائهم رئيس تحرير جريدة واشنطن بوست الذي يتلقى التهديد اكثر من مرة ولكنه يصمم على نشر المعلومات التي يتوصل اليها الصحفيان ·· ونفاجأ بشخصية خرافية (كأفلام المغامرات السخيفة) وهي شخصية « الحلق العميق » الذي يختفي في ظلام المركز التجاري بواشنطن ويبوح بين الصحفيان على جهدهما الخاص من خلال الاتصالات التليفونية واللقاءات الشخصية للكشف عن اسرار اخطر قضية سياسية في القرن العشرين !··

ويتخلل الفيلم مشاهد من التليفزيون والرئيس نيكسون يحلف اليمين بعد اعادة انتخابه رئيسا للولايات المتحدة ·

الصحفيان يجلسان على ارضية منزل احدهما ·· يفترشان كل الاوراق ومذكراتهما التي كتبا فيها المعلومات المتفرقة ·· ويحاولان الربط بينهما للوصول الى اسرار فضيحة ووترجيت



ولكن الغريب تماما ان ينتهي الفيلم بآلات كاتبة تدق حروفها لتحكي بقية ما حدث من محاكمات لاعضاء لجنة اعادة انتخاب نيكسون ·· وسقوط نيكسون ·· دون ان نرى على الشاشة المشهد الرئيسي وهو ذروة القضية ·· مشهد استقالة نيكسون وخطابه الشهير الذي القاه وهو يعترف بما حدث في قضية ووترجيت ·· دون أن نرى اي رد فعل بين الشعب الامريكي لما حدث !! ·· أو ما تناقلته وكالات الانباء العالمية والرئيس نيكسون يرحل من ساحة السياسة الامريكية ·

وربما كانت هذه هي قمة الدراما لهذه المأساة السياسية ··

ولكن الفيلم ينتهي بدقة الالة الكاتبة ·· وقد يذكرك هذا المشهد ، بالمشهد العظيم في فيلم « زد » ·· ولكن شتان بين المشهدين ·· وشتان بين الفيلمين !!··

الفيلم لا يدين أحدا

ففيلم « كل رجال الرئيس » لا يتهم احدا ·· ولا يكشف عن اسرار الحياة السياسية الامريكية ·· ويكتفي فقط بجملة حوار واحدة ممكن أن تكون في أي فيلم اخر ·· عندما يحاول الصحفيان الوصول الى أحد اعضاء الكونجرس ·· فينتقلان عبر الاحياء الراقية في واشنطن ·· وتأتي الجملة الوحيدة اليتيمة :

« من يصدق ؟·· وراء هذه الشوارع الانيقة ·· والبيوت الصغيرة الانيقة ·· يحدث هذا ؟!·· » ·

وتكاد تكون هذه الجملة هي الجملة الوحيدة التي تقول رأيا ·· أما باقي الفيلم فهو لا يعدو أن يكون نموذجا جيد الصنع لفيلم بوليسي ·· قد يكون موضوعه البحث وراء سرقة بنك ·· أو الهجوم على قطار يحمل شحنة ذهب ·· الخ ·· ·

وحتى في حدود الفيلم البوليسي ·· فهو يدين اللصوص !··

اما في هذا الفيلم المتعلق بأخطر قضية سياسية ·· فهو لا يدين أحدا ·· سوى ما رددته الاخبار الصحفية في ذلك الوقت ··

والتاريخ لا يحكيه أبدا هواة المغامرات التجارية !!

اعداد : ابتسام الحديدى

موضة هذا الشتاء - هل تغيرت ؟



الموضة •• تلك الكلمة الساحرة التى تنتظرها نساء العالم بلهفة فى كل فصل من فصول السنة •• هل صحيح انها متغيرة ؟

الحقيقة المعروفة فى عالم الازياء ، ان الموضه محدودة ، وان الفساتين والجونلات والمعاطف مهما طالت او قصرت او اتسع ذيلها او ضاق •• فالموضة واحدة ، والجديد ياخذ بعض خطوطه وتصميماته من القديم ، ولكن باضافة الوان جديدة جذابة ، او بتجديد فى خامة القماش نتيجة للتطور الهائل فى التكنولوجيا •• لتصبح الازياء والموضة « على آخر صيحة » كما يتردد دائما •

والظاهرة المميزة لموضة هذا الشتاء هى عودة الخطوط السابقة •• فموضة « التونيك » عادت بكثرة فى عروض الازياء لتشد اعجاب ونظرات النساء وأطوال الفساتين والجونلات تارجحت بين « الشانيل » « والميدى » ، والجونلة الضيقة عادت للظهور ، والخصر فى الفساتين يحدد فى مكانه ومعه الحزام دائما •• والتايورات الكلاسيكية عادت مرة أخرى وبشكل جميل واقمشة جديدة ، واضيفت الحليات كالريش والفراء الى ملابس السهرة لتظهرها بالفخامة والابهه ، واستخدمت ايضا «الشيلان» الكبيرة التى كانت تستخدمها جداتنا مع اضافة الريش والفراء اليها •

الاقمشة الكاروهات « المربعات » بكل احجامها عادت لتظهر مرة ثانية ولكن بشكل مختلف • فالجديد هو الجمع بين درجات المربعات كلها وموزعة فى قماش واحد وعملية مزج الالوان الغريبة المتنافرة مع بعضها كانت هى الاخرى آخر موضه مثل اللون الاحمر مع البنى والبنفسجى مع الاخضر والاصفر •

ومن ملامح الموضه ايضا الايشارب الطويل الذى يكون عادة من نفس قماش الفستان او التايور ، وظهرت بكثرة البريهات والتريبون الذى يغطى الراس كلها •



الجمـــــال وتغـيـــر لـــون البشــرة



اصبحت مشكلة التغير الذى يحدث للـــون البشرة ذات اهمية كبرى ، ولذلك اهتم الاطباء وخبراء التجميل معا فى هذه المشكلة التى تسبب الحرج للبعض ، ولانها ظاهرة غير مقبـولة ومضادة للجمال •

فالبرغم من وجود بعض مستحضرات التجميل التى توضع فوق المكان المشوه من الجلد الا انها ليست سهلة طبيا وليس لها تاثيرها العميق •• فهى تعمل على تغطية الجلد لمدة زمنية معينة ، وربما يكون لها اضرار على انسجة الجلد •

ويرجع التغيير الاساسى فى لون الجلد الى عاملين هما :

● المادة الملونة وهو عبارة عن (مادة الميلانين او الفيتامين)

● الدورة الدموية •

وأى خلل فى هذين العاملين الاساسيين لابد وأن يعقبه تغير فى لون الجلد ، وهناك بعض الامراض التى تاتى نتيجة لنقص المادة الملونة ، على سبيل المثال مرض « البهاق » الذى يظهر على شكل بقع سائلة الى اللون الابيض ، كما ان الافراط المتزايد فى افرازات المادة الملونة قد يؤدى الى ظهور بعض البقع الســمراء (النمش ـ او البقع السوداء) وقد تظهر بقع صفراء قاتمة وهو ما يسمى (الكلف) وهذه تظهر فى بعض الاحيان اثناء فترة الحمل •

ـ لكن ما الذى يؤدى الى هذه التغيير فى لون الجلد ؟

يعقب تغير لون الجلد بعد اتباع رجيم قاس او فى أعقاب حالات الوضع ، فالجلد هنا يكون فى حالة ترهل وانكماش ، مما يسبب التغيير الذى يظهر على شكل خطوط قاتمة تشوه من جمال الجلد ومنظره • وهناك بعض الآثــار الناجمة عن العمليات الجراحية أو الجـروح والكدمات ، فيحدث ظهور لون أغمق من لون الجلد الطبيعى ـ كذلك الكدمات الزرقاء التى تظهر عقب احتقان او تجمد بعض الشعيرات الدموية تحت الجلد نتيجة « ورم » او بسبب التمدد الزائد للاوعية الدموية (الالتهابات) •

من الملاحظ ان عمليات التجميل لا تحقق فى كثير من الحالات النتــائج المرجوه منها لذلك لا يستطيع الفرد ان يلجا اليها دائما ـ ومع انها فى بعض الاحيان تفيد لو كانت مساحة الجلد المتغير لونه كبيره كازالة حرق بالجلد وهو ما يسمى بعملية (الترقيع) ، وقد تمكن الطب مع بيوت التجميل من انتاج أكثــر من مستحضر طبى وتجميلى فى نفس الوقت لتغطية المنطقة المتغيرة من الجلد وذو مفعول قوى يجعل البشره تتنفس وتفرز العرق بسهولة ، وله تاثيره العميق فى علاج الجلد ـ وهذه المستحضرات على شكل كريمات أو سوائل لبنية ـ توضع على شكل طبقة رقيقة فوق المكان المتغير لونه

سواء على البشرة او فى الاماكن الظاهرة من الجسم كالارجل او الايدى ، وتكون من نفس لون الجلد الذى يحيط بالمكان الذى توجد به البقعة ، وبعد ان يتشرب الجلد هذا المستحضر ـ تختفى البقعة ويبدو الجلد طبيعيا ليــس به اى عيب • وتعتبر هذه المستحضرات العلمية الطبية التجميلية من افضل الوسائل لاخفاء عيوب الجلد كما ان لها تاثيرا عميقــا فى العلاج •

واذا ظهر على الجلد اى نوع من هذا التغيير فالافضل سرعة معرفة سببه واستشارة الطبيب لضمان الجمال والرونق ، والمظهر الجميــل لجلدنا ولبشرتنا •

الحب .. الحنان من أجل نفسية طفلك

فى بحث اجراه اطباء علم النفس حول العلاقة بين الام وطفلها منذ مولده وحتى سنوات عمره الاولى ، ظهرت نظريات ودراسات تبين لكثير من الامهات افضل الطرق لزيادة ارتباط الام بطفلها •

وخلاصة هذه النظريات والدراسات تقول : « ان العلاقة وطيدة بين الطفل وامه خاصة العلاقة الجسدية ، لانها اقوى السبل لضمان الارتباط العاطفي بينهما وبالذات فى الاشهر الاولى من عمر الطفل •

فعملية الرضاعة الطبيعية تجعل الطفل اكثر التصاقا بامه وتوفر له اولى حاجياته النفسية اى الشعور بالطمانينة •• وحرمان الطفل من ثدى امه هو حرمان له من لذة الحياه بمعناها العميق••وقد تبين ان معظم الاطفال الذين يحولون الى العيادات النفسية باعراض صعوبات التغذية او الاضطراب النفسى ، او الانحراف السلوكى ، كانوا يعانون فى مراحل نموهم الاولى من اضطرابات التغذية • وفى احدى الاحصائيات تبين ان حوالى ٦٩ طفلا حولوا الى العيادة النفسية لظهور بعض اعراض القلق النفسى نتيجة لصعوبة تغذيتهم فى شهورهم الاولى ، لانّ فترة رضاعتهم الطبيعية كانت قصيرة ، وبدات هذه الصعوبات تظهر منذ انتقالهم الى الرضاعة الصناعية •

الشعور بالحرمان

والفطام من اهم العمليات التى يجب ان تراعيها الام مع طفلها ، فيجب ان تكون متدرجة بحيث لا يحرم الطفل من ثدى امه مرة واحدة، لان ذلك يسبب له القلق النفسى •• اما اذا كان الفطام تدريجيا فسوف لا يشعر الطفل بالحرمان ، وعند بدء الفطام يجب ان يكون الطفل فى صحة جيدة ، والا تتم هذه العملية فى فصل الصيف حتى تتجنب الام النزلات المعوية •

وينصح الاطباء النفسيون بان يكون التلامس الجسدى بين الطفل وامه فى الحالات النفسية السعيدة للام ، لان ذلك الشعور ينتقل الى الطفل بالتالى ، اما اذا كانت الام فى اسوا حالاتها من العصبية والكآبه فان ذلك يحدث رد فعل سلبى للطفل ، فمثلا تقبيل الطفل وضمه وملاطفته واضحاكه يمثل له شعورا بالسعادة والراحة ، بينما الصراخ فى وجهه وامساكه بعنفه ، يؤدى الى شعور بالخوف لديه •

وهذه الاشياء كلها تؤثر فى كل حياته ، فمن ناحية ضبط وظائف الاخراج نجد ان الحالة النفسية لها تاثير كبير فى هذه الناحية • كذلك البكاء الكثير ، فالطفل الطبيعى قليل البكاء ، ولكنه يتخذه وسيلة لتلبية حاجاته الاساسية كالطعام والمصاحبة والرعاية •• وقد تظهر نتيجة لقلقه واضطرابه النفسى ، عادات جديدة « كعادة مص اصبعه •• او التعلق بالبزازه » •

وكل هذه الانفعالات والاضطرابات الذهنية للطفل تحتاج الى الرعاية والاهتمام منذ البداية •

وسيلة جديدة

ويقول اطباء علم النفس : « اذا استطاعت كل أم منذ بداية مولد طفلها ، ان تنشىء معه علاقة كلها رغبة ورعاية صادقه فانها ستجنبه الكثير من الاضطرابات النفسية ، وهناك اكثر من وسيلة تولد التقارب والحب بين الام وطفلها ولكن احدثها هى التمرينات الرياضية البسيطة مع الطفل ، فالام بعد الولادة تشعر بانها يجب ان تتخلص من الكيلوجرامات الزائدة عن جسدها ، وفى الوقت الذى تمارس فيه تمريناتها المفضلة تاخذ طفلها بين يديها تلاطفه وتلاعبه ، او عند الاستحمام فالحركات البسيطة داخل البانيو تجعل الطفل سعيدا لا يخشى الماء ، وبذلك تحقق غرضين : الاول مداعبة الطفل والتقرب منه ، والثانى ممارسة التمرينات الرياضية ، كما ان للطفل سيشعر ان عملية الاستحمام وقت ممتع وليس وسيلة عذاب كما يبدو فى ذهن معظم الاطفال الصغار •

وهذه من ابسط واحدث العمليات وربما اسهلها فى توثيق العلاقة بين الام وطفلها منذ ميلاده •

فوائد كثيرة للثلاجة

تعتبر الثلاجة من أهم الادوات الكهربائية وجودا فى المنزل ، ولكن الكثيرين لا يعرفون كيفية استخدامها على الوجه الصحيح •

وهذه بعض الارشادات للاستعانة بها فى حفظ الطعام داخل الثلاجة •

اولا ـ اللحوم : لا توضع فى الثلاجة أبدا بحالة شرائها ، بل تجهز اولا لضمان نظافتها تماما • تغسل اللحم ثم تجفف وتوزع بعد تقطيعها فى أكياس من البلاستيك النظيفة ، أو تلف فى شرائح من البلاستيك او ورق القصدير • ويراعى ان يكون الحيز المخصص للحوم فى الثلاجة نظيفا • أما بالنسبة للحم المفروم فالاحتفاظ به لمدة طويلة مضر •

ثانيا ـ الالبان : اللبن يمكن حفظه فى الثلاجة بعد غليه مدة يومين • اما اللبن المبستر فيمكن بدون غليان مدة ٣ او ٤ أيام ما دامت الزجاجة بسدادتها ولم تمس • بالنسبة للكريمة يمكنك الاحتفاظ بها مدة تتراوح بين ٤ و ٧ أيام فى اناء من البلاستيك• اما إذا كانت موضوعة فى علب من الكرتون فالافضل نقلها الى الاناء المذكور لان الكرتون يمتص الكريمة •

ثالثا ـ الخضروات والفاكهة : يمكنك الاحتفاظ بالخضروات لمدة اسبوع بعد غسلها وتجفيفها ووضعها فى اكياس بلاستيك فى درج الثلاجة مثل (الطماطم والخيار ، والفلفل الاخضر والخس •• الخ) اما البطاطس والبصل فلا داعى لحفظها فى داخل الثلاجة فهى ترحمها دون فائدة ، والفواكه كالعنب والتفاح والكمثرى يمكن حفظها بعد غسلها وتجفيفها • لكن الموز • فان التثليج الطويل يفقده لونه ويجعله أسود كما ان نكهته وطعمه يتغيران • وهناك الخضروات التى يمكن الاحتفاظ بها مدة طويلة مثلجة كالبازلاء والفاصوليا والبامية ، ولكن بعد وضعها داخل اكياس بلاستيك مغلقة جدا •

رابعا ـ العصير : عصير الفاكهه الطازج ينبغى تثليجه واستخدامه فى الحال حتى لا تفسد فيتامينانه ، اما العصير المعبا فى علب ، فيمكن الاحتفاظ به فى الثلاجة ما دامت العلبة او الزجاجة لم تفتح بعد •

من تجاربي الشخصية

عندما يوغل بنا العمر ، وتترك السنوات بصماتها تجاعيد في ملامحنا وفي الذاكرة ·· نستدير بما يتبقى في الذاكرة الى الوراء ·· نشهد أوراق الخريف - وقد كانت خضراء يوما ما - تصوح بها ريح الزمن على طول الطريق ·· كل ورقة منها كانت لحظة خضراء ·· كانت نبض شباب وحيوية · لكننا - ربما - لم نتنبه لذلك جيدا · وعادة نكتشف الحقيقة في سنوات الكهولة!

هاانذا اتجاوز الخمسين ·· لكن ورقة خضراء تظل عالقة بالذاكرة ·· ورقة من عمر الشباب ، حين كنت في سن الزواج والعواطف المتأججة ·· الآن يلوح لي وجهها من وراء السنين ·· أحببتها حبا لا أستطيع الآن أن أصفه ·· كانت احدى قريباتي ·· أحببتها في صمت ·· لم اكن وقتذاك قد تهيأت ماديا لكي اتقدم للزواج منها · وأصبح لي - وقتذاك ايضا - هدف جميل في الحياة ، خاصة بعد ان اتضح لي مشاعرها نحوي بنفس القدر ·· وبنفس الطاقة ·· نعم · لقد اتفقنا سرا على الزواج ·· ويبقى أن استعد · سنوات عشرة وهي ترفض كل من يتقدم اليها طالبا يدها ·· وفي نهاية العشر سنوات كنت قد وصلت الى الامكانيات التي تجعلني قادرا على أن أطلب يدها · وكم كانت فرحتها ·· سعادتها ·· كبيرة حين تم ذلك · ولابد انني كنت سعيدا انا الآخر بهذه الخطوة الحاسمة في حياتنا معا ·· هي وانا ·

ولكن !!

وبينما - في احدى امسيات الآمال الكبيرة - كنت أجلس الى أوراقي ارصد فيها تفاصيل البيت الذي احلم به · البيت الذي أردته بخيالي ان يكون عشا بسيطا وجميلا لزوجين متحابين ·

في تلك الامسية البعيدة ·· جاءني من يشي بخطيبتي · قال لي انها متعلقة بابن عمها · وان ابن عمها اصبح يزور الآن بيتهم كل ليلة · بل هو يسهر في بيت عمه الى وقت متأخر من الليل ·

انني أعرف ابن عمها هذا · أعرف انه شاب في مثل سني · وأعرف انه كان قد تقدم لخطبتها ضمن من تقدموا لها ·· لكنها رفضته كذلك ضمن من رفضتهم !

ومع ذلك ·· امتدت الوشاية بظلال من الشك الى صدري !·· هل تكون قد رجعت عن موقفها ؟··

هل ·· تكون الاسرة - في ظل تقاليد زمان - قد آثرت ان تزوجها من ابن عمها ·· فاقنعتها بذلك ؟

هل ·· هل ·· هل ؟

وراحت الظنون تنبت في صدري · وتزدحم · لكنني أبدا ما فقدت الأمل · أصبحت اكثر من زياراتي لبيت خطيبتي · ولكن - للأسف الشديد - كان ابن عمها يزور البيت بنفس المعدل · لم الحظ شيئا يشي بما اكده الوشاة لي · ولكن ·· كيف كان لي ان اعلل زياراته اليومية لبيت عمه مهما كان حجم هذه القرابة ؟!··

وانقطعت عن الزيارة اسبوعا يعلم الله كيف استطعت أن أتحمله · ومن عجب ان أحدا من أهل خطيبتي لم يستفسر عن ذلك · ولم يكن في وسع خطيبتي - هكذا كانت التقاليد - ان تسأل عني ·· فلما قررت في اليوم الثامن ان أزورها معتذرا عن الأيام السابقة · وجدت بمن يأتي الي ·· ويخبرني بأن الامور بين خطيبتي وبين ابن عمها تسير في نتائج ايجابية· اقنعني بأن زواجهما واقع لا محالة ! وأثارني ان يحدث هذا - وهي خطيبتي - دون ان تحسم موقفها مني او ان توضحه · وبدلا من ان انفذ مشروع الزيارة معتذرا ·· قررت أن تكون هذه الزيارة لفصم الخطبة ·



وبالرغم من ان اسرتها نفت تلك الوشايات ·· وبالرغم من انني لمحت في عينيها - عين خطيبتي - دموع الدفاع عن علاقتنا ·· الا انني كنت مشحونا بظلمات الوشاية · مصرا على موقفي ·

وهكذا انتهى الامر ·· بالانفصال !!

وليتني ما كنت تسرعت !

لقد اكتشفت بعد فوات الاوان ·· ان ابن عمها هو الذي رسم هذه الخطة · أراد ان يدافع عن رفضها له ، بأن ينتصر علي ، وأن يضعها أمام الامر الواقع · وهكذا خطط لزياراته اليومية دون أن يكون مرغوبا في زياراته ·

●●

الآن ·· تجاوزت - انا - سن الخمسين !

وفي هذه السن تصبح أخطاء الماضي ·· تجاربنا وخبراتنا ·

الآن ·· وأوراق الخريف من ورائي تعصف بها السنوات ·· تلوح لي ورقة كانت شديدة الاخضرار ·· وانني انا الذي احرقتها ذات يوم غائم في سن الشباب ·

لكن ·· ماذا يجدي الندم ·· بعد فوات الأوان ؟!

محمد عبد المنعم احمد سلطان
الاسدية - شرقية ·
جمهورية مصر العربية



لا شك ان اضطلاع لجنة كتابة التاريخ قطر بمهمة اعداد البحوث والدراسات والكشف عن الوثائق والمخطوطات وجمع مواد البحث المختلفة من خرائط وصحف ودوريات وغير ذلك ، تعد من المهام العلمية ذات القيمة العالية ، من اجل اعادة كتابة تاريخ الخليج العربي على اسس جديدة تنبع من ضمير الامة العربية وتراثها الخالد ·

وانه لامر يدعو الى الارتياح ان نجد انبثاق لجان علمية ، وانشاء مراكز للبحث ، وحركة جادة للبحث والتاليف في مختلف اقطار الخليج العربي ، في وقت كانت تلك المهمات حكرا على الكتاب الغربيين ، يصوغون افكارهم في قوالب جامدة ويفرضونها على امتنا باسم الموضوعية والعلمية ·

فحرى بنا اليوم ان نحتضن العاملين في هذه اللجان والمراكز – ومنهم اعضاء لجنة كتابة تاريخ قطر – فهم اخلص واقدر على كتابة تاريخ امتهم ·

والكتاب الذي نعرض له يشكل اول تجربة علمية للجنة كتابة تاريخ قطر لتوفير الدراسات الوثائقية للباحثين حيث تمادى الى ... بعض الصعوبات التي ... يواجهها الباحث ... رجوعه الى سجلات وزارة الهند في مظانها الاصلية

على جانب كبير من الاهمية

الكتاب احد المجاميع الوثائقية التي تضمها المكتبة السياسية لوزارة الهند · وهو على جانب كبير من الاهمية ، ذلك لانه يشمل مجموعة في اوراق الدولة الخاصة بحكومة « بومباي » ·

وكان سالدانا – واضع الكتاب – قد اعد الى جانب كتابه « الشئون القطرية » مختصرات تاريخية اخرى لامارات الخليج العربي الاخرى منها البحرين في الفترة في ١٦٠٠ – ١٨٠٠ ·

عدت اللجنة الكتاب من وثائق التاريخ القطري · وهو امر وارد ولكن مما يجدر التنبيه له ان مثل تلك الوثائق يجب ان تؤخذ بحذر شديد · ذلك انها وضعت اصلا لخدمة مصالح استراتيجية سياسية واقتصادية محددة ·

وهل تمثل وجهة نظر خارجية ووافدة على المنطقة · وان كاتبها ·· كما نوه المترجم الكريم – يخدم مصالح دولته وهو يفهم تاريخ الخليج العربي على انه تاريخ للعلاقات الدولية الخارجية لا اثر فيه للعوامل الذاتية المحلية التي هي في اهميتها توازي العوامل الخارجية ان لم تكن اهم منها ·

ووثائق "الشئون القطرية" بلا شك تكشف لنا مشاعر احد رجالات السياسة البريطانية ازاء الاحداث والشخصيات · وترسم لنا صورة معينة للاحداث بريشة فنان بارع جاء الى الخليج العربي مدفوعا باهداف ومصالح سياسية ·

ان كتاب الشئون القطرية – بلا شك – يقدم لنا بعض جوانب صورة تاريخ قطر لا الصورة كاملة · وهي في بعض الاحيان كتابات مشوهة يعوزها الانصاف والصدق ·

وعليه فان من الخطورة ان يعتمد مؤرخونا الذين يحاولون دراسة تاريخ قطر او الخليج العربي على تلك الوثائق فقط ويجعلونها محور دراستهم · اذ لابد من الرجوع الى جميع المصادر الاخرى عربية واجنبية ، مخطوطات وشخصيات معاصرة ، صحف ودوريات ، وما الى

خمسون وثيقة سياسية سرية يتضمنها الكتاب .
لجنة كتابة تاريخ قطر تعبد الطريق أمام طلاب البحث التاريخي .

ذلك ، لتكوين نظرة شاملة تكمل احداها الاخرى بما يضع امام الباحث مادة اولية ذات فائدة محققة ·

ومن هنا نلاحظ ان المترجم الكريم وضع تنبيها ذكيا في بداية الكتاب الى ان الاراء والمعلومات الواردة في هذا الكتاب هي على مسؤولية المؤلف ولا تعتبر بحال من الاحوال من اراء قطر وهي لا تتحمل ازاءها اية مسؤولية ·

تبدأ مقالة الشئون القطرية بعام ١٨٧٣ وتنتهي بعام ١٩٠٤ وهي الفترة التي حاولت فيها الدولة العثمانية ارساء قواعد حكمها في شبه جزيرة قطر كقضاء تابع لولاية البصرة · كما انها تمثل ايضا فترة الصراع البريطاني – العثماني حول مناطق النفوذ في الخليج العربي · وكانت قطر احدى ميادين ذلك الصراع ·

الكتاب يضم خمسين وثيقة سياسية كانت ضمن الوثائق السرية التي تحفل بها سجلات وزارة الهند قبل اعلانها · وقد قسمها سالدانا الى (٢٢٨) فقرة عدا ملاحق ثلاث اختتم بها الكتاب ·

ان الجانب الاكبر من هذه الوثائق يشكل قصة العثمانيين في قطر ، حيث بلغ مجموع الوثائق التي تتحدث عن اخبار العثمانيين وتحركاتهم – بشكل مباشر – ثلث مجموع الوثائق · وهي في جملتها اما رصد لتدبير عسكري ، او اجراء اداري او التوصية باتخاذ رد فعل سياسي مناوىء ، او مراقبة مشروع عثماني تقرر اتخاذه ، او مناقشة مسالة قانونية حول السيادة على الاراضي ، اذ باتت بريطانيا انذاك تطالب برسم خط للحدود بينها وبين الدولة العثمانية في الخليج العربي ·

هدف الرسائل

ومن هنا نلاحظ ان هدف تلك الرسائل هو خدمة السياسة البريطانية وتوضيح ادق التفاصيل لكي توصل الساسة البريطانيين الى معرفة حقيقية بتلك البقعة التي تحاول بريطانيا قبض زمام الامور فيها ·

والواقع ان قطر كانت من مناطق الاحتكاك المباشر بين بريطانيا والدولة العثمانية ، ذلك انها كانت تشكل – بالنسبة للعثمانيين – الحد الجنوبي الاقصى لنفوذهم في المنطقة · ومن هنا كان اهتمام بريطانيا بمراقبة احداثها بشيء من الحذر · ولكنها لم تكن تنوي الدخول في مجابهة مباشرة مع العثمانيين بسببها ، اذ كانت ترى ان نفوذها المباشر يقتصر على شيخ البحرين وشيوخ الساحل العماني فقط ·

يتردد في الوثائق التي نحن بصددها مصطلحات ومفاهيم بعيدة عن الواقع وكانت بريطانيا قد فرضتها على منطقة الخليج دون [illegible] ·

فهناك مصطلح (الساحل المتصالح ، او ساحل القرصنة ، او الساحل المهادن) وهي في جملتها تعني الساحل العماني (ساحل الامارات العربية المتحدة) ذلك الساحل الذي شهد اروع ملاحم البطولات في التاريخ الحديث · ووقف شعبه يقاوم الغزاة المستعمرين ·

وهناك مصطلح (القرصنة) حيث لا يمكننا ان نطلقه على المقاومة العربية في الخليج العربي ضد الغزاة المستعمرين ·

فعلى الرغم من ان القرصنة كانت اسلوبا شائعا في بحار العالم مارسها الاوربيون وغيرهم لصالح حكوماتهم احيانا الا ان ما حدث في الخليج العربي يختلف عن ذلك · فالعمليات البحرية التي مارسها « قدامى الخليج العربي » ضد الاوربيين كان لها هدف مغاير ذلك انها كانت تحركها دوافع الجهاد الديني الذي اعلن انذاك بقصد طرد الغزاة من المياه العربية · ولم يكن دوافعها السلب والنهب – اولا واخيرا كما يصوره الغربيون – بقدر ماهو تحرير الخليج من السيطرة الاجنبية · مع اقرارنا ان الغنائم كان لها اثرها الايجابي في زيادة قوة الهجمات ·

تفاصيل العلاقات المحلية

وبالنسبة للوثائق الاخرى التي يضمها كتاب « سالدانا » فهي تعطي تفاصيل العلاقات المحلية بين قطر وكل من البحرين وامارات الساحل العماني ونجد · وهي بلا شك ذات قيمة علمية عالية · ذلك انها تكشف للمؤرخ العربي نقاط الضعف والقوة في جسم تلك الامارات · وكيف استطاعت بريطانيا استغلال نقاط الضعف وتعميقها والنفاذ الى بواطنها وبالتالي تحريكها لصالحها ·

كما ان تلك الوثائق تكشف لنا كيف ان بريطانيا عملت بكل قوتها على تعميق الخلاف بين البحرين وقطر · وصارت توجه التهديدات الى شيخ البحرين ان يتجنب « تعقيدات البر القطري » لقاء دعم وتاييد الحكومة البريطانية له عند الضرورة · هذا فضلا عن تعميق الخلاف بين الشيخ قاسم ال ثاني وكل من شيخي ابو ظبي ودبي ·

والى جانب ذلك استغلت بريطانيا مسالة الخلاف بين الشيخ قاسم والدولة العثمانية فحاولت النفاذ منها لرفض السيادة العثمانية على قطر والتمهيد لوضع الحماية عليها ·

وتكشف الوثائق ان بريطانيا تاخرت عن اعلان الحماية على الرغم من تزايد ضعف الامبراطورية العثمانية في الخليج العربي ، بسبب خشيتها من انتفاع دول اوروبية اخرى من ذلك ، فتحصل على امتيازات تجعلها تضارع المركز البريطاني المتفوق · وعليه انها فضلت استمرار الامر الواقع على عقد اتفاقية الحماية

مع شيخ قطر ·

هذا فضلا عن وثائق اخرى تمثل استغلال بريطانيا للخلافات القبلية واثارة العصبية بين افراد القبيلة الواحدة · وهي في كل هذا (تتجنب الظهور بمظهر المتدخل في اية امور لا تمس المصالح البريطانية مباشرة) · وتعطي الوثائق احصائيات محددة عن ولاء القبائل وتوزيعاتهم في قطر ، والضرائب التي تجبى من التجار ·

وقد استطاعت بريطانيا ان تبني على تراكمات الخلافات القبلية خلافات من نوع اخر حول مناطق سكنى تلك القبائل وتحديد الحدود بينها ، ومن هنا نشأت اعقد مشكلة عانت منها قطر وبقية اقطار الخليج العربي حيث لا زالت بعض مشكلات الحدود لم تحل حتى الوقت الحاضر ·

ولذلك فان بريطانيا تدرك جيدا ان ما تستغله من خلافات هو الذي يوصلها الى اهدافها · ومن هنا جاء في احد التقارير التي يشملها الكتاب ما نصه (لو اظهر العرب قدرا معقولا من الاتحاد والتماسك فيما بينهم لامكن خلال فترة معقولة ان يخلعوا عنهم نير الاجنبي) ·



ويمكن القارىء ان يلاحظ ان بعض الوثائق في الكتاب تضخم الحوادث بحيث تجعل من حادثة فردية غير مقصودة خطرا (يسيء الى هيبة الحكومة البريطانية في الخليج) ، وعليه فانه لا يمكن للباحثين الاعتماد على وثائق حكومة الهند اعتمادا مطلقا · ... هذه الحكومة كانت تبالغ الى حد كبير في تصوير الامور على الخليج وهدفها من ذلك دفع حكومة لندن الى

زيادة الاهتمام بتلك المناطق · واعطاء حكومة الهند صلاحيات اوسع وتأييد مطلق لاجراءاتها ·

ولهذا فان الباحث عند مقارنته وثائق حكومة الهند البريطانية بوثائق وزارة الخارجية البريطانية يجد الفارق كبيرا بينهما في تصوير الاحداث والاراء التي تطرح حولها ·

ليته اكثر من الهوامش

وكنت احبذ لو ان المترجم الكريم قام بتحقيق بعض النصوص او اكثر من الهوامش لمناقشة بعض ما ورد في الوثائق من معلومات واراء ـ كما فعل احيانا ـ ·

ويمكنني ان انوه بان مترجم الكتاب يملك قدرة فائقة على ترجمة النصوص على نحو يدعو الى الاعجاب ·

والواقع ان لجنة كتابة تاريخ قطر باخراجها هذا السفر التاريخي المهم ، خدمت القارىء ... وضعت بين يدي ... طلا ... تاريخي مادة اصيلة ... بة للرجوع اليها بغية تحليلها ... رنتها وغربلتها والاستنتاج ... ادة كتابة تاريخ الخليج العربي ... به الجديدة ·

يفتوشنكو .. في لندن

●● زار لندن في الايام الاخيرة الشاعر السوفيتي يفجيني يفتوشنكو · وعندما وطئت قدماه بلاد الضباب ابتسر مستقبليه قائلا انه : « لم يأت من الجنة ، ولكنه ايضا لم يحل ضيفا على جنة · » ·

ويفتوشنكو هو اكثر شعراء الاتحاد السوفيتي تصديرا وشهرة في العالم ·

وقد زار يفتوشنكو بريطانيا مرتين ، لكي يلقي اشعاره بمفرده على مستمعيه في قاعة « رويال فستفال هول » بلندن · وقد ساعده على قراءة اشعاره باللغة الانجليزية الممثل المعروف « ايان ماكلين » الذي توج حياته الفنية بدور « ماكبث » ·

في زيارته الاخيرة للندن ·· قرا يفتوشنكو احدث قصائده الجديدة · وكانت فرصة ليجدد سمعته ويدعمها ، اذ هو يعتقد ويصر على الاعتقاد بان البريطانيين لهم اراء مسبقة عنه ·

ولقد كان يفتوشنكو في منتهى الشجاعة الادبية عندما تصدى للدفاع عن الكاتب السوفيتي الهارب سو لجنتسين « مؤلف

كتاب فولاج ارشيبالاجو » ·

ان استقلال الرأي هو احد خصائص يفتوشنكو المميزة له ، وقد بلغ عمره الآن ٤٣ عاما ·

هذا وقد ادلى يفتوشنكو ببعض التصريحات الخاصة به كشاعر ·

قال انه قد يتوقف عن كتابة الشعر ليتفرغ للنثر · وقال ايضا انه يحب الشعر المرسل الحر ، ويغيظه جدا ان الناس يتهمونه بانه شاعر سياسي ، ذلك ان الشعر السياسي يشكل الجزء اليسير جدا من انتاجه الشعري !··

وقال يفتوشنكو انه يرغب في ان يكون شاعرا يجرب كل فنون الشعر في كل مجالات الحياة · وقال انه قرأ باللغة الروسية اشعار « فليب لاركين » الذي يجيد القصائد القصيرة · وقد تعلم الكثير من قصائد الشاعر البريطاني « كيبلنج » ، واحب « والت ويتمان » و « لوركا » ·

واكد يفتوشنكو انه على الرغم من انه لا يود التركيز على معتقداته ، الا ان بعض الناس يودون ذلك ·

الوفاق الدولي

وقد نشرت مجلة « اورورا » التي تصدر في لينتجراد ، قصيدة للشاعر الشاب من ١٥٠٠ سطر ، ليقرأها ١٦٠ الف قارىء هم قراء هذه المجلة الادبية واسعة الانتشار ·

وفي هذه القصيدة فقرة يتحدث فيها



يفتوشنكو عن « طابع » روسي طرده القيصر الروسي ايفان الرهيب من موسكو · [illegible] على جانب من الاهمية ، وتعبر عن امر يشعر به يفتوشنكو نفسه ، او هو يود ان يشير الى ان هذا هو احساسه الشخصي ، يقول في هذه الفقرة :

[illegible]

[illegible]

لكني شعرت بانني احطم نفسي ،

فلما كنت مطيعا لك ،

كما يطيع الكلب العصا ·

ايتها الدولة :

انك من سادة وعبيد ··

وعهد من النفاق والرياء ··

والادانات والعداء ··

ان الشعور بالمسئولية نحو الوطن والدولة

لن ينمو في عهد مهما كان

ان يفتوشنكو الان مشغول بتأليف رواية تدور حول سيارة مملوءة بالركاب الذاهبين لجني الفواكه في غابات سيبريا ·

والملاحظ ان يفتوشنكو يتحدث بحرية حذرة ، اقرب الى حرية السجين في معسكر مفتوح · انه يتحدث عن روسيا اليوم ·· وعن « كيبلنج » و « اوسكار وايلد » اللذين قرأ مؤلفاتهما في موسكو اعجابا بشعرهما ولغتهما ، وادبهما ·

وعن الحرية ، والوفاق الدولي والشعارات الملتهبة ·· قال :

— ان خير عدالة في العالم هو الكفاح من اجل العدالة · ان الحرية هي الكفاح من اجل الحرية · انني اتذكر عهد ستالين ، عندما كان جداي في المعسكرات ان في حياتنا ديموقراطية · فتارة نخطو للوراء ونتراجع · وتارة نخطىء · ومن الخطأ ان يقرر مصير بلادنا من الخارج ·

ان كثيرا من الكتاب في روسيا اليوم من الذين ينشرون انتاجهم ، قد ناضلوا من اجل الديموقراطية ·· وقد لا يكون ذلك ماثلا للعيان !!··

مع الطيب صالح
في دومة ود حامد

عبد الحميد المحادين

في « دومة ود حامد » القصة لا الكتاب، نلتقي بكل خصائص الطيب صالح ، ونلتقي في ذات الوقت بكل خصائص العقل السوداني ، هذا العقل كبيئة فكرية للانسان السوداني ·· من الطيب صالح نلتقي بفنه وحرفيته ورشاقة لغته ، ومن السودان — من خلال الطيب صالح كذلك — نلتقي برائحة مميزة اخالها ممتزجة بالبخور والخرافة والجن وطقوس الماضي البعيد ، ببساطة القرية وصفاء الريف وحزم الناس في ذات الوقت ·· ريف متخلف ، كبقية الريف العربي ، الخدمات

دراما ليس اساسها الصراع .. وانما المفارقات .
حتى ينام الناس فلا يرون "الدومة" في احلامهم .
الحدثان يسيران معًا .. يقتربان ويبتعدان .. لكن لا يتقاطعان ولا ينفصلان .

امر لا وجود له ، الحكومة ليس لها حضور حقيقي وايجابي ، يتعرض الناس شتاء لاسراب من « النمتة » وصيفا للذباب البقر ، في القرية لا توجد جرائد ولا اذاعات ، ولا سينما ولا مستشفى ولا مدارس ، طرقاتها مظلمة ، الكهرباء امر لا يعرفه احد ، الحمير هي وسيلة المواصلات .. قوم يعيشون على « الستر » ! وكم في العالم العربي من هؤلاء الذين يعيشون على الستر !!.. تخشنت الجلود من الخشونة .. والشيء الوحيد الذي يعتزون به ، وهو كل تراثهم ، هو « الدومة » ، هي عالمهم الخارجي والداخلي يتعاملون مع الدنيا من خلالها ، شجرة وقصة ، واحلام .. « دومة ود حامد » .. هي محور حياتهم الروحية والفكرية . كانها عقاب خرافي باسط جناحيه على البلد بكل ما فيها ، وايام الانتداب او ان شئت الاستعمار ، قررت السلطة قطعها لتنظيم مشروع زراعي ، لان موقع الدومة انسب مكان لكنة الماء .. ولما ابلغهم الموظف ذلك ، علا اللغط من حول الرجل يقولون له اذا قطعتم الدومة فاننا سنحارب الحكومة حتى نموت عن اخرنا !

الدومة .. الدومة ! ، ما من احد زرعها يابني ، اغلب الظن انها نمت وحدها ، ما من رجل او امراة ، طفل او شيخ يحلم في ليلة الا ويرى « دومة ود حامد في موضع ما من حلمه » ولما جاءت الحكومة الوطنية ، اقترحت ان تنشىء موقفا للباخرة بجانب الدومة ، ليتصادف مرور الباخرة في وقت الزيارة الاسبوعية ، وحين بلغت الناس نقل الموقف الى هذه المصادفة غير السعيدة يقول الموظف « اذا غيروا يوم الزيارة » ولو ان ذلك الموظف قال لاولئك الرجال في تلك اللحظة ان كلا منهم ابن حرام لما اغضبهم كما اغضبتهم عبارته تلك .. وعدل عن المشروع .

وكانت الدومة هي الملجأ في الملمات ، ففي الحالات الصعبة يستشفى الناس بدومة ود حامد ، « نعم نحن قوم لا نعرف دروب المستشفيات ، في الامور الصغيرة كلدغات العقارب والحمى والفكك والكسر تلزم الاسرة حتى تشفى وفي المعضلات تذهب للدومة » ويتناقل الناس ابا عن جد حكاية ود حامد ، فهو مملوك الرجل فاسق ، ضاق ذرعا بحياته ، فدعا الله ان ينقذه فهتف به هاتف ان ابسط مصلاتك على الماء فاذا وقفت بك على الشاطىء فانزل ، وقفت المصلاة عند موقع الدومة الان ، فاقام الرجل وحده يصلي [illegible] لهذا جاء [illegible] الناس بالصحاف والطعام ، وذلك قبل ان [illegible] وكان هذا البلد [illegible] الارض ، وهكذا كانت البلدة كانت دومة ود حامد ، [illegible] فيها هذه النبتة ذات [illegible] فوق الضريح .

حاولت احدى الحكومات الوطنية ان شئت ، محاولة انشاء المحطة قرب الدومة ،

وعاود الناس الرفض ، بعد فترة انقطعت عن الناس اخبار الحكومة فلم يعكر صفوهم شيء ، ويلتقي اهل القرية البطة في النهر .. فجيء بعد مدة كوكبة من العسكر لتعتقل عشرين رجلا من اهل قرية « ود حامد » ، تذهب بهم الى السجن .. بعد شهر يفاجأ المعتقلون بالافراج عنهم بحفاوة وتكريم ، ويذهبون لقرية « ود حامد » ليجدوا في استقبالهم رئيس الوزراء الجديد واركان دولته .. سبب هذا التغيير ان رئيس المعارضة اثار الموضوع في البرلمان واوضح « انه بلغ من طغيان الحكومة انها اصبحت تتدخل في معتقدات الناس » وقال وصوته يضج بالعاطفة : اسالوا رئيس وزرائنا الموقر عن « دومة ود حامد » ، اسالوه كيف اباح لنفسه ان يرسل جنده واعوانه ليدنسوا ذلك المكان الطاهر المقدس .. وقامت قيامة الشعب ، وضغط على نوابه لسحب ثقتهم من الحكومة ، فسقطت ، وتجيء مكانها حكومة برئاسة رئيس المعارضة الذي جاء لتحية المعتقلين ، وكانت هذه المرة الوحيدة التي يزور فيها قرية « ود حامد » ، وكتبت صحيفة تقول « ان دومة ود حامد اصبحت رمزا ليقظة الشعب » .

– ومتى تقيمون طلمبة الماء ؟..

– حين ينام الناس فلا يرون الدومة في احلامهم !..

– ومتى يكون ذلك ؟.

– ذكرت لك ان ابني في البندر يدرس في مدرسة ، انني لم الحقه بها ، ولكنه هرب يسعى اليها بنفسه ، انني ادعو ان يبقى حيث هو ، يعود ، حتى يتخرج ابني من المدرسة ويكثر بيننا الفتيان الغرباء الروح ، فلعلنا حينئذ نقيم مكنة

الماء والمشروع الزراعي ، ولعل الباخرة حينئذ تقف عندنا تحت ود حامد عند الدومة ·

ـ وهل تظن ان الدومة ستقطع يوما ؟··

ـ لن تكون ثمة ضرورة لقطع الدومة ، ليس ثمة داع لازالة الضريح ، الامر الذي فات على هؤلاء الناس جميعا ان المكان يتسع لكل هذه الاشياء ·· يتسع للدومة والضريح ومكنة الماء ومحطة الباخرة ·

اول شروط الالتزام :

الصومعة ، تمثل القصص العربي الواقعي ، او الملتزم ان شئت ، الادب الذي هو ادب اولا ، وملتزم ثانيا ، ليس ادبا تبشيريا ولا تفسده روح المباشرة والتقرير والمعادلات المسبقة ، ولا تعتم بريقه وشفافيته ، ومع ذلك ينبثق من اعماق الواقع ، انبثاقا ايجابيا محركا وجهه للمستقبل ، يصور الواقع اولا ، وموقف الانسان منه ثانيا ، هل يقبله ام يرفضه ام يتعايش معه ، وفي حال الرفض كيف يعد العدة لتغييره ، وكيف يكرسه ان كان يقبله ، وهذا اول شروط الالتزام الحر ، الالتزام الذي يقوم على التصوير والتصور متمازجين ، عيناهما الى الامام ·· لقد

بنا الطيب صالح الى صميم الفكر الروحاني ، والى الحياة الخرافية ، او الخرافة في الحياة وتحركت الاحداث من خلال دراما سلمية ، هل يجوز لي ان استخدم هذا ؟ اقصد دراما سلمية؟! لكن لاوضح ما اعني : دراما اساسها ليس الصراع وانما اساسها المفارقات ·· وحتى المفارقات تظهر عنيفة احيانا ·· تواجد نوعان من الفكر في بيئة واحدة وتزامنا ، فكر خرافي ، وحقائق علمية ، وشتان بين عالم الخرافة وعالم الواقع ·· لكنهما عالمان قد يتعاصران ، بل هما في الشرق متعاصران فعلا ·· جمع الطيب صالح بين الفكرين او المستويين على صعيد واحد لا ليدير صراعا بينهما ، ولكن ليخلق منهما ارضا غير متجانسة يبني فوقها معمارة الفني ·· وانني استبعد ان يكون الطيب صالح قد استهدف تصوير العقلية السودانية وموقفها من الخرافة والواقع ، فذلك امرا لا اظن الكاتب قد اتخذه هدفا ، فلن يكون القصص ما يريد ان يقول « ماكم كتابيه » فيه العقلية السودانية كما وجدتها ·· انما هو يوظف هذه المسلمات الواقعية توظيفا يكشف خلاله ماهو أهم ، فهو يجعل اساس البنيان هذه العقلية المتسمة بالخرافية ليبني فوقها بنيانا اخر يستفيد من توظيف الاساس ، وليس القصد القاء الضوء عليه ·

ماذا تقول « دومة ود حامد » القصة ؟ ما الذي كشفه خلالها الطيب صالح ·· كيف جاءت ادبا رفيعا ؟·· ما الذي يعلق في الذهن ، ويبقى دون ان يكون الطيب صالح قصد اليه مباشرة ·· ان قصته شبيه تلك البطاقات المموجة ، ان كسرتها نحو اليمين ظهرت بشكل وان كسرتها نحو الشمال تغير الشكل بشكل اخر ·

هؤلاء الغرباء الروح :

ولقد شق الطيب صالح اعماق التحولات الاجتماعية ، ونفذ الى اعماق الشعب والى عقله الباطني والى تصوره ، ببساطة متناهية ودقة ورشاقة ·· فستظل مكنة الماء والمشروع حين ينام الناس فلا يرون

العدد القادم :

شاهد المدينة

قصة قصيرة للكاتب المغربي

عبد الجبار السحيمي

« الدومة » في احلامهم ·· ومتى يتم هذا ؟! بالعلم والتعليم حين يكبر فينا الفتيان الغرباء الروح ·· بالعلم وحده يمكن ان تنشيء هؤلاء الغرباء الروح ·· فبالعلم تتجاوز المجتمعات تخلفها ، وهو الذي سيحرر الشعوب من رواسبها الخرافية ويصفي اعماقها مما ترسب فيها ·

ولن يكون هناك ضرورة لقطع الدومة وازالة الضريح ، الامر الذي فات هؤلاء جميعا ان المكان يتسع لكل هذه الاشياء ·· فمن الممكن ان يتحقق التقدم العلمي دون تحدى الروحانية العامة للشعوب والمساس بها · حتى المنحرف منها ويترك الحسن في نهاية الامر للتطور بطبيعة الحال ·· وعدم اشتراط البدائل اما المكنة واما الدومة ·· لا ! المكنة والدومة جنبا الى جنب ·· المصنع والضريح جنبا الى جنب ، وفي النهاية يصح الصحيح ·· حين ينام الناس ولا يرون الدومة في احلامهم ويتحرر المجتمع من كل ما هو غير واقعي ومفيد ·

بقيت نقطة صورتها الاقصوصة ، انها تنطبق على كل شعوبنا العربية ، فالشعب العربي لا يثور مطالبا بشيء ، ولكنه يثور ليرفض شيئا ، شعب لا يثور لانه يريد ، ولكنه يثور لانه لا يريد ·

لست اريد ان ابتعد ، مرة اخرى ، فالشعب السوداني شعب شديد التمسك بواقعه وكلما دقت الحضارة ابوابه تمسك بتراثه وواقعة وروحانياته ·· السنا جميعا كذلك ؟! ·· ويمكن ان يقبل الجديد اذا عاش يعايش القديم ، فهو يقبل العلم ولا يتخلى عن هذه الصوفية المفرطة ، الروحانية العميقة الى حد الخرافة ·· هذا مضمون القصة · وهل سنقف هنا قبل ان نقول كلمة عن حرفية الطيب صالح ، وحرفية الكاتب هي ما يميزه عن غيره ، وهي وسائله التي بها يجيء الاثر ، هكذا ولم يجيء غير ذلك ·

عن الزمن والحدث واللغة :

وسنتناول باختصار حرفية الطيب صالح من خلال حديث عن الزمن والحدث

واللغة والتوظيف ٠٠ والطيب صالح يقضم الزمان ببساطة فهو يستخدم اكثر من وسيلة لتطويع هذا الحصان الجامح ، والعنصر الهام جدا ، فهو يكسر الزمان ويعيد صياغته ، وتركيبه وتقديمه وتأخيره، فالوحدة الزمانية عنده لا تنطبق على الزمان الخطي ، بل هي في خدمة الوحدة النفسية ، ومن هنا كان استخدامه للحوار ، والسرد التراجعي وتيار الوعي ، ادوات تعينه على خلق الوحدة المتكاملة في الحدث ، متغلبا على عقبة الثبات الزماني الصارمة ، ولعل قدرته على تبادل السرد ، واختيار الزوايا التي يصور منها ، وينتقل بينها بعرضها على التوالي مشاهد متجانسة ولكنها غير متوالية ، لانها تنطبق على تجانس نفسي ، وهذا هو اساس تركيب الحدث داخل الزمان ، او تفصيل الازمنة على الاحداث ، وهو في نطاق هذا التراكيب الزماني والتنوع والتفرع يستخدم الاحداث المتجاورة فاحداث قصصه متوازنة ، قليلة التصادم ، ولذا فهو لا يعتمد على الصراع في خلق الحركة ، والاثارة والشد ، والتقدم لتطوير الحدث ٠٠ بل تتطور احداثه وتتقدم من عنصر غير عنصر الصراع ، بل هو عنصر التأرجح بين خطين ، فهو يعتمد على حدثين يسيران معا ، يقتربان ويبتعدان لكن لا يتقاطعان ولا ينفصلان ، وكمثال على ذلك خروجه على الوحدة الزمانية القطعية وجرأته على التكسير الزماني ، ففي احداث الطيب صالح لا تتابع خطا واحدا وانما تتابع علاقة بين الاحداث ٠ فانت تعيش القصة على حافة العلاقة لا مع الحدث المنفرد ، ولا مع الحدثين بل مع العلاقة الثابتة بينهما ٠٠ ومن هنا تتطور احداثه في نطاق اللامشكلة ، فقصصه عادة ليست قصص مشكلة ، لخلوها من عنصر الصراع المباشر والبناء الحركي المتوتر ، ولذا يستعين بالفكر الخرافي ليحل كل التناقضات التي قد تنشأ بين الاحداث حلا لا يحتاج الى تبرير ٠٠ ومتى كانت الخرافة تحتاج الى تبرير ٠٠ ولعل الطيب صالح في نطاق [illegible] [illegible] [illegible] مع وجود وظيفة دائمة للفكر الخرافي في ادبه ، فالخرافة والقصة الشعبية مقعد دائم في ادب الطيب صالح ، وتستخدم حق الفيتو كلما جنحت الامور الى الصراع ٠ ولقد نجح في استخدام لا منطقية الحدث الخرافي افضل استخدام وخاصة ان العلاقة بين الخرافة او الحدث الخرافي وبين الزمن علاقة انسيابية انتقالية غير مقيدة بل حرة ، بل مطلقة ٠٠ وهو يقدم لنا احيانا حوادث المعزالية وسلوكا لا يمكن تبريره ، مما يجعله يدفع الاحداث الواقعية الى التطور مدفوعة بالقفزات الخرافية ٠

اما اللغة فان الطيب صالح يصنعها في المكان الصحيح لها ، فهي تركيب من لغة راقية ، ولغة علمية ذات دلالات عميقة ، ولغة يلتقطها من سطح المجتمع فتكون معبرة وذات ايحاءات عريضة وعميقة وبسيطة في آن واحد ٠٠ لم يكثر من اللهجة السودانية في « دومة ود حامد » بل لعله لم يستعملها الا في اضيق نطاق عكس ما فعل في « عرس الزين » ٠



مسابقة

المسابقة تتكون من قسمين :

القسم الاول من ثلاثة اسئلة : سؤال عن شخص • وسؤال عن مكان • وسؤال عن شيء •

القسم الثانى : عبارة عن ١٠ اسئلة متنوعة •

وعلى من يريد الاشتراك في هذه المسابقة ان يصل الى الاجابة الصحيحة من هذه الاسئلة ، معتمدا على التعريف الموجود في كل فقرة ، مع المعلومات المعطاة عن حروف الاسم المطلوب ، بعد تغيير ترتيبها ويرفق الكوبون الخاص بالمسابقة مع ورقة الاجابة •

اما نتائج مسابقة العدد الماضى ، فسوف تعلن في العدد القادم •

الجوائز :

الاولى : ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور •

الثانية : ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور

الثالثة : ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور •

١٢ جائزة اخرى : قيمة كل منها اشتراك لمدة عام في المجلة •



من ؟ أين ؟ ما ؟

رائد ايطالي قطع الفيافي مسافرا من بلاده الى اواسط اسيا عن طريق سومطرة ودون أخبار رحلته في كتاب يعد مرجعا لمعرفة أحوال تلك البلاد في القرون الوسطى • اسمه مكون من كلمتين ، ومجموع حروف الاسم تسعة :

الحروف ٤ ، ٧ ، ٦ ، ٣ ، ٢
نوع سام من الثعابين •

الحروف ١ ، ٩ ، ٢ ، ٨
من أشكال الغناء العربي

الحروف ٢ ، ٨ ، ٤ ، ٣ ، ٥ ، ١
أشجار العنب

الحروف ٥ ، ٧ ، ٩
حروف متشابهة

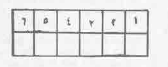
٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

مدينة قديمة بالعراق على ضفة دجلة اليمنى ، اتخذها المعتصم العباسي عاصمة له ، وضعفت اهميتها بعد نقل الخليفة المعتمد العاصمة الى بغداد • اسمها مكون من كلمة واحدة ، عدد حروفها ستة :

الحروف ٣ ، ٥ ، ٦
سائل لا غنى عنه في الحياة

الحروف ٤ ، ٢ ، ١
من أهم أجزاء الجسم

الحروف ٣ ، ١ ، ٣ ، ٤
بمعنى ذلك •



٦	٥	٤	٢	٢	١

شجر ينمو في استقامة كانه سارية السفينة ، وتوجد مساحات شاسعة من غابات اشجاره في روسيا والسويد والمانيا وبلاد اخرى • اسمه مكون من كلمة واحدة عدد حروفها خمسة :

الحروف ٢ ، ١ ، ٤
بمعنى تعب •

الحروف ١ ، ٣ ، ٥
ميناء قديم جنوب لبنان

الحروف ٤ ، ٣ ، ٥
بمعنى غير صالح للزراعة •

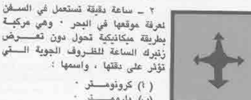


٥	٤	٣	٢	١



١ ـ خطوط الطول ، هي خطوط وهمية ترسم على نموذج الكرة الارضـيـة والخرائط والمفروض أن الارض تدور من خط الطول الى الذي يليه في سـاعـة ، والدرجة بين كل خطي طول هي :

(أ) ٨ درجات ·
(ب) ١٠ درجات ·
(ج) ١٥ درجـة ·



٢ ـ ساعة دقيقة تستعمل في السفن لمعرفة موقعها في البحر · وهي مركبة بطريقة ميكانيكية تحول دون تعـرض زنبرك الساعة للظروف الجوية الـتي تؤثر على دقتها ، واسمها :

(أ) كرونومـــتر ·
(ب) بارومـــتر ·
(ج) مانومــــتر ·

٣ ـ حركة الكشافة تعلم النظام والاعتماد على النفس · ويتعلم الكشاف العديد من المهارات من بينها ارسـال الاشارات واقامة المعسكرات واقتفاء الاثر · وقد اسسها لورد بادن باول في عـــام :

(أ) ١٨٩٧ ·
(ب) ١٩٠٨ ·
(ج) ١٩٣٠



٤ ـ تربى فصـــائل من الكلاب في البيوت ، وتمتاز بالولاء لاصحابها ، كما أن بعضها يستخدم في الصيد ، وهـذا النوع من الكلاب يعتبر اسرعها عـدوا ويستطيع أن يلحـق بالحيوانات الـتي تصاد ، واسمه :

(أ) البــودل ·
(ب) الكانيش ·
(ج) السلوقي ·

٥ ـ مدينة في البنغال الـغـربية في الهند ، تقع على نهر « هوجلي » ، قـد كانت عاصمة الهند حتى عام ١٩١٢ ثـم اصبحت مدينة دلهي هي العاصــمة ، واسم المدينة :

(أ) كلكتــا ·
(ب) بمبــاي ·
(ج) مدراس ·

٦ ـ الكمان عبارة عن صندوق مـن الخشب له شكله الخاص ، وله عــدة اوتار مشدودة فوق مشط صغير ، وكـل وتر منها مثبت في وتد لضبط نغمتـه عند نهاية عنق خشبي طويل · وعــدد اوتار الكمان :

(أ) اربعـة ·
(ب) خمسة ·
(ج) ستـة ·

(٧) فلكي عظيم كان اول من اكتشـف أن الارض والكواكب الاخرى هي الـتي تدور حول الشمس · ولد في عام ١٤٧٣ · ومات عام ١٥٤٣ ، واسمه :

(أ) جاليــليو ·
(ب) كوبرنيكس ·
(ج) فيثاغورس

٨ ـ جزيرة في البحـــر الابيض المتوسط وعاصمتها اجاكيو ، ولد فيهـا القائد نابليون بونابرت ، واســم هـذه الجــزيرة :

(أ) كــريت ·
(ب) صــقلية ·
(ج) كورسيكا ·

٩ ـ كريستوفر كولومبس بحـــار ومستكشف ايطالي ، اكتشف قارة امريكا اثناء رحلة انتوى القيام بها للوصول الى الهند بالدوران حول الكرة الارضـيـة · وقد مات كولومبس عام :

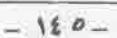
(أ) ١٢٩٧ ·
(ب) ١٤٧١ ·
(ج) ١٥٠٦ ·

١٠ ـ جراح اكتشف استعمال المطهرات في القضاء على الجراثيم لعلاج الجروح · وكان يصر على نظافة كل شيء اثنـــاء العمليات الجراحية واسم ذلك الجراح :



(أ) جوزيف ليستر ·
(ب) لويس باستير ·
(ج) وليم هارفي ·





مســـــابقة

الدوحة

حل مسابقة عــدد اكتوبر

اولا : مــن ؟

كوبرنيكس ٠

ثانيا : أيــن ؟

نيــــاجرا ٠

ثالثــا : مــا ؟٠٩

طباشير ٠

١٠٠ ب ٠٠ ج ٠٠

(١) طـروادة ٠ (٦) ثمانيـة ٠
(٢) ١٠٠ ألف (٧) بيرسـكوب
(٣) فـاروس ٠ (٨) تركي ٠
(٤) عــذراء ٠ (٩) فان جـوخ
(٥) انثروبولوجيـا (١٠) فنزويـلا ٠

اسماء الفائــــزين
مسابقة عـــدد اكتـــوبر ١٩٧٦

- فاز بالجـائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة سته شهور القــــاريء : محمد عبد الهــادي عبد الســلام خليفـة - برواي - المنصورة - دقهلية - ج٠ م٠ ع٠
- فاز بالجائزة الثانية وقدرهـا ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة سته شهور القارئة : دولا مصـلح حســين - ص٠ب ٦٠٨٨ - الزرقاء - الاردن
- فاز بالجـائزة الثالثة وقدرهـا ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة سته شهور القاريء : الراضي احمد ص٠ب ٣٣ بيوكرة - اكادير - المغرب ٠

الفائزون باشـتراك مجاني لمدة سنة في مجلة « الدوحة »

- مختار وجيه الزرقاني الطير - مصر - المنزلة - دقهلية ٠٠
- فايز محمد شيخ النجارين - الكويت - السالمية - ص٠ب ٨٧٦٢
- نايف عبد النوايسة - الاردن - عمان - ديوان الموظفين ٠
- محمـد القاضي - ثانوية ابن البناء - مراكش - المغرب
- هنــاء فتــحي - العراق - نينوي - حلة النعمانية - الجــانب الايسر رقم ٢٥٦/٣٣٤
- آدم عبد الرحمن محمد احمد - كلية الزراعة شمبات - جامعة الخرطــوم - السودان ٠
- عبد الله احمد طلبة - ص٠ب ٢٠٣٤ الدوحة - قطــر
- عبد الله محمد العفــيبي - دكان التميمي - شارع الجفالي - مكـــة - السعودية ٠
- الدهبـاني جمال - ٧٧٩ ديور جداد - سيدي بابا - مكناس - المغرب ٠
- حـامد داود الطلحة - ص٠ب ٦١٠٢ - عمان - الاردن ٠
- عمـاد احمد علي - شندي الثانوية العليا بنين - شندى - السودان ٠
- شريف محمد حجاج - مجلس قروي دمرو - غربية - ج٠ م٠ ع٠

مسـابقة :

الدوحة